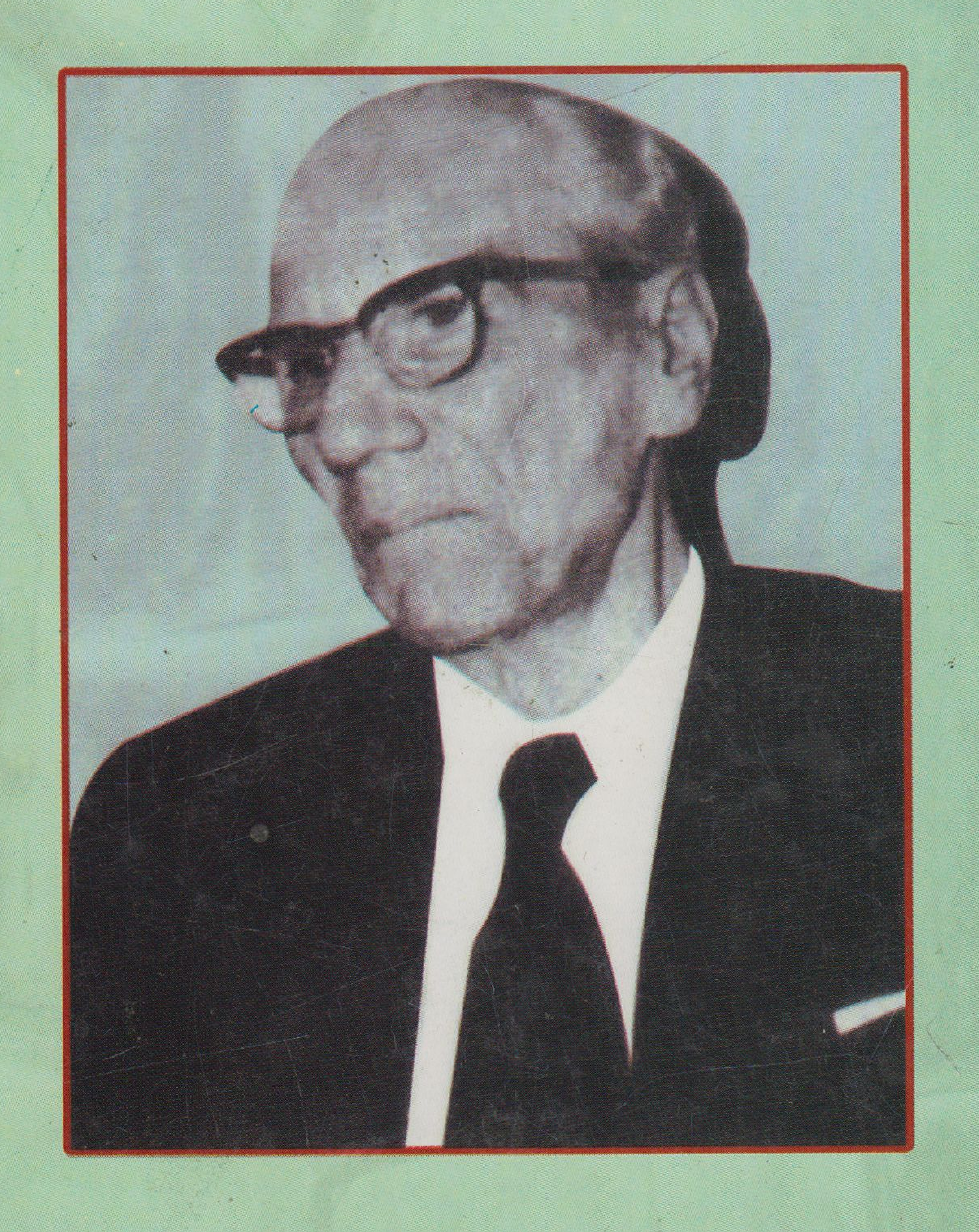
محمود أبو الوفا

دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصرة





محمود أبو الوفا

دواوين شعره

ودراسات بأقلام معاصرة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

محمود أبو الوفا. دواوين شعره ودراسات بأقلام
معاصريه .ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠٠٩
٥٦٨ ص ؛ ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٦٩٤ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الشعراء العرب.
٢ ـ الشعر العربى ـ تاريخ ـ العصر الحديث
(أ) ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٦٤٩/ ٢٠٠٩

I.S.B.N- 978 - 977 - 420 - 694 - 9

ديوى ٩٢٨,١١

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى
صبرى عبدالواحد

قصيدة أمير الشعراء

في مهرجان رابطة الأدب الجديد
لتكريم الشاعر محمود أبو الوفا

وعصابة بالخير ألف نظمهم ... والخير أفضل عصبة ورفاقا
جعلوا التعاون والبناية همَّهم ... واستنهضوا الآداب والأخلاقا
ولقد يداوون الجراح ببرهم ... ويقاتلون البؤس والإملاقا
يسمون بالأدب الجديد . . وتارة ... يبنون للأدب القديم رواقا
بعث اهتمامَهمو وهاج حنانهم ... زمن يثير العطف والإشفاقا
عرض القعود .. فكان دون نبوغه ... قيدا .. ودون خطى الشباب وثاقا

البلبل الغرد الذى هز الربى ... وشجى الغصون .. وحرك الأوراقا
خلف البهاء على القريض .. وكأسه ... تسقى بعذب نسيبه العشاقا
فى القيد ممتنع الخطى . . وخياله ... يروى البلاد .. وينشر الآفاقا
سباق غايات البيان .. جرى بلا ... ساق .. فكيف إذا استرد الساقا

لو يطعم الطب الصناع بيانه ... أو لو يسيغ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته فلم يصنع له ... إلا الجناح محلقا خفاقا

شوقى

الأهرام فى ٢١ — ٢ — ١٩٣٢


شعري

يارب

يارب أنت خلقتني وكما تشاء خلقتني
صورتني في صورتي وأنا كما صورتني
ومن النفيس أو الخسيس من المعادن صغتني
ما كان لي في الأمر من شيء ، ولا خيرتني
وكما أردت بأن تكون خليقـــتي كونتني
وبأى لون لم أكن إلا كما لونتني
أتراك كنت أتيت بي ما لم تكن لتحبني

بقيت هناك قضية تحت الضلوع تغزني
هي كيف يشقيني الوجو د وأنت فيه تحبني

كتبت في سنة ١٩٧١

أحبــاؤنا

أحباؤنا أنتم على البعد والقرب
بعدتم ، قربتم ما لدينا سوى الحب

فكونوا كما شئتم وشاء هواكمو
فأنتم هوى روحى وأنتم هوى قلبى

أحبكمو حباً كأنى نهلته
من الحب ، فى قلب المحبين للرب

فإن قلتمـو صفـه لقلت بأنه
سلام وتسليم من القلب للقلب

على أى درب فى الحياة سلكتمو
سأسلكه حتى وإن لم يكن دربى

أرى أننى فيه بكل خواطرى
بروحى وجسمانى بفكرى وباللب

كذلك حبى للذين أحبهم
من الصحب أو ممن يحبهم صحبى

كتبت فى ١٠ مايو ١٩٧٢فى صبيحة اليوم الذى وقعت فى مسائه أزمة قلبية للشاعر .

مـــنى

يا مثالا للطهر حين نراه صار روحاً مجسداً أنثويّاً
يا هوى للهوى إذا ما تسامى فتجلى ملائكيا . . . نقيا
أنت من أنت ؟ هل تكونين روحا أم ملاكاً لنا أتى بشريا
يا ابنة النور زاد نورك حتى صرت للنور معبداً عبقريا
أعذرينا إذا رأيناك قدسا أو رأيناك منسكا قُدُسيا
واسمحى لى إن قلت إن هوايا فيك أضحى هو الهوى الصمديا
أنت .. أنت من أىّ أين أتيت ؟ فامتلكتِ العنان والحكم فيا
أنت حورية من العين جئت خبرينى وكيف جئت إليا
كل حسن على الحسان نراه فيك أحلى ظلا وأشهى جنيا
فوق مافيك من فتون حسان زاد فيك الفتون عقلا بهياً
وإذا ما الحسان قد فحن طيبا فاح عنك الثناء مسكا شذيا
هل ترانى يوما أكون لديك مثل ما أنت فى الفؤاد لديا
يا منى للمنى التى أظمأتنى مذ سقتنى رحيقها الكوثريا

لست أدرى فيما سقتنىَ ماذا في عروقى يظل يدوى دويا
هل رأيت الهوى تحول بحراً هادر الموج بكرة وعشيا
ذا هوَايا — عفوا — إذا كنت فيه لم أزل غارقاً إلى أذنيا
إن قلبى يأبى من الحب إلا حب قيس أيام كان صبياً
ما أرادت ليلى غواية قيس لا ، ولا كان مثل قيس غويا
آه لكن من الزمان وآهٍ حين يغدو الهوى عذابا شهياً

الصيحة

أَلْقاكَ فى السُّحْبِ أم ألقاكَ فى الشُّهُب
يا أيهـا الرجـلُ المنشودُ للعـــربِ

يا مَنْ أرانى بعيــداً عنه مُقْترباً
منه بروحىَ ، كم أدعو ولم تُجِبِ

مَنْ للعروبة إلا أن تداركَها
من قبل أن يَسْتحيل الرأسُ للذنب

دَعْنى أَقُلْ لك إن الناسَ حالُهُمو
فيما هُمو فيه مُحتاجٌ لعَزْمِ نبى

ما أجمعوا أمرَهم يوماً على هدف
إلا إذا افترقوا فيه إلى شُعَب

ممزقينَ شــعوباً تحت ألوية
مَجْهولةِ الإسم ، أو مَدْخُولةِ النسب

فإن تحريت فيهم ابنَ بَجْدَتها
لم تَلْقه بينهم إلا أبا لهب

كتبت فى سنة ١٩٧١

ماذا ؛ أليس لهم من أصلهم حَسَبٌ
إن مال يوما بهم عادوا إلى الحسب

أرضُ العروبةِ ترجو أن تُعيد لها
أيامَ أمجادِها فى عهدها الذهبي

يومٌ شبيهٌ ، بيوم الفتح ترقُبُهُ
أرضُ العروبة فى الأوثان والنُصُب

أذِّنْ به تَجِدِ الأسماعَ مُرْهفةً
آذانَها لأذانِ الفاتح الأرِبِ

يا مَنْ أناديه من بُعْدٍ وقد شَعرت
روحى بأنىَ منه الآنَ عن كَثَب

أرضـــنا

دغدِغوا الأرض بالمحاريث حتى
تتعرى للشمس بطنا وظهراً
اقلبوها بطنا لظهر وإلا
فمحال أن ترجع الأرض بكرا
عرضوها للشمس فالشمس أحرى
أن تحيل التراب فى الأرض تبراً

هذه الأرض أنبتت أطيب الطيـ
ـبِ وأحلى الثمـار لونا وعطرا
كم رأينا فيها الحوالى الغوالى
واللدان الطوال بيضا وسمرا
ثم كم أورفت ظلالا عذارى
فى ربى الخلد ليس منهن أطرا
مالها أصبحت كأن ثراها
نهبها الحلو خارجا عنه قسرا

نشرت بمجلة الرسالة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٣ العدد ١٠٣٢ السنة ٢١

أى غرس هذا الذى ليس يجنى
حين يجنى إلا لحاء وقشرا

كيف أزهاره ترعرع خضرا
وسراعا ترتد كلحاء صفرا

مثل ما لو يكونْ قد عرضوه
للأعاصير وهو ما زال بذرا

كم تمنيت أن أقول ولكن
ما عسى القول للذى ليس يقرا

لا تسلنى عن أرضنا كيف تبرا
إننى منك يا أخى لست أدرى

الألى عندهم من العلم شىء
هيكل العلم عندهم صار حكرا

كل رأى للناس لم يأت عنهم
فهو رد أو أمعنوا فيه سخرا

لو يشاءون صيروا الخل خمرا
أو يريدون صوروا التمر جمرا

رب وزر خلوه شيئا مباحا
ومباح خلوه وزرا وكفرا

نتحنى عنهمو ودعنى وشعرى
فعساهم أن لا يسموه نثرا

لا تدعنى أحمِّلُ الشعر مالم
يحتمله فالشعر ما زال زهرا

ومن الحق ما يقال ولكن
منه مالا يباح للقول جهرا

فى ضمير الثرى جرائم نكر
شر ما فى ضمائر الأرض نكرا

بعضها يشبه العناكب إلا
أن فى نسجها عناكب أخرى

التماسيح لو تقاس إليها
والسعالى تهون نابا وظفرا

الضوارى أخف منهن شرا
والأفاعى أقل منهن مكرا

ليت شعرى والطهر للأرض أصل
هل على عهدنا نرى الأرض طهرا

أرضنا عرضنا وللعرض حق
إننا نبتغيه عزا وفخرا

إن هذا النبات للأرض سفر
نحن منه الألفاظ والأرض طغرى

عبثا ننتقى البذور إذا ما
ظل يسقى عروقها الماء كدرا

نظفوا الأرض أولا . . . وأخيرا
نظفوها كى يخرج النبت حرا

تحـــرر

تَحرر ْ تحرر مالعيشك قيمة ٌ
إذا أنت لم تجعله عيشا محرراً

ومن عاش تحت الأمر والنهى عمره
لقد عاش أنّى عاش عبداً مزوراً

وما قيمة الدنيا إذا أنت عشتهاَ
وما لك إلا أن تطيع وتؤمرا

موظف . هذا اللفظ وصفٌ مُقنَّعٌ
وفحواه ذا شخص يباع ويشترى

قيود الورى شتى ولكنّ شرها
هو القيد باسم العقل ، للعقل حَجّرا

وشر قيود الناس قيد مشَوْا به
فما عرفوا قُدما مشوْا أم إلى الورا

وبعض حزون الأرض لما تحررت
غدت مدنا عصماء فى الأرض أوذُرى

كتبت سنة ١٩٧١

ولو حُرِّر الإنسان وهو ابنُ أرضه
شوامخه لارتد أعلى من الذُّرى

أحبك يا إنسان أعلى من الذرى
وأقرب منها للسماء وأطهرا

فلا أُفقَ إلا كان وجهك مشرقا
عليه ، ومنه كان وجهك أنضرا

أحبك يا إنسانُ أعلى من الذرى
شموخا ، ولكن رقةً لا تحجُّرا

أحب الفتى إن يلقه متذئِّب
تلقّاه لا ذئبا ولكن غضنفرا

أحب الفتى لم يتخذ غير نفسه
مرايا وإن لم تنصقل فيه جوهرا

إذا ما ارتأى للرأى كانَ له صدى
وكان له بالفعل والقول مظهرا

أحبك إنسانا ترى الحق صارخا
فتَصْدو له صوتا وسيفا وخنجرا

تَحررْ تُشعشع بين أرضك والسما
ضياءً كما لو كنت للصبح مظهرا

كأنك قد أصبحت للأرض كوكبا
وأنك قد أصبحت للنور مصدرا

تَحررْ وحبِّبْ كلَّ من قد رأيته
بما قد رآه فيك أن يتحررا .

الطاووس

نشر الطاووس ذيلاً
واستوى يمشى اختيالا
يبسط الزهو .. أو العُجب ..
.. حواليه .. ظلالا
مالَهُ لا يملأ الأعطافَ
.. تيها .. او دلالا
وهو .. ما وجَّه عينيه ..
.. يمينا .. أو شمالا
لا يرى إلا عيونا
تتملاه .. ابتهالا
ذات يوم .. فكر الطاووس
.. واشتَط خيالا
راح فى الطير ينادى
فأتى الطيرُ .. عجالا
قال .. ياقوم .. لماذا
نلبَسُ العيشَ هزالا

نَعدَمُ القوتَ إذا لم
نُنْضِ للقوتِ الرِّحالا
ولماذا الطيرُ — دون الخلق
لا يهدأ بالا ؟
كل صيادٍ . . غريرٍ
طلب الصيدَ الحلالا
لم يجد أسهلَ منَّا
كلَّما جُن نِبالا
لو لنا من دَولةٍ فى الأرض
. . تحمينا . . رِعالا
لو لنا ملكٌ . . لما هُنَّا
على الخلقِ مآلا
امنحونى المُلك . . فيكم
يا بَنِى قومىَ . . حالا
أعطكُمْ فى الأرض أمْنًا
كاً وآمالاً طِوالا
يَعرفُ الطيرُ . . جميعاً
أننى أحلَى مِثالا
هل رأيتم مثلَ ريشى
يملأُ العينَ جَمالا ؟
بايِعُونى ، بايِعُونى
واحمدوا الله تعالى
وإذا الطيرُ بصوتٍ
واحدٍ . . يَهتِفُ . لا ، لا

* * *

وانبرىَ فرخٌ ضعيفٌ
ناحل الرِّيش كَلالا
قال : يا هذا سمعنا
فاستَمعْ مِنَّا مقَالا
هل تظنُّ المُلك حُسْنًا
أو رِياشًا . . تتلالا
إن لِلمُلك تكالي
فَ وأعباء . . ثِقالا
إن للملك مَزَايا
وسَجايا ، وخِلالا
أيُها الطاوس إن المُـ
ـلْكَ يحتاج نِضَالا
فاسْتَرِح . . حتى تَرى رِيـ
ـشك قد صار نِصالا

صلاح الدين الأيوبى

روحُ البطولة .. فى أسمى مظاهرها
تمثلت فى صلاح الدين .. إنسانا

عذب الشمائل ، مثل الأنبياء ، صفَا
دما ، وروحا ، وآمالا ، ووجْدانا

بنَى وشيَّد عرشا من قوائمه
أقام للحق أعضادا ، وعمدانا

مطهراً — من أوَاسيه لقُبَّته —
أرضا ، وسقفا ، وحيطانا ، وأسدانا

لم يجعل الخِبَّ فى تأسيسه لَبِناً ،
ولا دَمَ الغدْرِ أصْباغًا وأدهَانا

فلا كياسَته مكرا ، وثعلبة
ولا سياستُه .. مَيْنًا وبُهتانا

هيهات يؤثَر عنه ، أنه أبدا
فى لحظة خانَ ، أو فى لفظة مَانَا

تلالَ — «حطين» قولى ما علمت لنا
أى الفريقين ولى عنك خزيانا

القدس .. لم ينس أى الناس قد حفظوا
أقداسَ أقداسه . . سرا وإعلانا

وأيهم نَسَّ فى أطهار سدته
سُوءًا ، وأيهمُو قد دَسَّ ريْحانا

قم ياصلاح .. فهذا اليوم .. ليس له
إلا صلاح .. فأظْهر من هُوَ الآنا

إن القنا ، وسيوف الهند ما خُلقا
إلا حمىً للحمى ، عِرضا وأوطانا

الدين ، والوطن الغالى العزيز .. هما
أعز شىء على الدنيا — فلا هانا

الله يشهد . . أن الناس ما عرفوا
ولا رأوا كصلاح الدين شجعانا

لم يُطلق الحرب يوما من أعنّتها
إلا إذا أعجزتْه السِّلمُ . . إمكانا

حتى إذا اندلعت .. لم يَغْشَ ساحتها
إلا على الطهر .. أسيافا ، وأعنَانا

كأن مَيْدَانَها ، فى عُرف هِمتّه
ما كان إلا لذات الحقِّ مَيْدانا

من ذا الذى أطلق الأسْرَى بغير فِدًى
مُرُوءةً منه .. أو عطفا وتحْنانا ؟

إلا ابن أيوب ، من سارت نواصعُه
فى الشرق والغرب للإسلام بُرهانا

هى البطولة ، ليست فى شريعته
إلا فداء وإيثارا وإحسانا . .

ليست على سيفه . . جهلاً وعربدةً
ولا دماءً ، ولا بغياً وطغياناً

وما البطولة.. فى عِطفَيْه ـ غير قُوىً
مشبوبةٍ . . نُذِرَت للحقِّ قُرْبانا

ماذا ؟ أرُوحُ نَبىٍّ حلَّ فى بَطَلٍ
أمْ أنه عبقرىٌّ ، جاء سُلْطانا

على بن أبى طالب

مصطفى المصطفى من الأنبياء
يا علىّ العالين فى الأسماء

يا علىّ العالين فى كل وصف
من صفات الكمال فى الأعلياء

فى الوغى سيفك العلى المعلى
فى النهى رأيك العلى الضياء

مفرد أنت فى السماحة والتقوى
وفى الدين والحجا والذكاء

شهد الله أن شخصك قد كا
ن أنقَى الأشخاص دون مراء

صلة * الأرض بالسماء تجلت
بل تجلت فى ذاتك العصماء

مثلما كنت للخلافة أقضى
كل من حازها بلا استثناء

كتبت فى سنة ١٩٦٩ .

ليلة الهجرة المنيفة تبقى
لك ذكرى وآية للفداء

يا أخا للنبي أنعم وأكرم
بإخاء أعظم به من إخاء

كلمـــات

لله مستغفراً ، للناس معتذراً مما لهوت به أو قلته ضجراً
الله يشهد أنى لم أكن أبداً فى أى يوم بفن القول متجرا
ما قلته لمَ يكن إلا صدى بدمى إما استجبت له أو فى دمى انفجرا
وددت أنى لقومى لم أجىء لهمو إلا بأندى وأهدى القول مبتكراً
عساه يغزو مكاناً فى قلوبهمو يهزهم للعلا أو يبلغوا الظفرا
أودُّ لو أن قومى فى الحياة غدوا لحناً يضيف إلى لحن الورى وترا
وأننا فى الورى — لو نستطيع — لما كنا سوى السمع ، أو كنا لهم بصراً
لا فن ، لاعلم ، إلا وهو فى يدنا فيه لنا الأمر ، أو منا له الأُمَرا
ولن ترى أمةً للمجد صاعدةً إلا إذا العلمُ فيما بينها اشْتجرا
والعلم أنفعه عندى وأرفعه ما جدد الأرضَ ، أو ماجادها ثمراً
وليس كالخُلْق إنهاضاً لصاحبه إذا كبا حظه فى الدهر أو عثرا
يا صاحبى إن خير الخيِّرين هما مَنْ ينفع الناسَ ، أو مَنْ يمنع الضررا
الخيرُ فى الناس مهما الشرُّ غالبه باقٍ ، وللناس يبقى الخيرُ منتظراً
سرٌّ بصدرىَ تُخفيه جوانحه تحت الحنايا يعيشُ العُمرَ معتمراً

كتبت فى ديسمبر سنه ١٩٧٤ .

فى موضع من ضميرى لاشبيه له إلا مكانَ ضميرٍ جاء مستترا
سبعون عاما وما شعرت به شفتى ولا لسانى به فى مرةٍ شعرا
ما بَاله الآن كالبركان فوهته تَدُعُّ صدرى بمثل الجمر مستعرا
ياليل يا عين، ياعين الزمان متى نجم العروبة يَعلو الأفق مزدهراً
متى نرى الوحدةَ الكبرى مرفرفة أعلامها فوق أعلام النجوم، ترى
ماضى العروبة ما غَض الزمان له طَرْفاً، ولا نال منه الدهرُ مقتدراً
أمجاده لم تزل شماء شامخةً آفاقها تتحدى الشمس والقمرا
الله أكبر لو يأتى الزمان لنا بِمَنْ إذا عاد، عاد المجدُ منتصراً

صـــراع

رأى ما رأى حتى غدا اليوم لا يرى
سوى غير شيء أو يرى الشيء مبهما

يرى الشيء شيئين ، وحينا إذا رأى
فهيهات إلا ما رأى متوسما

رمى مَن رمى عينيه فاستل منهما
ضياءهما ما كان أقساه إذ رمى

وقيل له : لا بأس تلك غشاوة
تزول . ويا لله ماذا هو العمى ؟

تباركت يا معطى النهار ضياءه
ويا معطى الليل الظلام فأظلما

لأمر الذى لا أمر من فوق أمره
رضينا بما يرضى ، وإن كان مؤلما

وقلت لنفسى كيف أنت ؟ فلم تُجب
فقلت : أتحتجين ؟ قالت : تظلما

كتبت سنة ١٩٦٩ بعد إصابة عينى الشاعر . وعدم استطاعته القراءة والكتابة بهما .

فقلتُ : وممن ؟ . ثم أصغيتُ فانثنتْ
كمن لم يجد قولا لديه فتمّما
هواجس لا آلو عليها تأسفا
وإن كنت لا آلو عليها تندما

رويدك يا نفسى أما لك من نهى
يردك للتقيا كما كنتِ دائما ؟

لئن كنت منذ الأمس عندى كريمة
فإنك منذ اليوم ما منك ألأما

فقالت : أتبغينى أرى النور ينطفى
بعينى ، وتبغينى أرى البؤس أنعما

فقلت أنادى العقل ، فالعقل ربما
يكون لها منى أبر وأرحما

فما راعنى فى العقل إلا رجوعه
إلىّ كما لو كان سيفا تثلما

أجبنىَ عما قد دهاك وما الذى
عَراك فَخلِّ المدْرَهَ اللَّسن أبكما

وبعد التُّلتيَّا عاود العَقل سمتهُ
ورد علىّ . ليته ظل مفحما

أرى أن تلك النفس غير ملومة
ولم ترتكب حوبا . ولم تأت مأثماً

وماذا على مَن نورُ عينيه ينطفى
إذا ظن فى الأقدار ما ظن مرغما

إلهىَ ذا عقلى ونفسى كلاهما
غَوِىٌّ ، فكن لى يا إلهىَ منهما

هوى النفس يُصْبى العقل إن كليهما
مرايا أخيه يا لنا من كليهما

الحقيقـــة

أدى رسالته واستغفر الله ... إن كان أخطأ فيما فيه أداها
وما لدنياه ما زالت تشاغله ... كأنما هو أيضا ليس يسلاها
ما باله وهو فى السبعين.. ثائرة ... أهواؤه تتلظى فى حناياها
مثل الطيور تنزّى فى أضالعه ... تأبى عليه تناسى مَنْ تناساها

بقية من هوى أو من لواعجه ... بين الشغاف وبين القلب مثواها
واها لنفسى ، وآها من غوائلها ... وإن أكن طول عمرى لم أقل آها
أسرار حواء صنها إن تكن رجلا ... مهما جرى بك ممن كنت تلقاها
حواء دنياك عنوان عليك كما ... تراك فى عينها عنوان دنياها
يا كم تمنيت أن تهنا الحياة بنا ... وأن تطيب لنا أحلام ذكراها

سفينتى أبحرت والليل عاصفة ... والويل إن جنحت أو شط مرساها
واضيعة العمر ان ضاع الرجاء بها ... أو أن رُبانها عن نجمه تاها
ما زلت أذكرها حينا وأسلاها ... حينا ولكنني هيهات أنساها
أسلو الحياة ولا أسلو معذبتى ... يا للهوى من هوى أدعو له الله

نشرت بالأهرام بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٧٦ .

الحسن للحسن بسم الله جلاها تلك التي عمر عمري عشت أهواها

أحبها وكأني في محبتها أدين حتى لمن بالحب والاها

حب الحقيقة يغرى من يهيم بها إلى لقاها ولو بالنار يصلاها

أحبها حيثما كانت مطالعها وأينما كان في الأسما مسماها

في الشرق.. في الغرب.. فيما فيه قد ظهرت في أى شكل بدا فيه محياها

يا للحقيقة مالى كلما التحأت روحى لكم لم تجد لى عندكم جاها

وددت لو مرة في العمر واحدة وجدتنى بينكم في طور سيناها

أمنية طالما قلبي تمناها ترى بها ألتقى أم لستُ ألقاها ؟

ليلة الإسراء

لئن نظم الشاعر قصيدته هذه فى مناسبة ليلة الإسراء ، فقد ضمنها من المعانى الروحية السامية الباقية ما يجعلها تقرأ وتستعاد فى هذه المناسبة الجليلة وفى كل مناسبة غيرها .

ليلة قد حوت من الآلاء وزن ما فى الوجود من سراء
جمع الكون ما به من صفاء وحباه لكنه هذا المساء
تلك يا ناسُ ليلة الإسراء وهى للدهر كاليد البيضاء

هذه ليلة الليالى جميعا كان من قبلها الزمان فظيعا
لا نظاما له ولا تشريعا روع الناس كلهم ترويعا
لم يكن فيه واحد مستطيعا أن يرى نفسه من الظلماء

وإذا الناس فى الزمان الردى مثل نظم جرى بغير روى
ليس فيهم حق لغير القوى وشقى يسير خلف شقى
عجبا للحياة قبل النبى كيف مرت فى مثل هذا الشقاء

نشرت فى قافلة الزيت مايو – يونيو – ١٩٦٣ .

وتصور أزمان هذا البلاء أى عيش قد كان للضعفاء
كيف كانت فيها حياة النساء كنّ فى الهون مثل أى الإماء
بينما كان معشر الأقوياء هرّماً هوّما بسفك الدماء

يضرب الناس فى السواد الداجى مثل غرقى شدوا إلى الأمواج
ليس فيهم وليس منهم ناجى وإذا بالسماء للمعراج
فتّحت فانجلى ظلام الدياجى ورأى الناس ضوء برق الرجاء

هل رأى الناس فى جناح البراق دعوة حرة إلى الانطلاق
من قيود الأغلال والأوثاق وهو يدعو الورى لهذا السباق
فى مجالى مطالع الآفاق كى ينالوا حرية الارتقاء

يا رجاء مجنح الأشواق عد إلى الشرق يا جناح البراق
عد إليه بضوئك الخلاق فى سما الشرق موطن الاشراق
شفق من سنى النبوة باق انتظاراً لبعث هذا الضياء

قل لمن يزدهون فى الأجواء ولهم حقهم من الازدهاء
إن تناولوا أمجاد غزو الفضاء فمن الشرق كان غزو السماء
ومن الشرق صاحب الإسراء يا لأمجاد ليلة الإسراء

إيه إيه يا ليلة الإسراء كيف أطريك فى ليالى السراء
وبك الأرض التقت بالسماء حول أفق كأن وُسْع الفضاء
حل فى وسعه بغير انتهاء زمن المَحْل عنده كالرخاء
وغدا الصيف عنده كالشتاء فهوَ للخلق مثل قُطب الصفاء

وهو للكون مثل أفق استواء ذاك قلب المحجَّل الوضاء

النبي الوحيد فى الأنبياء الذى جاء للورَى باللواء

والنظام الكفيل بالارتقاء المسوى الضعاف بالأقوياء

ونظام الإسلام دون مراء هو دين الحياة والأحياء

يا إلهى ، فى ليلة الإسراء إرحم الأرض يا إله السماء .

قد دعوناك فاستجب للدعاء

الايمـــان

ليس الكفر مقابلاً للإيمان فى نظرتنا هذه .

وإنما الإيمان تقابله الحياة ، فالإيمان والحياة مترادفان .

ومن هنا كان لبنت حواء أعظم أثر فى تقوية الإيمان أو الحيوية .

ومن هنا أيضاً لم ير الشاعر أن لآدم خطيئة أو معصية بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة .

وإنما هي رغبة الحياة الحرة القوية دفعته إلى العمل .

وطلب الاستقلال .

وتحت تأثير هذه الفكرة نظم الشاعر هذه القصيدة « الإيمان » .

قصيدة الايمان هذه كتبتها حوالى سنة ١٩٢٧ ثم لم تنشر إلا فى سنة ١٩٣٠ حين أتاحت لى مجلة المقتطف هذه الفرصه التى كانت بالفعل هى بده صلتى بالحياة الأدبية ، وبالصحف . ثم عدت فنشرتها فى كتابى (أنفاس محترقة) فى طبعته الأولى سنه ١٩٣٣ تحت هذه المقدمه التى كتبتها وقتذاك لشعورى بأنها فكرة وأنها لا تزال فى حاجة إلى التوضيح .

وها نحن أولاء نثبت هنا هذه القصيدة ، بنصها وفصها بل وبمقدمتها التى قدمناها حينذاك. إنما لا للتوضيح هذه المدة ولكن لاثبات أن هذا الذى كتبناه سواء أكان فى القصيدة أم فى مقدمتها لايزال له معنى يؤديه حتى اليوم . ولو بصفته شاهدا ساذجا على أننا كنا نفكر فى مضمون (عنوان النشيد) و (النشيد) منذ ثلاثين سنة على أقل تقدير فالى السادة الذين يحسبون أن فكرة عنوان النشيد طارئة أهدى هذا التاريخ .

قوةٌ لم تُتَح لقلبِ جبان
تلك في المرءِ قوةُ الإيمانِ

تتَجلَّى على جميعِ قُوَى الكونِ
شبوعَ الأرواحِ في الأبدان

لكأنِّي أرى الحياةَ وإيّاها
سَمِيَّيْنِ ، أو هما توْأمان

أولُ المؤمنين بالله حقاً
هو ، في الأرض ، كانَ أوّلَ بان

يا ضياءَ الحياة بُوركتِ فيها
بل تباركتِ ، يا يدَ العمران

إن رُوحي فِدًا الجمالِ سواءٌ
في المباني أكان أم في المعاني

بنتَ حوّاء إننا منك بِنْتَنا
نرتجي رِبحَ ذلك الميدان

حلّ فيك الخُلودُ لحناً شجياً
عبقريَّ التلحينِ والألحان

لحنِّي ، لحنِّي على الأرض حتى
تصبح الأرض جنة الرِّضوان

ليت شعْري ! ماذا أراد بنا
الخالق إلا سيادة الأكوان ؟

ربِّ فيم ابتعثتَ رُسْلا ولو شئتَ

لأفنتْ إرادةُ الإنسان

أفصحَ الحسنُ مُستهلاً فما حاجةُ

هذا الجمال للتُرجُمان

لا أرى آدماً عصَى اللهَ لكن

شاء أن يستقلَّ بالسلطان

يكرهُ الحرّ أن يعيش على السِّجْن

ولو كان سجنُه فى الجنان

عنوان النشيد

الإنسان ابن الثورة .

الأرض ثائرة ... والطبيعة ثائرة ... والحياة ثائرة ...

وهل يكون الإنسان إلا كما تكون الأرض ، والطبيعة ، والحياة ؟
إذن :

فآدم بوصفه الإنسان الأول ، كان الثائر الأول ..

أليس كذلك ؟

من هذه الفكرة البسيطة جرى بنا القول فى عنوان النشيد ثم فى النشيد . كما جرى بنا القول أيضاً ، من مفهوم هذا المعنى ذاته فى قصيدة لنا نشرناها فى مجلة المقتطف (عدد فبراير سنة ١٩٣٠) .

كانت هذه القصيدة بعنوان « الإيمان » وفى هذه القصيدة قلت هذين البيتين :

لا أرى آدماً عصى الله ، لكن شاء أن يستقلّ بالسلطان

يكره الحر أن يعيش على السّجن ولو كان سجنه فى الجنان

والحق أقول ان « الإيمان » هذه بجميع أبياتها كانت عندى فى وقتها بمثابة البرقية الذهنية ، والحركة الحيوية الأولى ، أو الومضة للفكرة التى من أجلها ظهر فيما بعد عنوان النشيد ، بل النشيد أيضاً . وقد لا يكون فى هذا شىء غير عادى : ولكن المدهش حقاً هو أن هذه الومضة لم تكد تُومض فتلمع فى قصيدة الإيمان حتى تعود فتَخْبو أو تنطفىء ... تماماً كأنها لم تكن ... ويطول الأمد . ثم يطول جداً، جداً . ويأتى عام ويمضى عام ولا أنا قادر على الكتابة فى هذه الفكرة ، ولا أنا بقادر على نسيانها ... وفجأة وفى ذات صباح وإذا بى أمام . . . أمام ماذا ؟ . . إنه عنوان النشيد .

وإذا الوقت هو أول يوم من شهر رمضان المبارك من سنة ١٩٥١ م . أى أنه قد مضى علينا منذ نشرنا قصيدة « الإيمان» فى المقتطف أكثر من عشرين عاماً . والأغرب من هذا أن هذه الظاهرة بعينها تكرّرُ نفسها معى فى النشيد . ولكن فقط بصورة زمنية أقل . .

فإنه لم يمض سوى بضع سنوات ، وإذا بى فجأة أيضاً أجدنى أكتب النشيد ، وإذا بنا وقتئذ فى الصيف من سنة ١٩٥٥ م . ليت شعرى أية ظاهرة كانت هذه . بل أية فكرة تلك التى تفرض نفسها على وجودى ربع قرن من الزمان أعيش فيها أو تعيش فىّ دون أن أعرف لها أىّ تفسير أو تعبير ، ودون أن أعرف أيضاً كيف أتخلص منها .

أخى القارئ :

كانت تلك الفكرة هى التى أقدمها إليك الآن مَجْلوّة واضحة فى قصائد « عنوان النشيد » ثم « النشيد » ثم فى قصيدة « الإيمان » .

أما بعد :

فى هذه القصائد الثلاث بالذات نوع من الشعر ، إنه ليس مجرد شعر .. ولكنه الشعر بكل معنى هذه الكلمة . وشىء آخر هو الفكرة .. هو الثورة

وليس هذا فحسب . إنه هذا وشيء آخر أيضاً .

إنه ناقوس . . إنه أذان . . . إنه الإيمان . . ولكن بالإنسان .

إنسان الفضاء ؟ كلا ولا هذا . . إنه الإنسان الذى تلتقى فيه الأرض بالسماء . بل هو إنسان الفصل الخامس . . كما يطيب لى أن أسميه أو هو الإنسان الثائر الذى أقول فيه :

لستَ عندى ثائراً ما لم تكن
طلقةً مقذوفةً من مدْفعِ

قَدَرٌ ماضٍ الى غايته
مُسْرِعاً حتى وإن لم يُسْرِع

لا يُبالى بالمسافاتِ ، ولا
بالذى يعْنيه كَسْبُ الموْقع

الذى يسألُ عن موْضعه
سوف يَمْضِي مالَه من موْضِع

أيها الثائر عفواً إن أنا
كنت أسْمَعْتُكَ ما لم تَسْمَع

هبْكَ كنتَ الصيف أو كنت الشتا
أو ربيعاً للرّبيع الألمعى

أنا لا أبغيكَ ريحاً أو شذىً
إننى أبْغيكَ قلباً لوْذعى

إننى أبغيكَ فَصْلاً خامساً
جامعاً كلَّ الفُصول الأرْبع

أخى :

هذا هو الإنسان الذى أعنيه .

والذى أرجو لك إن شاء الله أن تعيش فيه .

والسلام لك . . . ولك العتبى حتى ترضى .

محمود ابو الوفا

عنوان النشيد

ليس كالقوةِ فى الدنيا فَضيلَه
هكذا قالت لنا الروحُ النبيله
قلتُ : يا روحىَ هل ثَمَّ وسيله
لتَلا فى الضَعفِ ، والضعفُ رذيله

قال : إلا فى طُموحِ الكبْرياء
لم أجد للضعف فى الناس دَواء

يا أخى ، والروحُ يَعْنى ما يقول
ليس مثلَ الضعف فى الأرض فضُول

استمعْ لى : إن من حقّ الحياه
للفتى ، إمَّا يَعشْ عَيْشَ إله
أو يَمُتْ كالصَّوت لم يُسْمع صَداه

ظهر عنوان النشيد — من قبل — فى ديوان خاص فى يناير سنة ١٩٥٢ مزين بلوحات الفنان لويس فلسطين . وأجرى الأستاذ عباس العقاد مقارنة بينه وبين قوة نيتشه والمتنبى فى مقاله (دين القوة) .

كما أجرى الاستاذ عبد المنعم شميس مقارنة بينه وبين قصيدة المواكب لجبران خليل جبران فى ثلاث مقالات تحت عنوان الانسان ابن الثورة نشرت بمجلة الثقافة فى سنة ١٩٦٤ الاعداد (٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢) .

استمعْ لِي : إنَّ قانونَ البقاء
وهو ما فى الناس يُدعى بالقضاء
قد رأى فى هؤلاء الضعفاء
أنهم فى الناس جاءوا دُخلاء
كالطُّفَيْليَّات فى الزرع سَواء
هل تُراه قد رأي الأرض خَميله
ورأى فى الناس أزهار الخميله
وَىْ – وما للناس – كيف الدخلاء
فى زهور الأرض يَغْشى الأصلاء
أيها الإنسان ، يا بِكْر الحياه
أمْحُ هذا العارَ عن وجه الإله

وتغنَّى الروحُ لحنًا فأجاده
قال : إن الضعفَ والقوةَ عاده
من يوجِّه وُجهةَ الأمر اعتياده
يُصبح الأمرُ له رَهْن الإراده
إنَّ فى الإنسان طاقاتِ اقْتدار
آه لو يعرفها كيف تُدار ! !
آه لو يَقْوى اعتداداً وإراده
لاستقلَّ الأرضَ أفقًا للسيادة
أنتَ يا إنسانُ للأرض الملَكْ
كيف لا تحكُمُ فيما تَمتْلِك
بينما الدنيا جميعًا هى لك

آدمٌ قبلكَ بالأرض افتتَن
فاشتراها بائعًا فيها عَدن
يا ضعيف الرأيِ إيّاك تظُن
أنَّه أسرف فى هذا الثمن

إنه عن قوّة الطبع نَزع
وللاستقلال بالمُلك ابتدع

لم يكن آدمُ مسلوبَ الجنان
يوم لم يُذْعنْ لسلطان الجنان

ليس يَرضى رجلٌ حرٌّ الفؤاد
عن حياة ما له فيها جِهاد
خيرُ ما فى النفسِ هذا الاعتداد

آدمٌ قد قال حتَّامَ أظلْ ؟
فى رُبَى الجنَّة مكفوفَ الأمل !
ليس لى فى غير حواء عمل !
أىْ وربِّى ، إنّه عيش مُمل ؟

سوف أختار لنفسى ما أُحب
سوف لا أعمل إلا ما يَجب

أأعيش العمرَ مَهْدور السبب !
فى مكان فيه ما لى أى ظِل

لا ، وإنى لست بالعضو الأشَلّ
إنه لا بُدّ لى أن أشْتَغل
إنه لا بد لى أن أسْتقل

أوَ للشّيطان كلُّ الفُرْصَةِ
وأنا ما لى أقلُّ حيلة
أىُّ مخلوق أنا فى الجنَّة
بينما أحيا كأىِّ فَضْلة !

أىُّ وضع ذلك الوضعُ الحقير ؟
أنا ممّا أنا فيه مُسْتجير !

ربِّ هَبْ لى حقَّ تَقرير المصير
هذه أولىَ ، وأخرى طلْبتى

أعطنى حقىَ فى حرّيتى
ثم خذ ما شئتَه من جنَّتى
ولْتَكُنْ مهما تكنْ لِى قِسْمتى

إنه لا بدّ لى أن أستقل
حيثُما أذهب أو حيث أحُل
سوف فيما شئتُه لا أمتثل
غيرَ ما نفسى لنفسى تَسْتَحِل

ذا هو العيشُ ، ولا عيشَ سواه
إنْ يَفُتْنى منه أعلى مستواه
فاتنى حظِّىَ من رُوح الحياه
سوف لا أرضى لنفسى أىّ ذُلّ

سوف أحتال إلى أنّى أصل
للذى أهوى وأرجو من أمل
إنه لا بدّ لى أن أستقل

هكذا آدمُ من فوق الجنان
هبط الأرض على رأس الزمان
لا يُبالى عندها هل فى أمان
استوى فى الأرض أم ضَلَّ المكان

غير أن الرّوحَ حادى ركبَه
كيف هذا الرّوحُ ينْسى ربَّه !
ما رأى فى الكَوْن إلاّ نَفْسَهُ
هل يكُون الكونُ إلا حِسَّه ؟

وكذا أوْحى له روحُ الزمانْ
والمكان ، إنّه من حيثُ كان
فَهْوَ ،لا ، لا غيره ، بِكرُ الزمان

وكذا الإنسانُ قد أرضى اعْتدادَه
وعلى مُلك الثّرى شاد عتاده
ويْحَه ماضرّ لو أغلَى رَماده !
وأرادَ المجدَ للأرض وَرَادَه !

ليتَهُ وجَّه للأرض الدُّعاء !
مثلمَا وجهه نحوَ السّماء !
غير أن النّفسَ لمّا استَرْخَصت
طِينها لم تُعْطه حقّ العباده !

ولهذا فقدت حقَ السّياده
دون أن تَشْعر ، والأشياء عَاده
بينما الإنسانُ لو شاء استعاده

آه لو آمنَ إنسانٌ بذاته
لأتَى فى الأرض كبرَى مُعْجزاته
ربما كان إلهًا فى صِفاته
حلَّ منه الروحُ فى كل جهاته

ليس للإنسانِ إلا ما سَلَكْ
فَهْو إن شاء تردَّى فَهَلَكْ
وهْوَ إن شاء إلهٌ أو مَلَكْ
إنه أُعْطِىَ حقَّ الاختيار

ثمَّ إن الروح من غير انتظار
مدَّ فى الجوِّ جناحَيْه وطار
قلتُ: عِدْنِى .. قال: إن عادَ النَّهار

عادَ لِى الروحُ ، وقد نحَّى القناع
قال : كَمْ فى الأرض ، كم ألْف اختراع
زادت الدنيا اتِّساعًا لاتساع
معَ هذا أكثرُ الناسِ جياع !

أيها الناسُ .. ألا مَن يَخْتَرِعْ
اختراعًا واحداً يَشْفِى الطمع
ويُداوِى الناس من داء الجَشَع !
اضْمَنُوا لى الآن هذا الاخْتراع
وأنا أضمنُ إشْباعَ الجياع
ليت مَن نادَى بتَحْرير البقاع
كان قد نادى بتحرير الطباع

نحن في كلّ قيام أو قعودْ
لم نزَلْ أسْرَى تقاليدِ الجُدود
إن مَدَحنا مرّة بعضَ الجنود
لم نَقُل فيهم سِوى: هُم كالأسود

ما الذى يجعلُ من تلكَ السِّباع
وَهى أضْرَى الوحشِ رَمْزاً للشُّجاع
غيرَ قُرب الناس منهم في الطِّباع
ومتى الإنسان يرقى أو يَسود ؟

وهْو للغابة ما زال يعود
بطباع بعضُها يَحْكى الفهود
وسَجَايا بعضها يحكى القرود !

لستَ حرًّا يا أخى إلا إذا ما
كنتَ عما تَشْتَهِى أسْمى مقاما
وأحقّ الناس فى الناس احتراما
مَنْ تَعالى عن هَوَاه أو تَسامى !

ذا هو الحر الذى يَخْشَى نُهاه
لا سِواه ، وهْو لا يرجو سِواه
فهْو أفقٌ حوله الدنيا تدور
رَبُّه وجْدانُه الحيُّ الشُّعور

وهو إمَّا يَبْغ حرباً أو سلاما
لا يُبالى عندها أرْضَى الكراما
أم تُراه كان قد أقْصَى اللِّئاما

وأمالَ الرّوحُ للربح ِشراعَه
قلت : قلْ ِلى . زادك اللهُ نَصاعه
كيف تُلقِى الناسَ فى قلب المجاعه
أيُّها الروح ،ِ وتُوصِى بالقناعه !

قال : إن الناس عند الرُّوح مَاس
فاذا خَسُّوا فهم لَيسْوا ِبناس
منذُ صار الناس فى الأرض جَماعه
وغدا التعليمُ فى الناس صِناعه
مَسَخَ التعليمُ فى الفَرْد ِطباعه
وغدا الممسوخُ فى الفرد انْطباعه
مَن يجيرُ الناسَ من دُور الطِّباعه ؟

لا تَقُل ِلى : إنه سوء النظام
يا أخى لم يَخْلُ من سوءِ ِنظام
كل سوء الأرض من صنْع اللئام
هؤلاء الناس إن شَامُوا الحسام

نَصَبوا للحرب مَيدان الكلام
فكأنَّ الشرَّ طبعٌ فى الأنام !
ولئن ساءلْتَهم فيمَ الخصام ؟
لأجابوا هو من أجْل السَّلام !

قل لهم : يا قومَنا أىُّ سلام !
ليس بين العقلِ والقَلب انْسجام !
ذِى هىَ العلَّةُ لا سوء النِّظام

لا أرى الإيمانَ تَشْريعاً وكُتْبا
بل أرى الإيمانَ وجْداناً وقَلْبا
فاذا أُعطيتَ ذا ، أعطيتَ رَبّا
أيّ شيء ِشئتَ منه لك لَبّى

هكذا آمنَ موسى بعصاه
وكذا آمنَ عيسى ِبرُؤاه
فاذا موسى له انْصاعَ الحُواه
وإذا عيسى إلهٌ فى سماه

إنّما هَل أنتَ تُصْغِى الآنَ حُبّا
ِلكلامى ، أمْ تُصاغينى َ ِخبّا !
قلْ .. فإنّى أنا أدْرَى بك قَلبا

ورَنا الرّوحُ إلى حَبْر بَطينْ
أكْثف اللّحية مَدْبوغ الجبين
قال : ياستَّارُ ، هذا شيخُ دين
واسْتَعاذَ الرّوحُ بالرُّوح الأمين

أنْ يكونَ الشيخُ إبليسَ اللعين
ثم قال الروحُ : ماذا أنتَ ناظرْ !
هل يكون الدينُ للناس مظاهر !
يا أخى .. الدينُ للناس بَصائر

وإلى أن يَصبحَ الدينُ ضمائر
فأنا يا صاح ِبالأحْبار كافر
إنّ روحَ الدّين للأرواح دين

قلتُ : قلْ لي يا أخا الروح الرفيعه
ما لزومُ الدِّين أو أيّ شَريعه
لنفوس الناس ما دامتْ رفيعه
حينَ أن النَّفس مذ كانت ولُوعه
بالتَّسامي والتَّعالي بالطَّبيعه ؟
قال : لمّا لا ترى النفسُ الوضيعه
في نواحي هذه الدنيا الوسيعه
ثمّ ، أخلُوا الأرضَ من كلّ شَريعه
إنّما ، والنفسُ ما زالتْ رضيعه
من أبٍ سوءٍ ، ومن أمّ وضيعه
كيف ننسى الدّين أو نُلغي الشَّريعه !
قلتُ : لكننا نرى الناس الطَّليعه
جعلوا الدينَ إلى الدّنيا ذَريعه
ولقد جاءوا بأعمالٍ شَنيعــه !
قال : يا هذا ، كفَى الآن وقيعه
ذاك ذنبُ الناس ، لا ذنبُ الشَّريعه !
إن كلّ الناس للناس صَنيعه
وخضوعُ النّاس للنّاس طبيعه
أيُّ داعٍ لم يجد فيهم سَميعه ؟
قبَّح اللهُ من الجهل صَنيعه
إنّما الأديان آدابٌ رفيعه
وهيَ تفسيرٌ جميلٌ للطبيعه

ومشى الروحُ معى ذات مساء
فلقينا صُدفةً سِربَ نساء
قال : كلُّ الصَّيْد فى جَوف الفَراء
قلت : هل عندك علمٌ بالنِّساء ؟

قال : مَن أعلمُ منِّى بالرِّجال !
قلتُ : لا عَن هذه كان السؤال
قال : هل يَحفِز حبِّى للكمال
يا صديقى غير حبِّى للجمال

إنَّما إن شئتَ تَوْزيع الثَّناء
فاجْعَل الطَّيب من حقِّ النساء
دار هذا بيننا ذات مَساء

وجرى القولُ بنا للأصدقاء
قلتُ : أينَ اليوم ، أينَ الخُلَصاء !
قال : هُم كُثْرٌ رجالٌ ونساء
وكما تُضْمرُ للناس الصَّفاء

لن تَرى فى الناس إلاَّ أصْفياء
إنما إن أنت أضْمرت الرِّياء
مستحيلٌ أن تَرى إلاّ رياء
ليس للماء سوى لون الإناء

ثمّ يا ابْنَ الناس ، لا يا ابْنَ السماء
إنّ كلّ الناس من طِين وماء
كل هذا دار فى ذات المساء

قلتُ للروح أما لي أن أطير
مرّةً في الجوِّ ، والجوُّ مطير
قال : يا الله ، إنّي مُستجير
من تَمنّي كلِّ ذي باع قصير

يا أخي ... أنتَ على الأرض تسير
في خُطَى الطفْل أو الشيْخ الكبير

ثُم تبغي الطيرَ في اليوم المطير !
أَولا أتْقِنْ على الأرض المسير

ثمَّتَ احلم ، أوْ تَمَنَّ أن تَطير
هو هذا أيّها الطِّفْل الكبير
إنّ فنّ السيِّر في الأرض عَسير

ومضى الروح كَمنْ يُلْقِي بيان
قال : خلِّ الآن عنكَ الطَّيَران
وتعلَّم أوّلاً سَيرَ الزمان
مرةً في الأرض امش القَفَزَان

مرةً أخرى كَمَشْي الأفعُوان
مرّةً ثالثة كالألعبَان

وقُصارى القولِ ، في أيِّ مكان
كنتَ فيه ... كنتَ أنتَ البهلَوان

هو ذَا يا صاحِ فنُّ الافتنان !
وهو في العليّة فنُّ اللّمعان !
وهو ذَا أعظَم فنٍّ في الزمان !

وبَدَا في الرُّوح روح الهيمان
فهو لا يَنزِل في أي مكان
دونَ أن يَسأم من هذا المكان
قلتُ : ماذا أيها الروح الحبيب ؟

هذه الحال ، أو الروحُ الغريب ؟
قال : ما أدراكَ ذِى روح الزمان

يا صديقى ، إن أرواحَ زمان
ما لها الآن على الأرض مكان

وأظن الآن أنّ الوقتَ حان
ثم ألقى الروحُ للجو الجناح
فكأنّ الروحَ ما كان وراح !

ما له - يا ليتَ شعرى - لم طار ؟
هل تُراه إذ رأى الظُّلمَ استطار ؟
وكأنّ الدهرَ بالناس استدار
فأمورُ الخلق فى أيدى الصِّغار

وكأنْ لم يبقَ فى الدنيا كبار
قال : لا ، لم يبق لى إلا الفرار !

آه لو أعلم فى أيِّ مَطار
حل هذا الروحُ ، أو أيَّانَ سار

لَوَصلْتُ المَيل طُولاً بالنّهار
أو أرى روحىَ فى أى قرار
لو يكونُ الروحُ فى أقصى الدّيار

أَنْشُدوا لِى الرُّوحَ والحقَّ الصُّراح
أنشُدوه لىَ فى أىّ البطاح
اسألوا لِى الليلَ عنه والصّباح
أيْن هذا الروحُ عنِّى اليومَ راح !

كيف خلَّانىَ فى عَصْفِ الرِّياح !
يا إلهى ، وهْو لِى رَوْحٌ وراح

وهْو لى كان الأمانىَّ السّماح
والهَوىَ المذْخورَ لليوم المُتاح

ما لَهُ أسرعَ من خفْقِ الجَناح
غاب عنْ عينى فى الأفْقِ البَراح
لَيْتَه قد لفَّنى معْه وِشاح

سِكلكُ الحقِّ على الأرض عَديده
قَدُمتْ جداًّ ، وما زالتْ جديده
وهْى فى عينٍ لمَنْ تَبْدو مديده
فهْى فى أخرى تُرى ليْست مديده

فإذا سرتَ بها تلقى الدّماء
خطَّطتْ فيها أسامى الشُّهداء

مِن هُنا تنظُر أشلاء شهيد
وهُنا تنظُر أسْتار شهيده

وهنا الأرواحُ تَهفُو من بعيد
لبعيد ، وهْى ما زالتْ بعيده
هذه يا صاحِ ذِى طُرقُ العقيده

هذه الطُّرُقاتُ فى صَحْراء بِيد
كم فِخاخٍ فى ثَراها، كم مَصِيد !
أيُّها الآتِى إليها من بعيد
مُدَّ، مُدَّ الخَطْوَ، واحذَرْ أن تَبِيد

كم بها قد مات ذُو الخَطْوِ الوَئِيد
وادَّرِعْ بالصَّبْرِ والجُهْدِ الجَهِيد
أو إذا وَنَيْتَ فللموتُ أكِيد
أنتَ تمشى الآن فى وادى الجليد

حُثَّ، حُثَّ السَّيْرَ إن كُنت تُريد
إن أردتَ القَصْرَ ذا البابِ العَتِيد
دُقَّ، دُقَّ البابَ بالكفِّ الحديد

لن يكونَ الحقُّ ذُو العرش المجيد
مغْلقَ الأبوابِ فى وَجْهِ مُرِيد
إنَّمَا البوّابُ جبَّارٌ عَنيد
ربّما قد كان من أرْض الصَّعِيد

افتح الأبوابَ للعانى الشَّريد
أيها البوّاب . . . افتحْ للطَّريد
لا تَقُل مَن أنتَ ، أو ماذا تُريد
إنّه للحقِّ قد جاء يُريد

أيها البوّابُ إفتَح للمُريد
ها هنا ياصاحِ عُنوانُ النَّشيد
لا تَسَلْنِى الآن عن بَيت القصيد

أيُّها البوّابُ .. إفتحْ أيّ بابْ
إنّ رُوحى انسابَ فى تلك القباب
إنه فى الأرض مُذْ شبّ الضّباب
طار حتى لآذَ فى هذا الجناب

وهْىَ ذى يا صاحِ شُرُفاتُ الرّباب
افتحْ ، افتحْ أىّ بابٍ ، أىّ باب
أوَّ فقُلْ للروح مّا هذا الغياب؟
أو فسَلْ ذا الرُّوح عنى لِمَ غاب؟
إننى لم أدْرِ ما فىَّ يُعاب
لا تقُلْ عنّىَ إنّى من تُراب
إنّما قلْ .. آهِ ما أغلَى التُراب

أيُّهذا الرُّوحُ هلْ لِى مِن جوابْ!
هل أطل العُمْرَ أدْعُو لا أُجابْ!
أىُّ غابٍ أنا فيهِ ، أىّ غاب!
فُتّنِى يا روحُ مِن غير صِحاب
للنُّمور الجُرْدِ ، للأسْدِ الغضاب!
للأفاعى الزُّرْق ، أو زُرْقِ النّياب
والعجيبُ الآنَ فى غابِ العُجاب
أن هذا الغابَ يُحْمَى بالكلاب
الكلابِ السُّودِ أشْباهِ الذئاب
إنْ أكنْ أخطأتُ فى أمّ الكتاب
فالّذى فى الغاب يكفيه عذاب!

لا تقلْ لِي في غدٍ عندَ السّماء
سوْف تَلْقى الرُّوحَ أو تلقىَ الصّفاء
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ؟
ها هُنا في الأرض إنْ كان لقاء !

والسّما والأرْضُ والكلُّ سوَاء
وابتدائِي كان لِلْغَيْرِ انتهاء
وانتهاء الغَيْرِ لى كان ابْتداء
والمُساواةُ ، وتحقيقُ الإخاء

ذِي هِىَ الغاية يا رُوحَ السماء
لا ، ولكنْ إنْ يكنْ ثَمّ رجاء
فلْيكُنْ في الأرضِ تحقيقُ الرّجاء

النشـــيد

ذاتىَ العُليا تَجلّىْ فى قَصيدى
واجْعلى وجَهْكِ مرْآةَ نَشيدى

المُنىَ أنّىِ ، وأنتِ نلتقى
أىّ يومٍ شئتِ هذا يومُ عيدى

آهِ لَوْ سيناءُ نَفْسى تَلْتقى
بالسّنى الرُّوحىِّ فى الأفق المجيد

حينَ أسْتَشْعِرُ أنّ المُنْتَهى
لَفّنى فى ظلّه الدّانى البعيد

بينْما عَيْنى على أوْراقه
إنّما تقرأُ تَفْسير الوُجود

فإذا ما عُدتُ من تلك الرُّؤى
عدتُ كالبُشْرى بإنسانى الجديد

كان النشيد وعنوان النشيد : هما الأساس الفكرى لجمعية (دار الرياضة النفسية) التى أنشئت بمدينة المقطم سنة ١٩٦٠ ، وتعرف بجمعية إنسان الفصل الخامس ، وتهدف لتربية الإنسان تربية علمية وروحية رياضية .

وإذا الكونُ كأنّى سرُّه
أوْ كأنّى فيه ذو عهْدٍ جديد

أو كأنّى حكْمةٌ يُعلنُها
فى بُكاءِ البرْقِ أو ضِحكِ الرُّعود

أرسلُ اللّفظَ كما أُرسلُه
فهْو نفْحُ الجمْر أو نفْحُ الورُود

مزْهَرِى الحالمُ فى أُفْق الرُّؤى
عبِّرى رُؤياه يا أوْتارَ عُودى

أيّها الأفق الذى أحْببتُه
كان وَعْدى فيه، أمْ كانَ وعيدى

هلْ أرانى فيكَ يوماً فأرى
رأىَ عينٍ فيكَ ما سرُّ وجُودى

هائمٌ عندك رُوحٌ حائمٌ
عطّلتْ ساقيْه أثقالُ الحديد

ذُو جناحيْنِ : جناح مُطْلَق
وجناح عالق فَخَّ المَصيد

لَهفَ ، وَالهفَاهُ قلبٌ ثائرٌ
حلَّ هذا القلبُ فى الجسْم القعيد

حدّثونا فى السّما عن مَلَكٍ
نصْفه نارٌ ، ونصفٌ من جَليد

يالهَا من لَوْحةٍ قد صوّرتْ
شُعْلة الثّورةِ في أرْض العَبيد

خبّأتْ في نارها مَعْدِنَها
من برود الثّلْجِ في الطّبْع البَليد

ليْسَت الثورةُ ما نَلْبَسهُ
من شعاراتٍ حسانٍ أو وُعود

إنمــا الثــورةُ ما فَجّرَهُ
في الكيانِ الحُرُّ ينبوعُ الوَريد

لا تَظُنُّوهُ مَسيحاً ثانياً
جاءَ يُوري النّارَ في سبْتِ اليَهُودِ

إنه من أمّةٍ أصْلَحُها
لم يَعُدْ يَصْلحُ إلا للوَقود

لستَ عندي ثائراً ما لم تَكُنْ
طلقةً مقذوفةً من مدفع

قَدَرٌ ماضٍ إلى غايته
مُسْرعاً حتّى وإن لمْ يُسْرِع

لا يُبالي بالمسافات ، ولا
بالذي يَعْنيه كَسْبُ المَوْقع

الذي يَسْألُ عن موضِعه
سوف يَمْضي ما لَهُ من مَوْضع

أيّها الثائرُ عفْواً إن أنا
كنتُ أسْمَعْتُك ما لمْ تَسْمع

هَبْكَ كنتَ الصَّيْف أو كنتَ الشِّتا
أو ربيعاً للرّبيع الألْمَعى

أنا لا أبغيك ريحاً أوْ شَذىً
إنَّنى أبغيك قَلباً لَوْذَعى

إننّى أبغيكَ فَصْلاً خامساً
جامعاً كلّ الفصولِ الأرْبع

إيهِ يا روحَ الزّمان المُبدع
سامعاً بى أنتَ أمْ لمْ تَسمع

أنتَ فى القلبِ ، وفى الفكر معى

أيّها الأنفُ الّذى لَم يُجْدَع

ارْفَع الرّايةَ أوْ لا ترْفَع
وادَّعى ما شئتَ أوْ لا تَدّعى

إنّك النهرُ الذى لمْ يَنحرفْ
من مَصبِّ النَّهْر حتّى المَنْبع

أنتَ للأكوان فَصلٌ خامسٌ
رمزُهُ الحىُّ ابتدا من يُوشَع

يانَشيداً عَبقرىّ المَطْلَع
حيثُما شئتَ على الدّنيا اطْلع

لا تُبالى مَن يَعى أو لا يَعى
إنّك الفكرُ الذّى لم يُصْنَع

إنك ابن الكون ، والكون له
فى ابنه حق اختيار المرْضع

آدمٌ فيكَ استَوى فى أفقه
واعتَلى مَتْنَ الرِّياحِ الأرْبع

فى دَمى يَصرُخُ دمًى فى الوَتين
مثلما يصرخُ فى الكَهْفِ السَّجين

صَرَخاتٌ لستُ أدْرى كُنْهَها
لا ، ولمْ أعرف لها كيف أبين

كل ما أعرفُ عنها أنّها
فى دمى تَنْصَبُّ حَمْراءَ الرّنين

وكأنّ من صَدَى ضَوْضائها
عائمٌ فى مثل بَحْر من طَنين

ذلكَ المكبُوت منّى فى دَمى
ما لَهُ كالوَحْش مَسْعور العَرين

ويْحَ أمِّى ! كيْف لم تشعرُ بهِ
كيف لم تَقْتُلْه مُذْ كان جَنين

السَّما والأرض منذُ انفَصَلا
وهُما للوصْل موصولا الأنين

والرِّياح الهُوج من بَيْنهما
هنَّ رسْل الشوْق أو رسْل الحَنين

اى عيش أنتَ فيه يا أنا
دائناً قد كنتَ أم كنتَ المَدين

ولماذا جئتُ للأرض إذا
لَمْ أُعبِّدْ طُرْقَها للقادمين

لِمَ لا أُزْهَى بأمّى وأبى
مثْلَما الآباء تُزْهَى بالبنين

ليس مَن يشرب من ماء مَعين
مثْلَ مَن يشربُ من ماء وطين

مَغْرِس الأحْرار يسْتَصْرِخُنا
أن نُنَقِّى أرضَه للغارسين

كم تمنَّيتُ بأنْ أفْرشها
زَهرةً وَرْداً ، وأخرى ياسَمين

بعضهُم يَزْعُمُ أنّى ثائر
وأنا أزعُم أنّى لا أمين

كلُّ ما فى الأمر أنّى هائم
ولقد آثرتُ عيْشَ الهائمين

دائماً أذْنِىَ فيها كالصّدَى
أهْى ذى أصْداءُ آلافِ السِّنين ؟

لستُ أدرى أنا فى سينائه
أم بوادى التيهِ ا أمْ فى طورسين

وبُراقٍ لم يزَلْ في عُرْبه
لم يُهيِّءْ سَرْجه رُوحي الأمين

صِلَةُ الوَصل التي ينْشُدها
للسّما والأرض سرُّ العارفين

كِلْمَةٌ لله لوْ جسَّدَها
لم تكُنْ إلا نبيَّ الثائرين

جنّحي بي للسّما يا أمنياتي
وصِلي أرْضي بأعلى سمواتي

في جناحَيْ ملَكٍ من آدمٍ
فيه حبُّ الأرض حبُّ الشَّهَوات

لم يُفرِّقْ بين أرضٍ وسما
لم يفرِّق بين ذاتٍ وصِفات

ذُو جناحَيْن ، ولكنْ آدمٌ
فيه قد أصبحَ ربّيَّ السِّمات

فهْو فوق الأرض أو فوق السّما
أمرُهُ الأمرُ على السِّتِّ الجهات

ذُو إراداتٍ ، كما لَوْ أنَّه
ربُّها الأعلى ، وذُو جسْمٍ مُوَاتي

ليس من آدمَ ذوُ القَيْدِ الذّي
لم يزلْ يشكو به طُولَ الحياة

لا ، ولا مِن آدم هذا الذّي
لم يزلْ في الشرق يرْضى بالفُتات

حلقى بى ، إنما لا تخلعى
أبداً بالله عنى شهواتى

حلقى بى مثل إنسان له
كل ما فى نفسه من نزعات

ودعينى أجتلى شخصيتى
أو أرى ذاتى على مرآة ذاتى

قيمى العليا إذا لم تنسرب
فى دمى القانى ، فما معنى حياتى ؟

وخلايا الدم إن لم تمتلىء
قيماً عليا غدت بعض الكرات

أصبحت قفراء كالأرض التى
قد تسمى عندنا أرض الموات

لا يزيد الماء فى إروائها
غير أن تنبت سود الحشرات

أنا لا أرغب إلا عيشة
جسد أرضى ، ورأس فى الأباة

تلك وحدانيتى يا صاحبى
هذه أولى وأخرى الأمنيات

غن فيما شئت يا روح الأمل
واجعل الألحان للأذن طبل

لحنك الخالد بالنفس اتصل
مثلما لو كان منها قد نصل

غنِّ فى لحنك أو لحنِ الأزَل
صوتُك العذبُ له سحرُ القُبَلْ

يحفز الجسمَ إلى أن يَشْتَعل
يحفز الروحَ إلى الروحِ تَصِل

لست أدرى سرّه كيف حصل
لخَلايا النّفسِ أو كيف وَصل

مثل سلْكٍ كَهْرَبِىٍّ مُشْتَعل
دائماً أو مُوشك أن يشتعل

لا تسلنى يا أخى عن كُنْهه
ما وراءَ الكُنْهِ عنه لا تَسَل

إنه السرُّ الذى يَنْبوعُه
حين تَرْوى النَّفس منه تَكْتَمل

إنه السرُّ الذى نَرْجو به
للسّما والأرض حبُاً مُتّصل

بلْ هو السرُّ الذى دار به
فى جهاز الكَوْن دُولاب الأزَل

ولقد يهمسُ صوتاً كالغَزَل
حين تبدو الشمسُ فى بُرْج الحَمَل

فإذا حوّاء أمٌّ لرَجُل
قل لنا ما شئتَ فى هذا الرّجل

ولقد يَبْدو له صوتٌ زَجِل
يملأ النّفسَ حنيناً للعمل

وإذا بالأرض علم وعَمَل
وإذا الأفرادُ فى الأرض دول

ياسَمِيَ الرُّوحِ ، يا روحَ الأمَلَ

غَنِّنا غَنِّ ، ودعْنا نَشْتَعل

إنّ سرّ الأرض فيها لم يَزَل

لم يَزَلْ موسى وسينا والجبَل

شـــعرى

لم أقُلْ غيرَ ما حَسبْتُ مفيدا
ليتَ شعْرى هلْ قلتُ شيئاً مفيدا ؟

فإذا عشتُ ، عشتُ حُرًّا ضميرى
مستريحاً لمـا صنعتُ سعيدا

وإذا متّ ، متّ حرًّا لأنّى
لم أضفْ للحياة قيداً جديدا

بلْ إذا متُّ لم أجُرَّ ورائى
من كلامى سلاسلاً وحَديدا

أنفاس محترقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مذهبى فى الشعر

ما همت بشاعر ولا انجذبت إلى مدرسة ولا تعلقت بقدوة ولا احتذيت أى مثال وما عرفت لى أى مذهب غير ما أحببت أن أذهب إليه حتى وإن لم يتفق هذا مع أى مذهب .

إن المذاهب أو المدارس لابد لها من التبعية أو التقيد أو الالتزام . وهذا ما كنت لأطيقه بأى حال . وأحسب أن هذا لا يعنى الرفض ، بل لعله لا يعنى أكثر من أنى كنت مفتوح الصدر للجميع . . ولقد كنت وما زلت أرنو إلى النجوم على كثرتها فى السماء ،. وإذا بكل واحدة لها ما لها من السناء ، وعليها ما عليها من الحسن والرونق والبهاء ، فلا يسعنى حين أستمتع بكل هذه الآلاء ، إلا أن أبسط راحتى وأدعو للجميع بطول البقاء .

تماما تماما كانت هذه هى نظرتى للشعراء من جميع العصور ، من جميع المذاهب ، من أى الأجناس، من أى الألوان، متقدمين، متأخرين جاهليين ، مخضرمين ، أمويين ، عباسيين ، خوارج أو شعربيين ، من

( ) نشرت بمجلة قافلة الزيت – عدد رجب ١٣٨٥ هـ .

أخذ هذا المقال ، مكان المقدمة النفيسة التى كان قد كتبها الأستاذ الدكتور / فؤاد صروف تقديماً لأول طبعة صدرت فى « أنفاس محترقة » سنه ١٩٣٢ . ذلك لأننا ضمنا هذا المقال إلى مجموعة الدراسات التى أمكن جمعها عن أعمال الشاعر .

الفتاك أو الصعاليك ، حتى شعراء عصور المماليك إلى شعرائنا المصريين أو المعاصرين من المصريين أو غير المصريين من العراق إلى الشام إلى لبنان إلى الأعزة الأماثل من الشعراء المعروفين بالمهجريين حتى الشعراء الصوفيين من السهروردى المقتول إلى ابن عربي إلى ابن الفارض والبرعي والبوصيرى ونسيت أن أقول حتى الحلاج أيضا .

أى نعم ، لكل هؤلاء قرأت وأقولها بكل فخر وأعجبت وانتفعت ، وإنما فقط على القاعدة التى عليها خلقت فكنتها منذ شدوت وهى أنى لا آخذ إلا ما استحسنت . دون أن أحس أن أحداً غلبنى على عقلى أو فرض على أى سلطان . ولا أذكر ، والله ، أنى أقبلت على شاعر لسعة شهرته أو لسمو مكانته ، أو أنى انصرفت عن الآخر لقلة حيلته أو لسوء سمعته أو لهوانه على بيئته . فما كان للأحساب أو للألقاب أو لأى شيء من هذا القبيل فى نظرى أى اعتبار أو أى حساب .

وكذلك والحمد لله الذى لا يحمد على المكروه سواه ، وجدتنى من أبعد خلق الله عن كل تبعية أو انتمائية إلى أى ناحية مذهبية أو طائفية حتى عما يعرف فى الأوساط الأدبية بالكلاسيكية والرومانسية أو الواقعية والمثالية ولعل هذا هو السبب الوحيد الذى جعلنى أيضا بعيداً جداً عن معرفة العوامل الحقيقية التى تجعل أصحاب هذه المدارس المذهبية واقفين دائما بالنسبة لجماعة من الشعراء وكأنهم فى نظرهم جماعة اللاشيء . مع هذا فإننا نراهم وكأنهم واقفون دائما ودائما أيضا ولكن للدفاع عن جماعة أخرى هى بالذات جماعة الشعر الجديد — وأحسب أننا الآن نواجه أهم مسألتين ربما كانتا أهم مسائل الشعر الحديث فى هذا الجيل : أولاهما هى مسألة تقدير أعمال الشعراء الذين ليسوا من أصحاب هذه المدارس أو المذاهب الجديدة .

وهذه مسألة حقيقية ربما تكون أساءت الكثيرين وخصوصا من المجيدين

إن أصحاب هذه المذاهب الجديدة كثيراً ماجعلوا يصفون جميع من ليس منهم مرة بالمقلدين ومرة بالتقليديين حتى انتهوا أخيراً بالعموديين .

ومع هذا وذاك فانه يبدو لى أن أقول وبكل تأكيد إن جميع هذه المدارس أو المذاهب من كلاسيكية ورومانسية إلى آخرها ممثلة فى الشعر العربى قديمه وحديثه أصدق وأتم تمثيل . وبالحق إنه لاينقصها فى هذا إلا شىء واحد ، مع الاسف الشديد ، وهو أن دواوينها لم توضع فوقها هذه اللمغة المذهبية فلماذا توجد هذه التفرقة أوهذا الخلاف بين المجددين أو غيرهم ؟ ولعمرى وعمرك أى كلاسيكية أو رومانسية أو واقعية أو مثالية فى أشعار أية أمة من الأمم تحقق لها هذا النوع من الصدق الفنى كما هو محقق فى أشعار ودراوين شعراء هذه الأمة العربية ابتداء من أشعار الجاهليين إلى أشعار العباسيين إلى البارودى وشوقى وحافظ ورصفائهم من العصريين بل وبعض المعاصرين . . وإلى هنا . . وفى هذه المسألة وكفى . . .

أما المسألة الثانية وهى التى يتزعمها أصحاب هذه المدارس والمذاهب مدعين أو زاعمين أنها بالنسبة للشعر العربى أهم دعوة للتجديد أو لإيجاد الشعر الجديد ، لا أدرى ، فمن دون أى تمهيد دعونى أزعم أن دعواهم هذه منذ ماابتدأت حتى الآن لا تخرج عن نظرتين اثنتين : أما الأولى منهما فهى مسألة الوحدة الموضوعية فى القصيدة العربية وهل هى موجودة أوغير موجودة . أما النظرة الثانية فتدور حول اللغة المستخدمة فى الشعر وقربها أو بعدها من الاستعمالات اليومية . فاذا كانت المسألة الأولى فدعونى بالله أضرب كفا بكف وأقول : يا ألله . فى أى زمن نحن ؟ أو حتى الآن يوجد فى الناس من لايزال يريد أن يتحكم فى عقلية الفنان وأسلوبه ؟ هذه المسألة لايحتاج الحكم فيها لأكثر من كلمة ، كلمة واحدة

لاغبر هي : أهذا المخلوق شاعر أم لا ؟ طبعا إذا كان الجواب لا فهو خارج عن الموضوع تماما ، أما إذا كان شاعراً فلا شك أن له شأنه كالرسام والمصور والموسيقى الخ. وأظن أن لكل واحد من هؤلاء ما دام قد أصبح فى نظر الجمهور — أى جمهور — معدودا من هؤلاء فمن غير شك أنه قد أصبح له حقه الكامل أن يختار لمذهبه وفنه وأسلوبه ما شاء أن يختار فينوع فيه كما يشاء حتى لا يبرزه إلا فيما شاء — المهم كله هو كيف يجعل الجمهور يقبل على ما أبدعه من صور استطاع بما يملكه من التصرف فى الخيال أن يجعل من هذه الصور التى يعرضها إحدى الحقائق الفنية ، حتى إذا رآها الجمهور فلن يسعه إزاءها إلا أن يصفها بالجمال . ترى هل كان الشعراء موضع الاتهام بعدم وجود الوحدة الموضوعية فى قصائدهم ؟ أليس لأى واحد منهم جمهور ؟ أم أن الجماهير الخاصة بأولئك الشعراء كانوا خلقاً آخرين مجردين من الذوق والوعى ومن كل إحساس بالجمال ؟ . .

كم أود أن أقول لأصحاب نظرية الوحدة الموضوعية فى القصيدة العربية إن الحكم فى هذه المسألة ليس لهم ، وإنما هو للجماهير فقط ، خصوصا ونحن الآن فى زمن قد وجد فيه من الرسامين من يدعى بيكاسو ولا أظن فى المثقفين من يجهل بيكاسو وأسلوبه وما يعتمد عليه من بقعة حبر هنا إلى لطعة من لون آخر هناك . ومع هذا فقد صار له من الجمهور من يدفع فى إحدى لوحاته مائة ألف دولار . هل تحبون أن أقول لكم إن الشعراء الذين تتهمونهم الآن بهذا الخلط فى الكلام قد وجدوا لهم من جماهير أيامهم وأزمنتهم من يدفعون فى إحدى قصائدهم هذه المائة ألف أيضاً بالدينارات و الذهب .

بقيت المسألة الأخرى والأخيرة وهى اللغة وكونها كلاسيكية قديمة أو عصرية أو يومية .

وأرانى فى هذه المسألة بالذات أحب بكل هدوء أن أسأل : أى ديوان من دواوين الشعراء فى أى عصر يمكن أن يقال إن اللغة المستعملة فيه لم تكن لغة عصرها ؟ المشاهد والمعروف حتّى فى عصرنا هذا ، أن أى شاعر ينشد الناس بلغة غير مفهومة لهم فأقل جزاء له عندهم أن ينصرفوا عنه ولا يعدوه شاعراً بأى حال بل ربما شيعوه بالزراية أو بالصفير حتّى لا يجد معدى عن أن ينصرف عنهم أو يسكت وهو فى غاية من التحقير مما رآه من شدة النكير . وبالاختصار إذا كان أى شاعر فى قطاعه يقول ما لم يفهمه الناس ، بل أقول إنه إذا لم يبدع حتّى يفتتن به الناس فبالله كيف استطاع أن يجعل شعره مما يتغنّى به الحداة أو مما ينتقل من جيل إلى جيل فى أفواه الرواة ؟ الحق أن هذه الدعاوىٰ المذهبية تذكرنى الآن بكلمة أرسلها المغفور له الأستاذ أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام الأسبق فى إحدى مقالاته ذات يوم ، قال : « إن الجيل الذى يقود الشرقَ خليط غير متجانس .ٰ وعدم تجانسه أوضح ظهوراً فى إدراكه وميوله منه فى أجناسه وأصوله . فهنا علم ولكنه علم اصطبغ بنزعة من أخذنا منه العلمَ . وهناك جهل ولكنه جهل مقرون بالادعاء يغشى البصر والبصيرة » . إلى أن قال : « فلا عجب والحالة هذه أن يضل الشرق الطريق السوى للوصول إلى مثله الأعلى » . ربما .. بل بالتأكيد إنى لا أحب أن أذهب إلى هذا الحد من التشاؤم وخصوصاً بالنسبة للشعر ونقاده من أصحاب هذه المدارس أو المذاهب . كما لا أحب أن أذهب أيضاً إلى ما يقوله الناس فى هؤلاء النقاد الجدد وإنهم ليس لهم أى ابتداع وإنهم فى جميع ما يرددونه ما هم الا أتباع نقلة ، إما عن المدرسة الفرنسية (التينوية) نسبه إلى « تين »

الناقد الفرنسى الكبير ، وإما عن المدرسة الانجليزية (الاليوتية) نسبة إلى الشاعر الانجليزى الشهير المسمى « إليوت » . بل ومعاذ الله أن أكون إلا على العكس من هؤلاء القوالين جميعاً . وكيف لا أكون .أو بأى ضمير أجحد فضل هؤلاء الأساتذة وما أضافوه إلى أشعارنا من ألوان وإلى آداب لغتنا من بيان وإحسان فوق ما لها فى البيان من إحسان ؟ ولكن لاشك أن الاعتراف بالفضل وتقدير الجهود شىء : أما الحق وأما نظرتهم للشعر العربى وتجويده فهذا شىء آخر بالمرة .

إن هذا التجديد كما يدعوننا إليه ليس فيه أى تجديد مطلقاً ، ولعله أولى أن يسمى بالتجميد لا بالتجديد . إن تجديد شعر أى أمة من الأمم ينبغى أن يوضع فى كفة ، وطموح هذه الأمة فى كفة أخرى ، فإن تعادلا معاً فى كفتى هذا الميزان فهو ذاك ، وإلا فالنتيجة يجب أن تكون مفهومة لكل إنسان . ولقد مر الشعر العربى فى هذه التجربة فى عدة أزمنة فما قصر فى أى زمن كان . فقد حمل رسالته فى عهد القبيلة أيام جاهليته فما تفوق عليه أى شعر حتى هوميروس فى إليادته . وليسأل العلامة البستانى مترجم الإلياذة فى هذا من شاء . حتى إذا انتهى عهد القبيلة وجاء دور الدولة فما كان أقل صولة ولا أضعف جولة . وجاء دور الأمة فما كان أسبقه إلى رفع اللواء والجهر بالنداء والحداء والدعوة إلى الإخاء . بل لقد كان هو الرائد الأول لكل من ظهر على مسرح السياسة من العظماء والزعماء . ولكن لا شك أن الأمة الآن تغيرت عما كانت عليه ، وأنها ماضية فى هذا السير من تغيير إلى تغيير حتى لكأن طموحها لا يريد أن يعرف له أى حد يقف عنده أو يتوقف عن المسير . والآن أظن أنه لا يختلف اثنان فى أن الشعر ينبغى أن يتجدد ثم يتجدد حتى يبلغ من النمو والتطوير إلى نفس المستوى الذى يستطيع به أن يجيد التعبير عن أمته . إن الشعر محتاج إلى التجديد . وهذا مالا شك فيه . ولكن أى تجديد هذا الذى يراد لشعرنا حتى يتمشى مع طموحها والسير مع زمننا ؟ هل هو

التجديد الذى يتداعى إليه أصحاب هذه المدارس والمذاهب إياها . وهو لا يزيد عن أنه مجرد تجديد فى إحلال كلمات بدل كلمات أو استعارات بدل استعارات وإيثار رمزيات عن غيرها إما بوصفها تشبيهات أو كنايات ؟ وقصارى كل ما فيه من تجديدات فإنها ما هى بأى حال من الأحوال أكثر من أنها شكليات أو سطحيات ؟ إن التجديد الذى ينبغى للشعر الآن يجب أن يتجاوز هذه المظهريات جميعا. إنه يجب أن يخترق هذه القشرة البشرية الجلدية حتى يصل الى النقطة الحساسة الجوهرية التى متى خرج منها التعبير، أى تعبير ، فإنه حينئذ لا يمكن الا أن يكون مشحوناً بكل ما فى صاحب هذا التعبير من إخلاص وصدق وعقيدة ووجدان وضمير . هذا هو الشعر كما أعرفه . ولكن ما هى الوسيلة إلى هذا النوع من التجديد ؟ إن شعر أى أمة تماماً هو الصورة الصحيحة لهذه الأمة .

فإذا قلت إنك جددت شعر أية أمة فلا فرق مطلقاً بين هذا القول وبين أن تقول إنك جددت هذه الأمة ، ولا يمكن أن تتجدد أمة ، أى أمة ، إلا إذا كان لها قاعدة فلسفية تنبثق عنها جميع مناهجها التربوية . وهل يكون الشعر إلا أحد هذه المناهج ؟ فمتى وصلنا إلى هذه الفلسفة التى لا ترى فى الإنسان إلا أنه وحدة كلية ، واستطعنا على ضوء هذه الفلسفة أن نضع مناهجنا التربوية التى لا تقف عند مفاخر القبيلة إلى حد الصراع متى كانت هذه النظرة هى نظرتنا إلى التجديد فى الشعر ، ومتى كان هذا هو الينبوع الذى نستلهم منه أو نأخذ عنه.، فعندئذ وعندئذ فقط سوف لا نختلف على التجديد فى أى نوع كان من أساليب التجديد للفنان أياً كان هذا الفنان ، أهو الرسام ، أو المصور ، أو الموسيقى ، أو الشاعر الفنان ، لأنه حينئذ يكون هذا هو الشاعر الإنسان .

هذا هو مذهبى فى الشعر الذى رجوت الوصول إليه فى شعرى عامة ، و « عنوان النشيد » و « النشيد » خاصة . على أنى إلى الآن إن لم أكن بلغت منه ما رجوت ، فحسبى أنى لم آل الجهد فيما حاولت .

محمود أبو الوفا

تغـــريدة

صدْاحةَ الروض ، ما أشجاكِ أشجانا
نوحي بشكواك ، أو نوحي بشكوانا

ذاب الفؤاد أسى إلا بقيّتَهُ
الآنَ أذرفُها من عيني الآنا

للحُبُّ عندىَ .. سرٌ لا أبوح به
إلا دموعا ، وأناتٍ ، وألحانا

فى ذمةِ الله ، قلبٌ ، لم يجِدْ سكناً
يأوى إلى ظلّه . . فارتد حيرانا

فازت هذه القطعة بالجائزة الأولى فى أول مسابقة شعرية أقامتها محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، وكانت لجنة التحكيم من حضرات : الأستاذ الجليل المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق و جعفر و الى (باشا) و يونس صالح (باشا) .

يالَيلُ ساهرُه . . يا أحلامَه احتشدى
يادَمْعَه . . واتيه سرًا وإعلانا

يا حُسْن لَبَّيْكَ .. إن تأمُرْ فها أنذا
من خير مامَلكتْ يُمناك . عبْدانا

إنّ الذى صاغ آياتِ الهوى . . عجبا
لم يرْضَ غيرى أنا للحب عُنوانا

حسبي . إذا الحب أضنانيفمتُّ هوى
إن يذكرونى . . قالوا : «كان إنسانا»

عندما يأتى المساء

عنْدَ ما يأتى المَساءْ ونجومُ اللَّيلِ تُنْشَرْ
اسألوا لى الليل عن نجْ مى متى نجمىَ يظْهَرْ

عنْدَما تَبْدو النُّجوم فى السما مثْلَ اللآلى
اسألوا : هل من حَبيبٍ عندَه علمٌ بحالى ؟

كلُّ نَجم رَاح فى اللَّيْ لِ بنَجمٍ يتَنَوَّرْ
غَيْرَ قَلْبى فهْوَ مازا لَ على الأفْق مُحَيَّرْ

يا حبيبى لكَ روحى لك ما شئتَ وأكثَرْ

---

* إحدى أغنيات فيلم (يحيا الحب) الموسيقار الأستاذ محمد عبد الوهاب .

إنَّ روحي خيْرُ أُفقٍ فيه أنوارُكَ تَظْهرَ

كُلّما وجّهْتُ عيْني نحو لمّاحٍ المُحيّا
لم أجدْ في الأفق نجما واحداً يرْنُو إليّا

هل تُرَى يا ليْل أحظَى منكَ بالعطفِ علَيّا
فأُغنّي . . . وحبيبي والمُنَى بين يدَيّا

فى انتظار الصباح

جدِّدْ لىَ الأقداحْ يا ساقىَ الراح
علىَّ أرى فى الراحْ أطيافَ أفراحى

فى مِزْهرى ألحانْ أخشى أغنِّيها
أخشى على الأوتارْ من هول ما فيها

يا مِزْهر الأقدار غَنِّ بها غنِّ
واشرح على الأطيارْ ما غاب من فنِّ

لكل يوم شرابْ لا بدَّ من كاسِهْ !
وكل معنى العذاب فى لون إحساسه !
من ذا يردُّ الصواب للدهر فى ناسه ؟
للغاب يا ابنَ الغاب اهرب فداك اللوّاح

تبًّا لضعف التراب أغرى عليه الرياح
لولايَ في ذا الإهاب ما هيض مني الجناح

لا تسألوا يا شهودْ عن حكمة الأقدارْ
وأين نحنُ العبيد مما وراءَ الستّار
ومن تخطىَّ الحدود يُلقىَ به في النار
« النارِ ذاتِ الوقود » يا رب يا ستـار
ربان بحر الوجود أدرى بموج البحار
فاستسلموا للوعـود وامضوا مع التيّارْ

هاتِ اسقني يا صاحِ كأس الهوى الفضاحِ
سكران ، لكنْ فؤادي مما يعانيه ، صاحِ
ياليلُ ، هل من مداو ياليل ، يَشْفي جراحي ؟
لم يُجد فيك اصطباري وليس يجدي نُوَاحي !
يا هل تُرى لي صباح أم ليس لي من صباح ؟

أريـــد

أريد . . . وما عسى تجدى « أريدُ »
على من ليس يملك ما يريد ؟

أريد أتى إلى الدنيا ، فأعطى
لها الثمنَ الذى يبغى الوجودُ

أريد العيشَ ، مثل الطير ، حرًّا
طليقاً ، لا تغلّله القيودُ

أريد . . . أفك عن نفسى قيوداً
يُقاد بها — على الخسف — العبيدُ

أريد . . . من الغرائز أن تسامى
فلا طمعٌ يذل ، ولا حقود

أريد . . من الغنى حظا . . كنفسى
كفاه ، ليس ينقص ، أو يزيد

أريد . . . لهـذه الدنيـا سـلاماً
أريد الحُبّ فى الدنيا يَسُود

أريد . . . هذه الأنهار تجرى
هنا وهناك ، ليس لها حدودُ

أريد . . . لهذه الأطيار تشدو
كما يبغى لها الصوت المديدُ

أريد . . . لهذه الآمال تسمو
وتزهو فى الحياة ، كما أريدُ

أريد ، وما عسى تجدى « أريدُ »

على من ليس يملك ما يريد ؟

ضحايا

تزدحم شوارع وميادين القاهرة، قبيل عيد الأضحى، برعاة الأغنام يعرضونها للبيع . وفى إحدى السنوات ، وكنت فى ميدان باب الخلق بالذات ، راعتنى هذه المعروضات من الضحايا ، فلم يسعنى حين فكرت فى المصير المحتوم لتلك الجماعات إلا أن أنطق بهذه الكلمات .

عهدُ الجهالاتِ أم عهد الحضاراتِ
لن يبرح الناسُ عُبداناً وساداتِ

فوارقٌ ستسودُ الأرضَ ما لبثتْ
تلكَ العداوةُ بينَ الذئب والشاة

لن تبلغَ المجدَ إلا إن صَعدْتَ له
على سلالم أشلاءٍ وهاماتِ

هذى الديانات تنهى أن يُراقَ دمٌ
والهدْىُ بالدم قُربان الدياناتِ

ياليتَ شعرى خرافُ العبدِ هل علمتْ
ماذا يُكنُّ لها عيدُ الضَّحيَّاتِ

وليتَ شعرى هل تلقى الخرافُ غداً
كبشاً يَغارُ على تلكَ الذبيحاتِ

هيهاتَ هيهاتَ إنَّ البَهمَ ما خُلقت
إلاَّ مطايا لأغراضِ الزعاماتِ

عهدُ الصَّراحةِ ما بالُ الصَّريحِ به
لا يملكُ النُّطقَ إلا بالكناياتِ

أحبُّ أضحكُ للدُّنيا فيمنعُنى
أن عاقبتنى على بعضِ ابتساماتِ

هاجَ الجوادُ فعضَّتهُ شكيمتُهُ
شُلَّتْ أناملُ صُنَّاعِ الشكيماتِ

حيرة

أفضى . إليك بسرى
أفضى إليك بروحى

ياليل . . هل من مداوٍ !
ياليل . . يشفى جُروحى !

فى العين ، دمعٌ عصى
وراء جفنٍ ، قريحِ

وفى الضلوع ، أبىٌّ
يهفو . . . لكل مليح

أواه . . . مما أعانى
بين الهوى والطُّموحِ

رأت شحوبى . . فقالتْ :
ياللهـــــوى المكبُوحِ

فقلت : ليس لهذا
حزنى ، ولا تبريحى
وإنما . . . ضاق صدرى
عن حمل ما فى الروح

يجيش صدرى بصوت
دَامى الصدى مقروح
إن يبْدُ ، لم يُعزَ إلا
لثائرٍ ، أو جَمُوحِ . . !

وَاهاً . . . ووَاهاً لقلبى
وَاهاً له من جريح
لم يدْر سهماً رماه
أتاه من أىِّ ريحٍ !
الأرضُ ، لم يبق فيها
من موطنٍ للصريح
من لم يُغنِّ بموسى
غنى لعيسى المسيح

ياروح ، من أين جئتِ
من حيثُما جئتِ ، روحى
سرُّ الحياةِ . . . اليمُّ
بُوحى به . . واستريحى

من الأعماق

كانت هذه القصيدة ، همهمة قلبين
حالت بينهما بعض التقاليد .

ياليل . . هل ترثى لواجدْ ؟
ياليلُ . . أنت عليَّ شاهد
أشكو الوسائدَ للمراقد ، والمراقدَ للوسائدْ
وجدٌ ، أقضّ مضاجعى
هيهات ، ينجو منه واجِدْ
بينى ، وبين هواى أبعاد
. . تَضِلُّ بها المراصد

« عيسى » . . أخوك « محمد »
وكلاكما ، بانٍ وشائد

ما للنصارى فى كنائسَ
والحنائف فى مساجدْ ؟

ما للرواشـــــــد ، مالهم
لا يُصْهرون مع الرواشـــد ؟

أو ليس « آدم » واحداً ؟
أو ليس دينُ الله واحدْ ؟

لم لا يكون الحبُّ ، وهو الأصْلُ ، رائدَ كلِّ رائدْ ؟

من فلكٍ بين عُرَى القلوب . .
. . وشد من عُقَد العقائد ؟

ومن الذى خلّى القوَارحَ ؟
لُعْبَةً . . بيدِ الولائــــــــد ؟

رفقاً بأفئدة ، تُحرَّقُ فى المجامر للمعابدْ
رفقاً على الأنفِ الشكيمِ مِنَ الشكائمِ والمقاودْ

أصبحتُ — من خوف القيود
أخافُ وسوسة القــــــــلائد

جعلوا قواعدَ . . . للحياة
هل الحياةُ . . لها قواعدْ ؟

ياقلْبُ ، ويحك ، فاتئـــــــدْ
يكفى الذى بكَ من مواجِدْ

من ذا تُناغى فى دُجى الليلِ . .
. . البهيم ، ومن تناشد ؟

لُغةُ البلابل . . أين تذهبُ
. . بين هدْهدَةِ الهداهدْ

أسفى على قلبٍ غوَى
أسفى على ساعٍ لقاعد

لمّا سمعتُ أزيـــــزَهُ
أزّ الحـــــديد على المبارد

ونظرتُهُ ، فعـــــرفتُه
بين القنائص والطّـــــرائد

ناديتُه : ماذا تـــــرى
يا قلبُ ؟ ، ماذا أنت واجد !

فـــــرّنا إلىّ ، ولم يفُه
حالَ الغوىّ ، حيالَ راشد

صيادُ غزلانِ الكثيبِ ، اليوم ، عبرةُ كلّ صائد
اليوم ، أين عداتُه يرثُونه ، فيما يُكابد
ما زالَ يجلُدُ للشهوَى حتى هوَى تحتَ الجلامد

يجتاسُ بين أضـــــالعى
كالفرخ يخفُقُ فى المصائد

يا قلبُ ، حسبى إن أمُتْ
فى الحبِّ ، أنّك فيه خالد

للمجد ، من ربح الفتوحَ
ومن قضَى عُذْرَ المجاهد

والله فى ورد الهـــــوى
ما امتَحتَ يوما سؤرَ وارد
تُثْنى عليك الوارداتُ . . .
. . وإن شكتْ منكَ الموارد

قيــود

قضى زمانى علىَّ أنى
أمشى ورجْلاى فى القيودِ

حالٌ بها فى خطاى يمشى
ذلُّ الأسير الْمخُطىِ المقُودِ

ويلاه مما لقيتُ منها
ويلاه للسيِّد الْمسودِ

ظلمٌ ، ولكن أنىَّ قُضاتى !
بل أين لى فيه بالشهودِ ؟

مِن مِثْله لم يزل لعيسى
دمٌ على مذبح اليهودِ

يارب فيمَ الوجودُ إذ لم
تمنحْه حرّيةَ الوجودِ !

أكلّما « صالحٌ » يولي
وجهاً ، فلابدّ من « ثمود »

يا زمني ، فيك وجهُ عادٍ
فهل ترى فيَّ وجهَ هودِ

أبْشرْ وثقْ بي فلا نبي
يبعثه الله للقـــــــرود

يوم اللقاء

آه يا يومَ لِقاها ليتني كنت إلها
كنتُ صيَّرتُكَ في الأيّام يوماً لا يُضاهَى
لأمرتُ الشمسَ تبقَى فيكَ لم تَبرحْ سماها
ثمّ أمْدَدْتُكَ شهراً رافلاً تحتَ ضِياها
فاستحمَّت بالضِياء الأ رضُ من جور دُجاها
وَارْتوَتْ بالنور حتّى نسيتْ طُول ظَماها
وأبحتُ الناس للنا س خلوداً وشفاها
فقضى الناسُ جميعاً كلّ نفس مشتهاها
فإذا ما كلُّ نفسٍ بلغت فيك مُناها
عُدتُ فاستغفرت للدنيا جميعاً من خطاها
و تناسيتُ لحوّاء ومَنْ كانَ غوَاها

آهِ يا يومَ لِقاها ليتني كنتُ إلها
كنتُ صيَّرتُكَ في الأيام يوماً لا يُضاهى
لستُ أنسىَ لك ما عِشتُ يداً عندي وجاها

عندما جاء رَسولٌ ودعانى أن أراها
فتَسَرْبَلتُ حِمىَ اللهِ وخطّبتُ حِماها
لا أبالى ، لا أبالى بِعدانى أو عِداها
ثم صمّدتُ الى حيثُ تلقّانى رضاها
فاعتَنَقْنا باليدَين وفَمى عانق فاها
وقضينا الساعةَ العظمى كما شاء هواها
ساعةً أنسيتُ فيها كلَّ شىءٍ ما عداها

آهِ يا يومَ لِقاها ليتنى كنت إلها .

الطفلة الكبيرة

مَليكتى كأنَّها من عُنصُر الأُلوهةِ
كأنها مخلوقةٌ من دَعةٍ وثورةِ
وقلبُها مكوَّنٌ من رحمةٍ وَقسوةِ
ومن رِضًى وغضبٍ وشدةٍ ورقَّةِ
وقد تُريكَ قوّةً تفوقُ كلَّ قوّةِ
وتنثنى ضعيفةً أضعف من قبَّرةِ
حتى تُرى مسكينةً ليس لها من حيلةِ
طبيعةٌ كأنها الـ مرآةُ للطبيعةِ

فقد تحبُّ كلَّ شىْءٍ فى الحياةِ رأتِ
وقد تُرى مَلولةً مِن كل مَنْ أحبَّتِ
فكم أحبَّت لعبةً وانصرفت عن لعبةِ
فبينما تُبْصرها مشغوفةً بكلبةِ
إذا بها قد صرَفَتْ تَلعابَها لقطّةِ
إذا بها قد شُغلت بزَهرةٍ أو وَردةِ

يا هل ترى إلهتى		عاملةٌ ما أتت
أم كلُّ هذا عندها		يجئ عفوَ الصُّدفةِ
وكل ما قد أبصرتْ		فى هذه البريَّةِ
لمَّا يَزِدْ فى عينها		عن دُمية الصبيّةِ
تنظرها فى ضحكةٍ		طروبةٍ أو بسمةِ
يا ويحها يا ويحها		من طفلةٍ كبيرةِ
قد وُضعت فى عينها		نظّارةُ الإلهةِ
عرفتُ فى طباعها		كلَّ طباع المرأةِ

حلم العذارى

اسمحي لي الآن أن أسألَ فيما تُفكرين !
أبواكِ لا يضنّانِ بشيء تطلبين
كلّما أحببتِ شيئاً مِن رخيصٍ أو ثمين
هومن يُسراكِ أدنَى منه للكفِّ اليمين
ليت شعري أي شيء بعدُ فيه تفكرين !

هذه الدُّنيا كما تبغِ غينها تبغي رضاكِ
النجومُ الزُّهر ودَّت أنها بعضُ حُلاك
وشذا الزَّهر تمنَّى أنهُ كان شذاكِ
وشُعاع الشمس أحلى ماسَرى خلفَ خُطاك
ثم ماذا ليتَ شعري أنت فيه تفكرين ؟
خبّريني أيُّ شيء تفكرينه... خبّرين ؟

هاهُما عيناكِ تغريني على شتّى الظُّنون
فيهما بَحرٌ وموجٌ وسُهول وحزون

ووضوحٌ وغُموض		واضطرابٌ وسُكون
ومَعانٍ بيِّنات		ومَعانٍ لا تبين
وتَهاويلُ فُنون		من رشادٍ وجُنون
وأشعّاتٌ حَيارى		من مُنًى أو من حَنين
ليت شعرى أىُّ سرٍّ		خلفَ هاتيكَ الجفون

آه إنَّ السرَّ أنْبا		عنه ذان الطائران
حينما مالا على غُصْـ		ـنَيْهما يعتنقان

رسالة الكوخ

لم تكتبى لى كما وَعَدْتِ
فى وعدك الصادق النبيل
أخشاكِ أخشاكِ أن تكونى
سمعتِ ما قاله عذولى

يالى من الحُبِّ لم يَعُدْ لى
به رجاءٌ إلى الوصول
تقطَّعتْ فيه كُلُّ سُبْلى
فليس لى الآنَ من سبيل

وأفحمَتْ فيه كُلُّ رُسْلى
فليس لى الآنَ من رسول

الله الله يا حبيبى
ماحال من عهدك الجميل !
أيامَ كانت لنا ظِلالٌ
من عطفك الوارفِ الظليل

يقوم فى فيّها هوانا
ملحّنًا أطهرَ الميول

فما اشتهينا إلا ونلنا
من الهوى المسعد المنيل

وما على الحبِّ من عصيّ
وليس فيه من مستحيل !

ظُهريّةَ الكوخ(١) إن تعودى
فدًى لك العمر إن تُنيلى

كرُمتِ عند الهوى مَقيلا
هيهات ينساه من مَقيل

لم أنسَ لمّا جلستُ أشكو
إليه من هجره الطويل

والحبُّ مصغٍ لنا طروب
بالخِلّ وافٍ إلى الخليل

وحولنا أمّةٌ دَجاجٌ
محصوصة الرِّيش والذيول

يُطاع فى أمرهن ديكٌ
يُنْمى إلى أكرم الأصول

يَزْهى على جمعهنّ زهواً
بعُرفه الأحمر الجميل

---

(١) كان اللقاء مع الشاعر وهذه الصديقة وقت الظهيرة وفى ذلك الكوخ الذى ترى وصفه هنا.

كأنه بينهم أمير
أو مُستبد من البُعول

فياله ُ سيّداً مُطاعاً
مَتاعـُه ليس بالقليل

ويالديك ٍ أضحى مليكاً
بلا شريك ٍ ولا مثيل

وصاحبُ الكوخ فى انْتشاء ٍ
مؤمّل ٌ فى العطا الجزيل

يروحُ فى كُوخه ويغدو
مُرحِّباً بالهوى النزيل

ونحن فى أمرنا ارتفعنا
عن كل قال ٍ وكلّ ِ قيل

فلم نُفكِّرْ بمن إلينا
من ذلك الرهطِ والقَبيل

كأنما نحن قد علَونا
عن عالِمَ الرّقّ والفُضول

كأننا بالهوى انْتَشينا
أو أننا منه فى ذُهول

يا جيرةَ الكوخ ! أين أنتم
الآن ؟ منى ومِنْ عَويلى؟

لم ينطفئ ما بنا إليكم
من لاعج الشوق والغليل

ظُهْرِيَّة الكوخ إن تعودى
فدًى لك العمر إنْ تُنيلى

لم يبق فى الحى

لم يبق فى الحى لا راع ، ولا والى
فليت شعرى لمن أشكو له حالى

بلى كأنى لم أسمع بمن سلفوا
من كلّ ذى همة علياء ، مِفضال

ليت الأيادى التى طاحت بهم قُطعتْ
أو ليتها قبلهم طاحت بأمثالى

رغبتُ عن معشرٍ ، ما خلتُ فيه فتىً
يجود عن رغبة ، يوما بمثقال

أستغفر الله ، بل إلا لزُمْرتِهِ
فمن نديم ، لقواد ، لدجال

لا أكذب الله إنى قد بلوتهمُ
حتى نخلت سجاياهم بمنخال

ومهمهٍ تأكل الأصداءَ لفحته
بين الشجى والوجى ألقيت أثقالى

أعملت فيه العصا علّى أرى رجلا
قد قيل عنه كريم العم والخال

فما تبينته ، حتى لقيت به
جسماً ولكنَّه من قلبه — خالى

آلىَ على جاهه ، لا يستظل به
غير الظباء ، ذوات الدَّل والخال

لاهمّ إن كان هذا الخصب يورقُه
ذاك السِّمادُ ، فإن الخير إمحالى

سلوا (الوساطاتِ) فى مصرٍ وما اصطنعت
سلوا (الإدارات) من دُونٍ ومن عالى

كم من كريم كبت فيها مطامحه
وكم لئيم بهـــا طلاع آمال

سلوا المعارف عمَّ فى مدارسها
يهمُّها غير طربوش وسربال

ما خلت أن قُشورَ العلم تنفعنا
إلا إذا رَوىَ الظمآنُ بالآل

وجَّهتُ نحو رجال الدين راحلتى
فلم أجد غيرَ ختالٍ ومحتال

وَيْلي على الأزهر المعمور من قدم
أذله أهله من بعدِ إجلال

يا قوم إنّ تآليفَ الأُلَى سبقُوا
شابت وما نفعُنا بالقيل والقالِ

وما النِّظامُ وتلكَ الكُتْبُ باقيةٌ
إلا كوَشْيٍ على أثوابِ أسمالِ

البيئة

ما احتيالى ! فى بيئة لم يُصدَّر
من ذويها ، إلا سليط اللسان

أغفلوا الفضل فى الموازين حتى
ليس فيها ، لِلْفَضْلِ من ميزان

١ ـ نصيحة

إذا شئت أن ترقى بمصرَ إلى العُلا
فهاك طريقا ـ للمعالى ـ مجرَّبا

لكل رئيس ، رُحْ بوجهك كله
فكل رئيسٍ يلتقى فيك لولبا

٢ - رق

رُقِيُّكَ فيه برهانٌ صريحُ
على التخلق الموصِّل للترق

فإنك طاعةٌ عمياء ، تمشى
بحق للرئيس وغير حقٍّ

كأنك لم تكن يوما بحُرٍّ
فيالك بيننا عُنْوان رِقٍّ

٣ ـ قل لى

أخى ، قل لى ولا تخجلْ !
بماذا قد ترقيتَ ؟

وما أنت بذى جاهٍ
وعمرك ما تزوجتَ

أخى ، قل لى ولا تخجل
بماذا صرتَ بكباشا

وما أنت بمحسوبٍ
على « بيهٍ » ولا باشا

٤ ـ كفاية

قالوا : فلان ترقى
من غير أدنى كفايه

فقلت : لا نظلموه
فكم له من وشايه

أكلُّ مهوش حذق الكلاما
بوادى النيل ، يدعى عبقريًّا

فيا خوفى غدا لو جاء حاوٍ
نُجَنُّ به وندعوه نبيا

٥ ـ جـــاه

لا تلمه إن لم يعنك بجاه
هو قد باع نفسه ، واقتناه

فحرام إن باعه دون ربح
أو بشيء أقل مما اشـــتراه

كم مجاز بها ترضى رئيسا
قبل أن يغتدى عليك رئيسا

فإذا شئت أن تنـــال رضاه
فأته ، بالذى أتى مرءوسا

٦ - بين عهدين

زعموا حكمهم لمصر دواء
من مخازى الرشى ، وعهد المساوى

ولعمرى لم يصدقُ القوم إلا
قدر ما يصدقُ العيونَ الخلوى

بدلوها من الرشى ، عهد سوءٍ
بالوساطات ، والشفاعات ، داوى

هى أسماءُ زيّفوها بأخرى
وتدار يصح منه التداوى

مَنْ لمصرٍ ؟ والداءُ يُشْفَى بداءٍ
بعداءٍ ، يُجيرها مِنْ مُداوى

٧ ـ ضمان ؟

ضمان أن تعيش بمصرَ عيشا
رَغيداً لا تُنغِّصه الليالى

فنافقْ ما استطعتَ بها نفاقاً
وَعشْ ذَنَباً لأصحابِ المعالى

٨ ـ من أنت ؟

من أنتَ فى الدنيا فأهجوهُ
ويُروَى ذاك عنِّى

ما أنتَ إلاَّ خِزيةٌ
فاعزُبْ ، فلا قُرِّبتَ منِّى

رثاء نفسى

فى ذمةِ اللهِ نفسٌ ذاتُ آمالِ
وفى سبيلِ العُلا هذا الدم الغالى

بذلته ، لم أذق فى العمر واحدة
من الهناء ولا من راحة البال

كأننى فكرةٌ فى غير بيئتها
بدَتْ فلم تلق فيها أىَّ إقبال

أو أننى جئتُ هذا الكون عن غلط
فضاق بى رَحْبُه ، المأهول والخالى

أبى وفى النار مثوى كل والدة
ووالدٍ أنجبا للبؤس أمثالى

خلفتنى فوضعت الحبل فى عنقى
تشده كفُّ دهرٍ جدّ ختّالِ

ما كان ضرّك لو من غير صاحبة
قضيتَ عُمْركَ، شأن الزاهد السالى

مالى أرى الدين والدنيا قد اختصما
كلاهُما عن أخيه معرض سالى ؟
كأنه رابَهُ منها تزينها
فرابها هى مِنه ثوب أسْمالِ
أليسَ من مُصلحٍ يمشى بصاحبهما
شبيهَ « لُوثرَ » قوّالٍ وفعّال

يا نيلُ ألْهتَ أبْطالاً قد انكشفُوا
بعدَ الحوادثِ عنْ أشْباهِ أبطال !

لن أسيء

لنْ أسيء الظنَّ فيك أبدا
فإذا شئتِ عطاءً فامنعى

إنما اللومُ على النحس الذى
كلما أذْهب ألقاهُ معى

لو خلعتُ الثوب أبغى غسلَهُ
أقسمتْ شمسُ الضُّحى لم تطلُع

لو طلبتُ النهرَ أروى ظمأً
لا شتكى النهرُ جفافَ المنبع

ولوَ انّى تلمسُ التِّبْرَ يدى
حوّل التِّبْرَ تراباً أصبعى !

ذكرى

الحب يصقله العتابْ　　هيهات تسمعنى ربابْ
زعمت بأنى أشيبٌ　　يالى من التُّهم الكِذَابْ
أفلا يكون البـدر بد　　راً إن تغشَّاه السحاب
أو لا يسمى الصبح صبـ　　حا يوم يلطمه الضباب !
وَهبِ الغوانى قد صددْ　　نَ فهل فؤاد الصب شاب؟

لهفى لأيام الشـبا　　بِ وما جرى لى فى الشباب
أيام كنت من الكعا　　بِ كأننى بعضُ الكعاب
نلهو ونلعبُ حيث شئـ　　نا فى السهول وفى الهضاب
لا ظِنةٌ منا تخف　　ولا يحوم بنا ارتياب
كالطير لولا أننا　　كنا بلا ظفر وناب
لهفى عـلى تلك السنيـ　　ن ذهبن فى عمر الحبَاب
ولّين ألسنةً عِـذا　　باً فى ادّكاراتٍ عِذاب

من علَّمَ الحمل الوديـ　　عَ يفر من وجه الذئاب؟!
ومن الذى جعل الطيـو　　رَ تخاف غائلةَ العُقاب؟!

أين اللذاتُ من الصوا جبِ والرفاقُ من الصحاب
أواه من فتن السـفو ر وآه من محن الحجاب

لو كنت قد قدرت فى أولاىَ آخرةَ المآب
أو كنت أعلم أننى أدعو الحسان فلا أجاب
لملأتُ باللذّاتِ أو طابى جميعا والعياب

قد خاب من طلب الحقـ ـوقَ بغير ألسنةِ الحِراب!

وجد

حرّقي قلبه وأصليه وقدا
حسبه ما حباه حبك خلدا

أصليه ، ولى أقول صليه
إن كل الديون سوف تؤدى

سوف يا هند تعلمين من الصب
وأى العشاق قد كان أبدى

خرّقيه فأنت إن تحرقيه
نشرته النسيم مسكا وندّا

رائش اللحظ بالطيور ترفق
إن بعض الطيور يحرم صيدا

يهنك الصيد لا أريدك تزجيـ
ـه ولكن أقول فيه رويدا

مِنْه ِ منه ِ وأوهمته حتى

يحسبَ القيد مِنّهُ مِنكَ تهدى

عُدتُ أرضى بالختل فاكذب وقل لى

كاذبا إننى منحتك وُدّا

عدت أرضى بالختل فاكذب وقل لى

خاتلاً ربما اصْطنعتُك عبْدا

حبذا الوهم فى الحياة فلولا

هُ لضاقت صدرا ولم تحلُ وِرْدا

كل شىء يُسْدَى عطاءً سوى الحب

فهذا هو الذى ليس يسدى

صاح هات اسقنى فانى بدهرى

ضقت ذرعا وضاقَ بى الدهر أيدا

كلما اسطعت أن أحطّم قيدا

منه صاغت لى التقاليد قيدا

سألونى اسمه فقلت لماذا ؟

فألحوا ، فاحترت ، فاخترت ، هندا

فاعذرى هند إننا فى زمان

لم يجد أهله من الكذب بُدّا

إن أسماءنا حُدودٌ علينا

وهوَ عندى أجلُّ منْ أنْ يُحدّا

قلب الفنان

مِثالُ عينيك .. لم تبصره عَيْنانِ
ومثلُ صوتك .. لم تسمعه أذْنان

فى غُصْنك اللدن شكل لا مثيل له
إلا على البان .. ياحورية البان

أنت الطبيعة .. بل أنت الحياةُ .. إذا
ما صورتْ فتنةً .. فى شكلِ إنسان

أهواك .. أهواك .. فيم اخترت مظهره؟
ما لى اختيار ، وما لى فيك عينان

من أنت ؟ من أنت ؟ قولى لا محاذرة
فقد وهبتك إسرارى وإعلانى

تنكر الناس آت من نكابثرهم
لو يطهرون ، لمـا احتاجوا لكتمان

هبي لي اسمك .. إني منه متخذ
تاجا على اسمي ، وعنوانا لعنواني

فتحتُ صدري لحب الناس قاطبةً
من أجل حبك ، يا روحي ووجداني

أمشي .. وقلبي على كفّي.. أقول : ألا
من راغب في فؤادٍ ، صادق ، حاني

يُحبُّ .. حتى كأنَّ الأرض ليس بها
إلا زنابق .. من آسٍ ، وسُوسان

وليس في الأرض من بغض ولا إحن
وليس في الأرض من ظلم وطغيان

وليس — من فوقهـا — إلا سواسية
من الصحاب ، ومن أخدانِ أخدان

فلا وربِّك .. هذا القلب ما التفتت
عينٌ إليـه ، فيـا للبائس العاني

قـد عاد ينكرني قلبي ، وأنكره
حيران — في التيهِ — يمشي خلف حيران

كلاهما — وهو منقاد لصاحبه —
حربٌ عليه ، هما إلفان، ضـدانِ

يا طير ، لا تخش مني أيَّ عاديـة
لا تخش — يا طيرُ — مني أي عدوان

فى الروض لى صاحب ، من أجل خاطره
كل الطيور أحبــائى ، وخــلانى

لصاحبى ، ولعينيــه ، وطهرهمــا
وهبت للطير تحنانى ، وغفرانى
وسيعتُها : من صقور فى مخالبهــا
لون الدماء ، ومن بوم وغربان

هيهات يلقىَ زمانى الآن ، فى خُلُق
ما يستحلُ به لــومى ، كإنسان

لم ألق كالفن تنويها بصاحبــه
وليس كالفن فى تكريم فنان

وليس — كالفن — يعطى الملك أبّهةً
وليس — كالفن — تخليــدا لسلطان

ما شأن فرعون ، لولا الفنُ خلّده
فيما نرى من بقايا فنــه البــانى

وما لروما ، ويونانٍ ، ولفّهمــا
لــولا عباقرُ « رومانٍ » « ويونانٍ »

ومن « أمية » أو « مروان » كيف هما
لولا فنون دمشق تحت « مروان »

الفن كالروح — فى شتى مظاهره
تفنى الجسوم ، وليس الفن بالفانى

يا «سيد» الفن قل : ماذا لقيت له
من الحفاوة فى أضياف «رضوان» ؟

تُراكَ نلْتَ الذى قد كنت تأمُلُه !
أم لم تنل ، ؟ والفنا والخلد سيَّان

و «مزهرُ» الخلد .. هل «دستانه» ذهبٌ
أم أنه «مزهر» من غير «دستان»

ذكراك .. حسبك منها .. أنها عبقٌ
فيه من الخُلْد ، سلوى كل فنان

غنى بها الطيرُ فى أوكارهِ سَحَرا
على الزهور .. فأشجى كل «بُستانى»

وأقبلت تناجى فى خمائلها
ورُودُ «نيسان» من آثار «نيسان»

من كل نعسانةِ الجفنين ساهرة
إزاءَ نجم سُهيْرى اللحْظِ نعسانِ

وكل حَرَّانةٍ ، ولهاءَ ، ظامئةٍ
تعطو إلى والهٍ ، حَرَّان ، ظمآن

ما كان فنكَ إلا واحةٌ وحِمىً
إلى غُصُونهما يَهْفو الشَّجِيَّانِ

فكم تَلاَقى ، على نجوى مزاهرِه
قلب بقلب ، ووجدانٌ بوجدانِ

وكم تغنيتَ أنغـــاماً مُرَفْرِفةً
فيها العصافيرُ بين الشوك والبان

عواطفا من حنان لافح ورضا
أو من عواصف أفراحٍ وأشجان

فنٌ رسمت به الدنيا كما خلقت
ضـــدان ضـــدان ، أو صنوان صنوان

الفن بعـــدك ، ما لانت مفاتحـــه
إلا لمثلك صـــافى الحسن رُوحانى

خليقةٌ . كأديم البدر ، طاهرةٌ
مثل الملائك ، لم تَعْلَق بأدْرَان

أنفاس محترقة

حُيِّيتِ ذاهبةً وآيبةً
وكذا تُحيًّا مثلك الشمسُ

يا مَنْ إذا ذُكر اسمُها عرضًا
يُمحَى على ذكر اسْمها البؤسُ

يُلفَى الهدى والمجدُ إن خطرتْ
لهما حوالى خطوِها جرسُ

قالوا : تخص بجندها كرمًا
وأقول : إنّ مقالهَم حدسُ

الشمس لم يختصها أحد
لم أختها يختصها جنس ؟

إن الشقاء وإن بـــدا طقسا
شتّى فإن جميعـــــه طقس

أهـــلا بمن عادت بعـودتها
فى كل جسمٍ بائسٍ نفسُ

ياصاحب البؤساء[1]

يا صاحب البؤساء ، جاءك شاعرٌ
يشكو من الزمن اللئيم العاتى

لم يكفه أنى على عكازة
أمشى .. فحطّ الصخرَ فى طُرُقاتى

ثم انثنى ، يُزْجى علىّ مصائبا
سُحُباً ، كقطعان الدُّجى جهمات

فى ليلهن فَقَدْتُ آمالى الألى
صاحَبْنَنِى مُذْ لاح فجر حياتى

فَغَدَوْتُ فى الدنيا، ولا أدرى : أمِن
أحيائها أنا ، أم منَ الأمواتِ ؟

* * *

(١) فيكتور هوجو .. مؤلف القصة المشهورة التى عربها الشاعر المصرى حافظ إبراهيم، وأطلق عليها اسم (البؤساء)

خففت يا « هوجو » عليك فلم أُطِلْ
وبَعَثْتُهــا فِصَلين من مأساتى

ولو اننى أعطَيْتُ بُؤْسى حقَّهُ
وصفا .. لصوَّرَ معرِضَ النكباتِ

شكر

في سنة ١٩٣٢ م أقيمت في حديقة الأزبكية في القاهرة حفلة تكريمية خطب فيها كثيرون من أعلام الأدب وقادته ، متفضلين بالتنويه بالشاعر ، فأجاب بهذه القصيدة شكرا للسادة المتفضلين ، قال :

صيغ من قلبه ومن وجدانهْ
ليس من علمه ولا من بيانه

ليس من زخرف القريض الموشّى
بعقيقِ البيانِ أو عقيانهْ

بل هو الشعر . لا هو الشكر يُهدى
شاعرٌ شاكرٌ إلى إخوانهْ

ود لو ينظم القوافي مما
غرد الطير في صبا ألحانهْ

ود لو ينظم القوافي وشيا
من نسيج الربيع في نيسانهْ

ويغنى ما شاء أن يتغنى
شاعر شاكر إلى إخوانه

ليتنى كالحمام جسما ورُوحًا
ليت لى سجعه وصدق حنانه

كى أرى الناس فى أغاريد نوْحى
رَجْعَ قلبٍ يلوب فى خفقانه

كى أرِى الناس فى احتراق فؤادى
كيف تسمو آمالُهُ فى دخانه

كى أرِى الناس ماهو الحب دينا
والهوى خالصا إلى ديّانه

ويغنى ما شاء أن يتغنى
شاعرٌ شاكر إلى إخوانه

مترْهمَ الأصدقاء جرْحا بقلب
حار طب الأساة فى أسيانه

يالهنا الجميل عندىَ لولا
عرْفه قد طغى على عرفانه

يالها من يدٍ عن الشكر جلّتْ
وصنيعٍ عجزتُ عن شكرانه

لستَ قلبى ، يا قلبُ: إن لم تكافىء
محسنًا ، أوتزدْ على إحسانه

هَشَّ للقيد أكثرُ الناس عنفا
وخروجا على قيـود زمانـه

ملكت حرة الصنيعات حرا
ليتها أشفقت بحرٍّ عنانه

اجتبت قلبه فـدان إليها
بالنفيسين : شكرِه وامتنانِه

طاب فى روضه جنى الشكر حتى
كاد يلوى الجنىَ على أغصانه

صنع الله خير صحبة خيرٍ
من وجوه الزمان من أعيانه

ورعى الله من أخ وصديق
لف منه الوفاء فى صوبلجانه(*)

قال : يا قوم ، إن للروض شأنا
غير ما بان من تفاهة شانه

انظروا كيف فاح طيبُ شذاه
رغم أن ميتَ فى رغام امتهانه

لعجيب أن يطرب الناس عود
شب يسقى السموم من أحزانه

وقفوا ينتشون للزهر معنى
كشذا الحق جاء قبل أوانه

(*) قصد إلى الأستاذ كامل كيلانى صاحب المؤلفات الشهيرة الذائعة .

يعرف الراحُ في نداماه عرفاً
وهو لـمّـا يزل وراء دنانه

زمنٌ من عشية وضُحاها
وهكذا الزهر خائلا فوق بانه

أزهر الروض وازدهى فكأن لم
يكُ ما كان من صروف هوانه

قصةُ الروض قصة الشرق طُرًّا
لم يعُقْ حُرَّهُ سوى خذلانه

ليس إلا على التعاون قامت
قوة الغرب أو قوى عمرانه

بارك الله فيك يا مصر داراً
ليسَ فيك الغريب عن أوطانه

وطن كله هدى ، وسلام
جرس ناقوسه ، وصوت أذانه

اليتم الأول

صِفوا لى .. يا هُوَاة الطيرْ .. كيفا
يُعاودُ إلْفَه ، من ضَلّ إلفا ؟

مـزجت له الشراب بمـاءِ عينى
فعاف الشُّربَ مَمْزوجاً وصِـرْفا

ورُحْتُ أذيبُ فى نجواهُ رُوحى
فما أصْغَى ، وأعرَض مُستَخفا

نبَا عنى ، وخَـلاَّنى يتيمـاً
شريدا ، لم أجدْ فى الناس عطفا

وكنت ـ زمان وصلك لى ـ إذا ما
رأيتُ الزهرَ ، أغضى منـه طرفا

وما لى ـ بعد هجْرك ـ عُدْت مُغْرىً
بشتّى الزهـر ، تجميشا وقطفـا

لعمرى .. كم يُدارى الضعف عُنْفاً
وكم أيضاً ، يُدارى العُنْفُ ضَعفا

الصدى الضائع

يَشْدُو وهيهات يَلْتَقِي من يساجعه
يا قلب : ويحك،ماذا أنت صانعه ؟

إن الذى بتّ فى أجوائه هزجا
لغير لعنك قد أصغت مسامعه

عجيبة أن مثلى ، والهوى طمع ،
يحب حب فتى ماتت مطامعُه

من مبلغ الروض أنى عن خمائله
دونَ البلابل أقصتنى سواجعه ؟؟
كأنمـــا أنـــا لم أنعم بمجلســه
يوما ولا شنّفَتْ سمعى روائعه

ليت الهوى كان حظ الأغنياء فلم
تجمع على الفقر فى الدنيا مواجعه

ياليت خالق هذا الحسن أرسله
حُرًّا يطالع فيه من يُطالعه

قلبي

تناثر قلبي فلذة بعـــد فلذة
لكل جميل راح منه نصيب

فيا لضلوعي كم يمـــزق شملها
له خفقـــانٌ دائمٌ ووجيب

فيخفق إن رَفَّتَ من الحسن شمأل
ويخفق إن هبت عليه جنوب !

ولوع بكل الحسن ، هذا له هوى
وذاك له رى ، وذاك طبيب

أكل الجميلات الحسان حبائب
وكل أخى حسن إليه حبيبُ !

عبث

اسمحى لى بقبلة تُحيى فى قلبى الأمل
اسمحى لى بها ترىْ أننى أحسنُ القبل
كيف أفضى بها كما يشرب الطائر الوجل
ومراراً أطيلها وهى فى الوهم لم تطل
فهى فى مرة نهل وهى فى مرة علل
وهى خرساءُ مرةً ومراراً لها زَجَلْ
حيَلٌ للهوى عسى فى الهوى تنفع الحيل

فى باريس

أقام لفيف من الأدباء العرب الممتازين فى باريس ، حفلة ترحيب بالشاعر وهو فى باريس . وتفضلوا فألقوا كثيرا من القصائد والخطب ، فأجابهم بهذه القصيدة . قال :

ما فى دموعك ؟ قلت : قلبٌ ذائبٌ
ما فى ضلوعك ؟ قلت : حبٌّ صادِى

أحمائم الوادى ، وفيكُنَّ الهوى
هل مَن يَبَلُّ صدى كنار الوادى ؟

ليت التى قد باتَ يهتفُ باسمها
وينُشيد قالت: ما اسمُ هذا الشادى ؟

صُنتُ الودادَ هنا ، وما ضيَّعتهُ
أتراهُم صانوا هُناكَ ودادى ؟

طولی لیالی البَیْنِ ، لا تتقاصری
لأُرِیَ الزمانَ عنادَه وعنادی

إنی اطّلبتُ المجْدَ من عملی أنا
لا من یَدِ الأقدار والأجداد (*)

قَسَماً بذات المجد ، إما نلتُها
أو نلت فیها ، فخرَ الاستشهاد

یا عِتْرةَ الضاد الکرام إلی العُلا
هیـا ، فإنکُمُ رجـاءُ الضـاد

أنتم سواعـدها إلی آمالهـا
أنتم مَراقیهـا إلی الأمجـاد

وطنی « هی الفُصحی » فکُل بلادها
فی مصرَ أوفی الشام . . هن بلادی

هـذا هو الوطن الذی أحیـا له
وله أوالی – صـادقاً – وأعادی

ما نِمت إلا أن تکونی حرةً
فی مصرَ ، فی لُبنان ، فی بَغدادِ

(باریس) جئت بذات جسمی شاکیاً
فصدرت أشکو منك ذات فؤادی

حُرِّیَّة الأرْواح ، تلك هی المنی
للناس ، لا حُرِّیَّة الأجْسَادِ

(*) جمع جد وهو الحظ .

النّاسُ ... ما دَامُوا عبيدَ مُيُولِهم
ما الفرْقُ بين حَوَاضِرٍ وبَوَادِي ؟

حَرِّرْ طباعَ النّاس من أصْفادِهَا
تلقَ الحياةَ خَلَتْ من الأصْفَادِ

شوقى

ألقيت فى الحفلة التى أقامتها وزارة (المعارف) المصرية لتأبينه .

رُوِّعَ الشعـــرُ فى أعـــز حماته
ويـــح طلابه وويـــح رواته

نكبـــة بالبيان حلت فمالت
بالقـــوىّ المتـــين من شُرُفَاته

مات صنـــاجة الزمان فكادت
لغـــة تنطوى غـــداة مماتـــه

وانطوت صفحة من المجد أغلى
ما اقتناه الزمان من صفحاته

مات شوق ولم يعد ذكر شوقى
غير حلم يرى على ذكرياته

يا ترابا حوى كريم رُفاته
كيف حال الوضيء من قسماته ؟

كيف حال الوجه الوضيء المحيا
اللطيف الحنيف فى بسماته ؟

كيف حال الفم الذى يوزن الدر
كفـاه المُعـاد من كلماته

كيف حال اليد التى ما توانت
عن غياث الملهوف فى كرباته ؟

كيف حال القلب الذى لم يحول
عن سنى الحق مرة فى حياته ؟

كيف حال الصدر الذى لم يعمُرْه
سوى الحب من جميع جهاته ؟

كيف حال الفكر الذى كان أذكى
من عبير الرياض فى نفحاته ؟

كيف حال الحياء من خلُق كان
كأن الزهور طيف شذاته ؟

عجبا للتّراب لم يغدُ مسكا
بعد أن ضُمّخَت بطيب رفاته ؟

* * *

أيها الشاعر الذى أنهض الشعر
فجارى الزمان فى نهضاته

من لهذا القريض بعدك يحميه
من وهاد الإسفاف فى رغباته ؟

من لفن الغناء بعدك يعطيه
لقاح التجديد فى نغماته ؟

من لفن التمثيل بعدك يهديه
سواء السبيل فى خطواته ؟

من لأهل الفنون يدفع عنهم
عاديات الزمان أو غدراته ؟

ليس ينسى الزمان أنك منه
كنت من بدعه ومن فلتاته

لم أرد أن أعد من حسناته
أين من ذاك كل جهد رثاته ؟

كان شوقى عنوان جيل من الشعر
وقد كان دولة فى ذاته

كان جيلا من البيان المصفى
حل منه البيان فى عرفاته

كان من كل شاعر فيه سر
كان من كل كاتب فى أداته

كان ملء الزمان مدحاً وقدحا
كان ملء اسمه وملء صفاته

كان بقيا الهوى بكل فؤاد
كان لُقيا المنى على خطواته

كان للشعر زينة حين يُزْهى
كلُّ فن بأهله وهواته

• •

شفقاً من نبـــوة وتقضّى
عظَّمَ الله أجْرَنا فى وفاته

على ضريح شوقى

ذهب جماعة من الأدباء لزيارة ضريح المغفور له أحمد شوقى فى صباح الجمعة الأولى لوفاته . فألقى الشاعر هذه الأبيات وهو يطوف بالقبر . وقد نشرت فى مجلة (أبولو) تحت هذا العنوان.

قبر العبقرية

طوفوا بقبر العبقرية وانشقوا
أرجَ الخلود الساطع الفواح

طوفوا به وتنسموا من روحه
ما كان من طيب به وسماح

يثوى هنا شوقى الذى لو يُفْتَدى
لفداه خير الناس بالأرواح

يثوى هنا شوقى العظيم فياله
قبرا حوى جيلاً من الإصلاح

شوق يُزملك الخلود بنوره
والذكر كل عشية وصباح

نم فى جوار الله يحمدك السرى
وانزل من الجنات خير جناح

سيظل ذكرك للبيان كأنه
فى جبهة الأيام نجمٌ ضاح

الزعيمة الأولى

الزعيمة الأولى للنهضة النسائية فى مصر السيدة هدى شعراوى .

إلى أن أجازى بعض فضلك ياهدى
سأبكى وأستبكى وإن طال بى المدى

وأجعل أحزانى عليك مطارفا
على كل لون كى أكون مجددا

فإنك قد كنت الحياة جديدةً
وكنت تحبين الحياة تجددا

وكنت تحبين الحياة قوية
وسوف يرى حزنى قويا مؤبدا

وأبرأ من قلبى إذا حزنه انتهى
إليك ضعيفا أو بدا فيك مجهدا

وإذ كنت تهوين الفنون فإننى
سأجعل حزنى فيك فنا معبداً

فأجعله شعرا ورسما مصورا
وأجعله نحتا ولحنا مُنضدا

ولو أن لى عزما لتشييد معبد
لشدت لحزنى فيك فى الأرض معبدا

وأدعو إليه كل فن بأهله
يقيمون من ذكراك فيه تعبدا

جزاء لما أوليتهم من رعاية
وفاقا لما أسلفت فيهم تعهدا

أمن كرهتْ شكل الحجاب ولونه
ومنظره فى أىٍّ وجه له بدا

يضُمُّ عليها الموت أستار حجبه
ولا يكتفى حتى يرى القبر موصدا

محطمة الأغلال ألقت إلى الثرى
معاول لم تهدأ حديدا ومبردا

يقر الجمود اليوم عيناً وخاطراً
لقد ضمن الأقدار واستأمن الردى

وقولوا لكهان التقاليد يفرحوا
فأزلامهم لا اليوم تخشى ولا الغدا

لقد ذهبت من كان محض وجودها
- ولو سكتت - للجامدين مهددا

لعمرى لقد ثارت ولكن بحكمة
وصالت ولكن دون أن تتمردا

يقولون كانت للنساء زعيمة
لعمرى وكانت للبطولات معهدا

وكان علاَها للأهلة هالة
وكان هداها للفراقد فرقدا

وكان حماها للعروبة قبلة
وللشرق فى أيامه الغر منتدى

وردت حقوق للنساء ولم تكن
لهن حقوق قبل بعثك يا هدى

وكنت لهن الصوت فى مصر عاليا
وكنت لهذا الصوت فى العالم الصدى

أشعة هذا الوجه كانت جلالة
وكانت رجاء للرجاء ومقصدا

على معشر أسنت حياة مجيدة
وفى معشر أسدت عوارف أمجدا

فقوم بها نالوا أمورا بعيدة
وقوم بها طالوا الذى كان أبعدا

همو اليوم لو صاموا وصلوا وبالغوا
فملوا ها سبابتيهم تشهدا

لما خلتهم أدوا عليهم حقوقها
ولا بلغوا مما بهم بلغت مدى

إلى الأرض . لا . لاتنسبوها فانها
من النور كانت كالملائك مولدا

إذا لم تشيدوا اليوم أبهاء قبرها
على قمة الأهرام حجا ومسجدا

فان لها فى الخلد قصراً مشيداً
بقمة عليين درا وعسجدا

بنته بأيديها لها فى حياتها
مآثر لا تفنى وذكرا مخلدا

حواها وسار النعش طهر ملائك
وعفة أقمار ونورا مجسدا

ولوكان يدرى النعش ماضم من هدى
وخلق وما يحوى علاءً وسؤددا

لما طار إلا للخلود مصوبا
وما حط إلا فى السماء مصعدا

لمن شيد الفردوس إلا لمثلها
قصورا يواقيتا وأرضا زبرجدا

وأقسم عند الله او جاء ذو تقى ،
قضى العمر زهدا أو قضاه تهجدا

لما كان عند الله جل جلاله

بأطيب منها يوم لقياه موردا

وأحسب أن الحور حين لقينها

تلقينْها من طاعة الله سجدا

فلم ترعينّ مثلها فى حنوها

وفى حبها للغير أو بذْليها الندى

يمينا لو ان الموت خيرنا بها

لما اخترت إلا أن أكون لها الفدى

عدمت يقينى إن نسيت ولاءها

وشلت يمينى إن نسيت لها يدا

هدى شعراوى

ألقيت فى دار الاتحاد النسائى فى العام الثانى
لوفاة السيدة هدى شعراوى .

أى النسائم عطرت مسراها
إنى أشم الآن نفح شذاها

هذا العبير لها وليس لغيرها
هذا الأريج عليه سمت هداها

أتراه من أعطافها ، أتراه من
ألطافها ، أتُراه بعضَ رؤاها

ياذا العبير تعيش .. كيف عرفتنا
فى ذا الزحام كأن فيك ذكاها

وأرى ملامحها عليك فقل لنا
أين ابتسامة ثغرها نلقاها

من أين جئت وكيف ؟ إنك عدت لى
بسمو روحى كنت أراها

الدار دار الاحـــاد كعهدها
لمـــا تزل للشمس أفق سناها .

عجبا أفى رحباتها أنا أم أنا
من جنة الفردوس فوق رباها

انظر لعل هنا على هذا الثرى
أثرا عليه تخطرت قدماها

انظر فأين نظرت من آثارها
ستشم ريا الخلد من رياها

طارت بقلبى ثم حطت نفحة
لما ادكرت هدى .. وطيب لقاها

فعجبت كيف يعيش ناس بعدها
من بعد ما ذاقوا نعيم رضاها

اخشع فما أدراك أن هدى هنا
جاءت تُحيِّى الآن من حياها

أو ليس هذا الحفل من أضيافها
أو ليس هذا الحفل فى محياها

أعلمت أن هدى استباحت مرة
أن تهمل الأضياف فى مغناها

أو أن إنسانا تقدم مرة
بتحية لهدى وما استوفاها

أو أن نفسا للحياة توسلت
بهدى وخيبت الحياة رجاها

يا حظ من وقعت عليه عينُها
يا حظ من نظرت له عيناها

أتظن أن الموت يحبس روحها
أتظن أن الموت قد خباها

أبدا فليس الموت يبلغ مثلها
روحا لذات الله قد جلاّها

حورية بالروح إنسانية
أتموت ؟ كيف وهذه صفتاها ؟

ما الموت إلا يقظة علوية
أو رتبة روحية نرقاها

ما مات إلا من يعيش لنفسه
لا من يعيش لنفسه وسواها

هذا الذى تحيا الحياة لمثله
ولمثله صار الإله إلها

هذا الذى ستعيش فى الدنيا له
ذكرى وفى الأخرى له مثلاها

أرأيت أنفع من هدى فى قومها
أرأيت فى الدنيا لها أشباها

أهدى ومن كهدى حلقت بوجهها
وبحسن طلعتها ونور بهاها

او أننا رحنا نُفتِّش عن هدى
أخرى وجُبْنَا أرْضنَا وسَماها

لم نَلْق فى الدنيا سوى تلْكَ التى
جئنا نمجدها وما أغناها

والله كدت إخالُها قديسة
نذرت لمصر حياتها وهناها

ضحت بصحتها لها وبمالها
وبجاهها وشبابها وصباها

وبكل غال أو نفيس عندها
كانت تضحى دون أن تتباهى

وأقل ما ضحته لو من غيرها
لاستعرض الدنيا به تيَّاهَا

لكنَّها الروح العظيم وهكذا
الروح العظيم . تكون فى دنياها

أزعيمة الوادى أجلْ زعيمة
فى مصر سارت مصر تحت لواها

ذكراك فى أى الأماكن قبلةٌ
بعض الدعاء المستجاب دعاها

وكأنها سينا الهدى وكأنّنى
فيها الكليم غدا يناجى الله

وكأن فى حجر النبي لها صدى
أو أن فى حرم الرسول عزاها

وكأن أم المؤمنـين خديجـة
تزهى بها وتعدها ذكراها

كلتا كما هلت رسالة أمة
فى حجْرها واستقبلت بُشْراها

النهضة الكبرى نمت فى دارها
وتلفتت لحمىً فكان حماها

سبحانها ذكرى وسبحان اسمها
وعلا وقدس صبحها ومساها

مهما تناست مصر لا تنسى هدى
أبداً محالٌ أنها تنساها

ماذا يقول الشعر فى ذكرى هدى
والشعر دون هدى ودون مداها

أيقول قد كانت قصيدة شاعر
فى لفظها كملت وفى معناها

أيقول قد كانت نموذج ربة
بيديه مثال السماء نشاها

أيقول قد كانت كسمفونيةٍ
في مسمع الدنيا يرن صداها

إن قال هذا كلّه أو بعضَه
فهدى بأكثر منه ما أحرَاها

بهر اسمها الدنيا كما بهر اسمُها

الأخرى كما بَهَرَ الوجودَ هُداهَا

سيد*

يا سيدا كان عندى أعز مَنْ أصطفيه
يا طاهر الطرفين من أمه لأبيه
يا أبعد الناس خُلقا عن كل فعل كريه
أخى ومَن منك أولى بكل وصف نزيه
وما ذكرنا عظيما إلا رأيناكَ فيه
شأوتَ عمرَك حتى بلغتَ ما تبتغيه
حتى الممات فمنه حققت ما تشتهيه
فصرت بالموت معنى حيا بغير شبيه
رجوت دنيا ودينا فنلت ما ترتجيه
العصرُ إن يبك شخصا فأنت مَنْ يبكيه
وما بكى أى عصر إلا أعزَّ بنيه

* الكاتب الإسلامى الشهيد سيد قطب.

أمين الرافعى

لبس الحداد على أمينٍ زمانه
وطنٌ دهاه الموت فى إنسانه

كبدى لوادى النيل . ما بال الردى
مغرى بخير الزهرِ فى بستانه ؟

أى الغصون به بدت ثمراته
لم يهتصرْه الموت فى ريعانه ؟

حيرْتُ . هل أبكى أميناً وحده
أم حظ وادى النيل فى فقدانه ؟

حزنان قد ملكا القلوب ، كلاهما
نارُ السعيرِ أخف من نيرانه

ربَّاه لطفك ما الذى خبأته
للروض ، نكبته أتت فى بانه ؟

الموت حقٌ غير أنى حائر
لم يستبد الحقُ فى سلطانه ؟

لِمَ لمْ يُطلْ أجل البلابل مثلما
طالت به الأيام فى غربانه ؟
لكأنّ آيات الكمال تحولت
حتى غدت سببا إلى نقصانه

ماذا بقى للصرح جد زمانه
فى هلمه فأتاه من صوانّه ؟
ماذا بقى للنيل بعد مصابه
فى موضع الإحساس من جثمانه ؟

إن الفجيعة فى أمين لم تدع
قلبا فلم تغرقه فى أحزانه
ريعت لها مصر وريع لأجلها
جزعًا فؤاد الشام فى لبنانه

لهفى على أحلى الشمائل ينطوى
فى قبره ويلف فى أكفانه
هيهات ينسى الناس أخلاقا أتت
من نظم أيوب ومن ألحانه

هل كان فى جنبيه إلا أمة
أو كان فى برديه غير جنانه

دين الوفاء محاه سلطان الردى
وأصم جرسُ الموتِ جرس أذانه

دع كل من عرف النزاهة يبكه
حتى يجف الدمع فى أجفانه

فقدت قضية مصر فيه مدافعا
عنها أقام الحق تحت لسانه

فكأنه إذ كان يرمى خصمها
يرمى بسهم الله عن إيمانه
فالنيل إن لم يبك فقد أمينه
فلسوف يبكى الدهر فقد أمانه

يا مصر للأحرار دهرك لم يزل
حربا وجند الموت من أعوانه

إما بكيت فلست إلا حرة
والحر لا يبكيه مثل زمانه

نم يا أمين ودع فؤادك يسترح
من بغى هذا الدهر أو طغيانه

أدى فؤادك ما عليه لربه
فدعى إلى التكريم من ديانه
أدى الرسالة للحياة مجاهدا
فدعاه خالقها إلى شكرانه

داود بركات

ولي رياسة تحرير الأهرام حقبة طويلة من الزمن حتى أطلق عليه بحق لقب شيخ الصحافة . عرفته في آخر سني حياته فكان أطيب وأنبل صحفي عرفته إلى اليوم ، رحمات الله عليه .

عبثا أنهنه أدمعي ، وأكفكف
المهراق من كبدي على آماقي

في كل يوم ، عاصف بي يرتمي
فيهزني هزا من الأعماق

تنزو عواصفه الهموم وتنثني
فتذيب في كأسي هموم رفاقي

فيلفني والهم ليل أليل
حُبُكا ، رواقا شُدَّ خلف رواق

وأروح أرسلها دما مقروحة
طل الفؤاد بها من الأحداق

في حين أن الدمع ليس بمطفيء
وجدي ولا بمخفف أشواقي

هذى هى الدنيا ، وكل همومها
حاشا الردى ، رعدٌ بلا إبراق

للموت ما نلقاه من أحزانه
فى هذه الدنيا ، وما سنلاقى

من رحلة ذهبت إلى لا رجعة
أو فرقة راحت ، لغير تلاقى

وتخير الساقى الكرام ، وليته
فى الخيرين ، كبا اختيار الساقى

لهفى على داود فى محرابه
وعلى الصرير الحر فى الأوراق

وعلى المجاهد لم يحد فى موقفٍ
عن شرْعة الآداب والأخلاق

وعلى اليراع إذا جرت أسَلاَتُه
مجت لباب السم والترياق

قلم تود الحورُ لو من لفظه
حُلّين منه بأنفس الأعلاق

لهفى وما تجدى علينا لهفةٌ
من بعد فقد الطيب الأعراق

لما رأيت النعش صار وخلفه
أمم ، من الذكر الطهور الباقى

متهللا متهاديا فى موكب
مما تركتَ من السنى الألاق

والناس من شطيه ، باك بعضهم
بالدمع ، أو بالصمت والإطراق

من ذاكر ، لك فى الجهاد مواقفا
فى صد عادية وحسم شقاق

أو معلن ، ما كنت تصنع صامتا
من دعوة ، يُهْدَى بها ووفاق

أو منبئ لك ، عن يد مطوية
صانت وجوها ، من يد الإملاق

أيقنت أن النعش أودع خيرا
منْ خَيْرِ مَنْ حملوا على الأعناق

شيخَ الصحافةِ رحمة لك قدر ما
أبلى يراعُكَ فى حروب نفاق

وعداد ما خلدته من صالح
لك فى الخلود وفى الصحائف باق

عزّى الصحافةَ عنك ما أودعتَها
من طيباتٍ فى الزمان بواق

وقفة الوداع

حبست الدمع . . فازداد انهمارا
وفاض ، فخلته فى الخد . . نارا

كماء النار فى خــدىّ وقعا
وأقسى منه ، فوقهما ، انحدارا

بنفسى . . من بكيت له . . فراقا
ومن لفراقه . . . بعتُ الوقارا

تنزى القلب ، فاستوجستُ شرًا
فقلت اصبر ، فقال : كفى اصطبارا

فقلت : وما اعتزمت ؟ فما تأنى
وحلق ، ما استشار ولا استخارا

مضى خلف القطار ، فليت شعرى
أحسّ به الألى ركبوا القطارا ؟

أتَدْرى أيُّهذا الركب . . أنّى
أودِّع فيك قلبا مُستطارا ؟

وهل يدرى الذى أقللت أنى
أسير وراءه أيان سارا ؟

ترفقْ . . أيُّها النائى اختْيارا
لقـد خلَّيتنى أحْيا اضطرارا

أحسُّ .. كأننى فى الأرض وحدى
وأن الأرضَ قد أضحت قفارا

فما عينى برائيـــةٍ سروراً
ولا روحى . . تُحِسُّ لها قَرارا

تَعَلَّمْ . . يا هَزار الروض منى
أنا لحن النُّواح ، ولا فَخارا

فغيرى من يُقلِّد حين يَبكى
ولكنِّى أنا الباكى ابتكارا

أشواق

رسالة الحياة[1]

تحيّر .. يعصى دمعَه ؟ أم يُطاوع ؟
وأرّقه .. ينسى الهوى ؟ أم يُراجع ؟

تجيش به الآمال . . ليس بقادر
عليها ، ولا عنها هوى القلب .. نازع

أفى الحق أن الحبّ لم يَغْد فى الورى
سوى أنه خِبٌّ ، وإلا مطامع ؟

وأن مودّات القلوب تحولت
فما هى إلا للخداع ، براقع ؟

إذا صح ما قالوا ففيمَ طيورُها
تُغنّى بواديها ؟ وفيمن تُسلجع ؟

لك الله يا قلبى . . تُرفرفُ ساجعاً
وتَخْفق غِرّيداً ، ومالك سامع

(١) قرأت الشاعر الأستاذ مصطفى الماحى قصيدة من هذا الروى فجاشت فى خاطرى هذه الرسالة للحياة

ثوابُكَ عند الله ، فيما صَنَعتَهُ
وما رحتَ تُزْجى للهوى ، وتُصانع
ويشهد .. لولا الصدقُ فيك طبيعةٌ
لما جِئْتَ مثلى للهوى ، وهو تابع
هُم يحسبون الحب ضعفا ، وإنما
هم الناس : مخدوع ، وآخر خادع
يَسيرونَ فى ركب ضليل ، وربما
غدا ركبهم هذا ، وحاديه ظالع
وأحسب أن الحب للناس قدوةٌ
ولكن شعاعُ الضوء ، للعين رادع
وبعضُ عيون الناس تقْوى أشعةً
على بعضها ، والناسُ شتّى طبائع
فياطير .. ساجعنى كما شئت فى الهوى
وشاءت لنا فيه الأمانى السواجع
علينا نؤدى للحياة رسالةً هى الحبُّ .. حتى ليس للحبِّ مانع
كذلك أدعو الطيرَ ، نحيا هواتفاً
مُفردةً ما عاش فى الروض ساجعُ

أشواق

لفسى أزورك يا رسول الله

يا أسنى سنـــــــا

يا منْ له يعلو الثناء

فلا يطاوله ثنـــا

للناس جئت معلما

للحق جئت مقننـــا

جئت الحياة فكنت

أحسن من عليها أحسنا

وأتى لها الرسل البناة

فكنت أعظم مَن بنَا

دليـــــا وإنسانيـة

وتحضرا وتمدينا

يا مَنْ تجلى النور فيك

بما أسر وأعلنـــا

كتبت فى ١٩٧١

فجلا بك الإنسان
أعظم ما يكون تكونا
فحيـــاك جثمانيـــة
رقت وراقت معدنا
حتى إذا ما الروح هل
بك استهل مهيمنا
متحكما فى طبعه
فى نفسه . متمكنا
مذ جئت وجها للحقيقة
جئت نوراً بيِّنَا
فأتيت بالبرهان أعظم
ما يكون مبرهنا
متكمـــلا مستكمـــلا
مترحما متحننا
نفسى أزورك يا محمد
يا سنى أسنى سنا
وأشم ذياك الحمى
تربا وألثمـه بنا
وهناك أنسى ما لقيت
من الأسى ومن الضنا
وأقول يا نفسى افرحى
طيبى وقرى أعينا

أنا مَنْ وهبت محمدا

روحى وجثمانى أنا

لم ألق غير رحاب حضرته

الزكيـــة مأمنـا

يا جيرة حلّوا منى

هل عندكم ما عندنا

نفسى الفداء لأعين

فجّرن قلبى أعينا

من عينِ مكة والمدينة

لو ظباء المنحنى

ولّهننى وتركننى

لا من هناك ولا هنا

يا حظ مَنْ زار الحجاز

ويا هناه يا هنا

فهناك تغتسل القلوب

من المآثم فى الدنا

وهناك تكتحل العيون

من التجلى والسنا

أرض بها نشأ الحبيب

محمـد واستوطنـا

أخلق بطيب ترابها

أن يستطاب ويقتنى

فاذا اقتنينا تربهـــا
فيه نُهادى بعضنـــــا

نذرٌ على إذا وقفت
غـــداة يوم فى منى

فلسرف أهتف معلنـــا
يا نفس أدركت المنى

يارب هيئهـــا لنــــا
يارب واكتبها لنـــــا

جمال مصر

أجَلْ .. أنت يا مصرُ مهد الجمال
وجَوُّك . . جَوُّ الهــوى والخيال

فلا سحْرَ إلا إليك انتمى
ولا حسن إلا ومنك المثال

بنفسى يا مصر ، هذا جمالُك ..
. فيــه لــكل افتتان مجــال

هــواء نسيم ، وأفق بسيم
وروضٌ وسيمٌ ، وماءٌ زُلال

رأيتُك فى كل وجه جميل
وفى كل معنى كريمٍ يُخال

جمالك ـ يا بنتَ مصر ـ كمصرَ
يجمعُ كُلَّ فُنونِ الجمال

ففى مصر ، حَلّى النسيم اعتدال
وفيك ، يُحلّى القوامَ اعتدال

وفيك — من الشمس — حُسْنُ الصِّقال
وبعــد المنال ، وبذلُ النــوال

وفيك السُّهُول ، وفيك الرُّبا
وعُنْفُ الشَّمول(١) ، ولُطْفُ الشَّمال

تباركت — يا نيل — هذا جناك
وهذى الخمايلُ من ذى الخلال

تحيرتُ .. لم أدْر ، يابنت مِصْر
أفى الزهر أدعُوك؟ أم فى اللآل؟

عَلَيك شُعَاعُ النجوم الحوالى
وفيك ابتسامُ اللآلى الغَوالى

(١) الشمول : اسم من أسماء الخمر .

على شاطئ النيل

الكأس قبلك مرت فى فم نجس
وكيف تشرب منها بالفم الطاهر

يانيل إن لم تطهرها فمعذرة
إن عف عنها - وإلا عافك الشاعر

ولا أزيدك علم الشاطئين وما
عليهما اليوم من خافٍ ومن ظاهر

عليهما الأمر يجرى حسب ماسمحت
به الرياح ولا ناهٍ ولا زاجر

أقسمت يانيل - لو تدرى - لَمّا التطمت
فيك الشواطئ إلا بالدم الفائر

ياليت شعرى لمن تلك الكروم على
الشطين تَسبي وتُصبي القلب والناظر

فى سندس من حقول الروض أبسطة
بالدر قد فصّلت واللؤلؤ العاطر

كأنها «لوحة» من عبقر رفعت
فى باب عبقر يستهدى بها الزائر

ما أجمل الأفق يبدو فى شروقهما
وفى غروبهما غِبَّ السما الماطر

سُرادقُ الطل فى أفواف ظلهما
كأنه أفق فجرٍ غائمٍ سافر

كأنه سحبٌ من فوْحِ مجمرة
قد بات يُشعلها فى كهفِه ساحر

قل لى : أللشعب منها غير منظرها
وسقيها — أو يد الحصاد — والباذر؟

إن لم تَدُرْ بين أيدينا معاصرها
فلا أدرت ولا دارت رحى عاصر

قم حطم الكأس ، أو فاملك مواردها
أو فانس حقك — إن الحق للقادر

أحببتها

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها
وأحب في الأيام يوم رأيتها

ووددت لو أني جمعت لها المنى
وأتيت بالدنيا لهــا ووهبتُها

تمشى مَفَاتنها تلحن خطوها
الله فيما لحنت خطـــواتها

لم تكذب الرؤْيا وقد فسرتها
وعن اسم هذا اللحن رحت سألتها

لم أدْر ما قالَتْهُ ! إلاَّ بعد ما
كانت بمِعْصمِهَا يدى وَرَفَقْتُها

كلُّ المُنَى في لَحْظَةٍ أنَا نلْتُهَا
لَمَّا شَعرْتُ بأنَّنِي كلمْتُهَا

وكلامها إن قلتُ إنّ كلامَها
نَغمُ (الكَمَان) ، فقد أكونُ ظَلَمتُها

إن لم تكن (فينوس) فَهْي مِثَالها
فى مَوْكب الرَّبَّاتِ ، أو هى أختُها

الحُسْنُ ولاّها على (سينائِه)
وعلى الجمال أقامَهَا ملكوتُهَا

وأنا الكليم فهل على ملامة
ولقد عبدت الحُسْن لو ألهتُها

ياليلةً فى العُمر أحسب أنها
عدلت جميع العمر لو قوّمتُها

مِنحُ الشباب جميعها استقبلتها
هذا المساء وللشباب منحتُها

لم أبْق صالحةً تمنّى عاشق
فى عشقه المبرور إلا جئتُها

والله لو ـ بيدى لما تُرك امرؤ
ذو حاجة إلا له نوّلتُها

أمواج

بينما الشاعر يعانى من جمود بنى العشيرة ، وبينما القيم تترنح أمام الشاعر المغبون جاءته رسالتان تعبران بحرا أولاهما من الشاعر المصرى الدكتور أحمد زكى أبو شادى الذى هجر الشرق إلى الغرب فرارا من الضيق .

والثانية من المفكر اللبنانى الأستاذ ميخائيل نعيمه الذى عاد إلى لبنان برماً بالحياة فى أميركا . وكانت الرسالتان عامرتين بأفانين العطف والتقدير والتسرية عن النفس .

من ذَا يردُّ إلىَّ اليومَ إيمَانِى
بَلْ مَن يُثَبِّتُ فىَّ اليومَ كُفْرانِى

هل هذه المُثُل العُليَا التى زَعَموا
كانت كما قيل أمْ أضْغَاثُ بُهتَان

والخيرُ والشرُّ، هل فى الناسِ بينَهُما
فَرْق ، وإلاَّ هما فى الناسِ سِيَّان

لوأنَّ نَفْسِى عَنِ اسْمى اليومَ تَسْألُنى
ما صدَّقَتْ أنَّه اسْمى دُونَ بُرْهان

مَنْ ذَا أَصدَقُ أَوْ مَن ذَا أَكذَبُ ، لا
أدرى ، وكلُّ كلامٍ فيه وَجْهَان

ومَن ألرومُ وأىُّ الناسِ أيهُمُو
المُجنِي عليه ومَن مِنهُم هُوَ الجَانى ؟

إنِّى لأزجرُ عَينى كُلَّما انفتَحَتْ
كى لا يُقَال بأنِّى فىَّ عَينَانِ

إلىَّ يا صَاحِبى ، أقبل فَأنتَ أنَا
أنا وأنتَ هُما الآنَ الغَريبَان

دُنيَاكَ ما كَان فيهَا الأمرُ مضطرباً
لو أنَّ ميزَانَها فِى كَفِّ قَبَّانى

أعمَى وأطرشُ لا هذا له نَظَرٌ
يَهْدى خُطَاه ولاذَا فِيه أذنَانِ

تَقَابَلا فى طَرِيقٍ ضائقٍ بِهِما
فاصْطَكَّ جِسمَاهما مِنْ دُون حُسبَانِ

فَاشتَطَّ فِى سوء فَهمِيهما لبعضهما
كلاهُما لَيْسَ يَدْرى عِلَّةَ الثانى

ألا تَرى الآن أنَّ الناسَ كُلَّهُمُو
صَارُوا كَمَا لَوْ جميعُ الناسِ هَذَان

هَذان هَذان لا تَعجبْ فَإنَّهُما
الآن فى هذه الدُّنيا الزَّعيمَان

فى كل أرضٍ هُمَا عُنـوانُها وهما
فى كلِّ شعبٍ هُمَا للشَّعْب حزْبَان
أو فِكْرتَان يدورُ الناس حَوْلَهُما
حتى وإن لم يكُن لَهُما مَدار ان
الآن لا شَعْب إلاَّ وهـو مُنْشَعب
الآن لا رأى إلاَّ وهـو رأيَـان
ذان الضَّعيفَان أَوْ ذان القـويَّان
شَخْصَان يا لَيْت شِعْرى أمْ إلهَان ؟
بَلْ رُبَّمَا كَان هذان الزَّعِيمَانِ
هُمَا الذى لَهُما انْشَقَّ الجـدِيدان
وأنْت ياشَرقُ أيْن الآن أيْن تُرى
إذْ لَمْ يَعُدْ لِلْورى إلاَّ طَرِيقَان ؟

للطُّرش تَمْضِى ، وإلا أنْت متَّجهٌ
للعُمْى أم خَابِطٌ تخبيط عمْيَانِ ؟
وهَـلْ أمُـرٌّ بمصر اليوم أسألُها
ما شأنُها ، هل لمصر اليوم من شَان ؟
وهَبْك كُنْت لمصرٍ هُدْهُداً بَصراً
فَمَنْ لها بِابْن داوُدٍ سُلَيْمَان
ولَـوْ أتَاهَا سليمانٌ بحكمتـه
لَوَّتَتْـهُ انتحاراً بالسُّلَيْمَانى !

ديَارُ فِرْعَوْن ، أو هَامَان ، ليس لَهَا
رُوحٌ لِلُقْمَان . أوْ أشْبَاه لُقْمَان

في مصر عَاشَ أبُو حيَّان في شَظَفٍ
يَقْتَاتُ بالعُشْبِ في مصرابنُ حَيَّان ! ؟

ولا كَمِثْلِ « أبِي شَادى » وقسوة ما
قَاسَاهُ في مصر من ظلمٍ وعُدْوان

الشَّاعِرُ الحُرُّ ذُو الرأى الجرىء
وذُو السبق المشارُ لَهُ في كلّ مَيْدان

سَلْ كلَّ مصر على ما كان يَصْنَعُهُ
لمصر والشرق من خيرٍ وإحسَان

ثُمَّ انْتَظِر بُرهَةً أُخرى وقُلْ عَجباً
أكُلُّ هذا ولا يُجْزى بِشُكْران ؟

وهكَذا قال ، إن الأرضَ واسعةٌ
للطَّيْر ، ما دام للطَّيْر الجنَاحَان

وحيثُمَا كان صقرٌ فالفضاء لَه
أقنانُ أذْواء أوْ أذْواءُ أقْنَانِ

لا يَسْأَلُ الصقرُ أنَّى حلَّ . حلَّ على
إنْسٍ وإلاَّ على آفَاق جِنَّانِ

للصَّبْر يا صاحبي فالناسُ ما بَرِحُوا
كما عَرفْتَهُمُو عُبْدانَ عُبْدانِ

عَقَّتْكَ مصرُ أو استرضتك . أنت على
أىِّ احْتِمَالٍ لهَا مَبْعُوثُ عِرفانِ

هَامَانُ فى مصر مطبوعٌ بِصُورته
فى كلِّ عَقْلٍ وتفكير ووجْدانِ

ولَمْ تَزَل أرضُ مصر من طَبيعَتِها
تأليهُ فِرْعَوْن واسْتِبْدادُ هَامَانِ

وكُل مَا راح هامانٌ يَجِيءُ لها
هامانُ آخَرُ يُنْسى كلَّ هامَان

مَنْ لى بِحَظٍّ (أبى شَادى) وصحْبَتِه
لكَان لى الآن مِنْ دُنْيَاى حَظَّان

ياليْت بيعة (ميخائيل) عن كثبٍ
يا ليتنى كنتُ من أصحاب (جُبْرانِ)

إذن لَمَا كان لى عند السُّهَى أربٌ
إذْ ما أنَا والسُّهَى إلا نَجِيَّان

(ميخَا)-نَجِيك-قُلْ مَاذا تَجِىءُ به
من أىِّ إنجيل أومِنْ أىِّ قرْآنِ

أو منهما أنت قَد أبْدعْت واحدة
شَرْقيَّة الروح من تصوير رُوحَانى

بالحقِّ يا صاحِبى قل لى أدِينُك ذا
لَهُ قرابين أمْ مِنْ غَيْر قُرْبَانِ ؟

وهل رسَمْت له كُهَّان مَعْبَده
أمْ أنْت تاركُه من غير كُهَّانِ ؟

يا صاحبي وإليك الروحُ متّجِهٌ
كأنّهُ هارب من وجه سجّان

أطلقتُ نفسيَ من كل القيود ولوْ
ملكت حطمتها تحطيم أوثان

إلا القيود التي قدْ صُغتُها بيدى
فإنّها عمَلِى ، أو صُنْعُ وجدانى

بعض القوافى ظباء خِفت أُرسلها
يَضْلُلْن فى الغاب ، أو يُتْعِبن رُعيانى

هيهات أطلبُ ديّاناً لآبِلتى
إلاّ إذا من ضميرى كان ديّانى

يا آل لبنان ، كَم قلبي يحبُكمُو
حتى تمنيتُ لو أنى ابن لبنان

لَمْ أدْر فيم اختلاف الناس بينهما
أوْ فيم بينهما قد قام دينانِ

إلاّ إذا كان هذا الحق ليس له
وجهٌ وإلا له فيهم كِيانان

الحبُّ أول دينٍ كُنت أوثِرُهُ
لو خيَّرُونى على دينى وإيمانى

ولو أُخيَّر فى الأقوام أيهمُو
أحقُّ بى قلتُ كلُّ الناس إخوانى

وطني هي الأرضُ كُلُّ الأرضِ لي وطنٌ
أحبُّها كلها ، حبي لأوْطَاني

يا صاحبي إن تَسَل عنّي أنا فَأنَا
يا صاحبي لستُ شيئاً غيرَ إنسانِ

كُنْ حيثُ شِئْت فإني لا أراكَ سوى
إنسانِ عَيْنِي وإلاَّ عينَ إنْسَاني

أنا وأنت كِلانَا عين صاحِبِه
ونحن في عين دُنْيَانَا نَزِيلانِ

وفيم يَخْتَصِمُ الضيفانِ في نُزُلٍ
هُمَا على أيِّ حالٍ فيه ضيْفَانِ

وفيم يا صاحِبِي ألقَاكَ مُدَّرِعاً
أو فيم أنت بِمِثْلِ الدِّرعِ تَلْقَاني

لِمَ الحروب وفيم الحرب مُنْذِرة
أليْس يكفي بنَا أنْ مرَّ حربَانِ

حرية الناس ، هل رؤيا حَقِيقَتِها
كانت وجودية أمْ حلم جَوْعَانِ

كَأنَّ صدْري بركانٌ وواعجبي
من خافقٍ صادحٍ في صدْرِ بُرْكانِ

ذبيحُ صدْري بِصدْري الآن مُخْتَنِق
أو موشكٌ بين نِيرانٍ ودُخّانِ

كأنَّ أصداءهُ والنـــار تحــرقهُ
والموتُ يُغْرِقه فى لونِه القّانى

تقول يارربِّ ، إنْ كان الذبيحُ فدًى
فاجعل ذبيحى فِدى أهْلِي وجِيرانى

يَبدُو لِعيْنى مَوْجُ النيل يحمل صنـ
ـدوقاً من الخشب المشهور « بالزّان »(١)

أنا النَّذيرُ لِقَوْمى أن يكون به
طفلٌ لقيط فقدْ يُدْعَى ابن عِمْران

نوحٌ أنا ، غير أنِّى لا أريد لها
طوفان لوحٍ ، فهَلْ أدعو بغُفْران ؟

---

(١) لقد صحت الرؤيا فى هذا الصندوق إذن ، فانه لم يمض إلا أحد عشر شهرا على نشر هذه القصيدة حتى اندلعت الثورة فى مصر فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

تسمعون الآن

نظمت هذه الكلمة ، في الفترة التي احترقت فيها القاهرة . وقد نشرتها — وقتئذ — جريدة «الاشتراكية» فتداولتها عدة صحف .
فقد كان لها وقع في الدوائر ، غير قليل .

تسمعون الآن شكوى الفقـراء
دائما يشكون ظلم الأغنياء

ما الذي تشكونَه .. ياجُحداء؟
عندنا الراديو ، وسهراتُ المساء

وليالى أمِّ كُلثوم .. الوضَّاء
ليلةٌ واحدةٌ .. فيها الغنَاء

عن غذاءٍ ، وكساءٍ ، ودواء
بل عن السودان أيضاً والجلاء

قل لهم : استشعِروا بعضَ الحيَاء

من يقولُ اليوم : إن الأغنياء
ليس فيهم رحمةٌ بالفقـراء ؟

وهُمو — لَوْ لمْ يكونُوا رُحماء
بكمو ، . يا هؤلاء الضعفاء

لا قتنوا الأرضَ جميعاً والسماء
فاذا أنتم عبيدٌ ، أو إمَاء
عندهُم ، لا تستحقون البقاء
فاحْمَدوه ، واشكروا للأوصيَاء
أنهم .. خلّوْا لكُم هَذا الهوَاء

كانت لنا

كانت لنا ، فى ليالى العيد، أوطار
أيام عِيدَاننـــا ، فيهنّ أوتـــار
أيام أغصاننـــا خضراء وارفـــة
فى كلّ دوحٍ لهـــا ظل وأزهار
أيام كانت لنـــا الأيام شاديـــة
من كلّ قَلب لهـــا نایٌ ومِزْمَار
وحيث .. كل فتى كانت له هِمم
مُحجَّلات ، على أعطافِها الغَا
لم يبتعد لهوهُ . . عن أرْيَحيتَّه
وما ادّنى مرة من لهوِ العار
حال .. لبسنا عليها عيْشَنَا رغداً
كما تعيش على الأنهار .. أطيارُ
يومٌ يجىء ، ويوم لا نشيّعه
إلا ومعه لنا ذِكْرى وتذْكارُ
أما ، وقدْ عَادت الأيّام ليس لها
إلا ــ كما الغُولِ ــ أنيابٌ وأظْفَار

فلا تسلنيَ عن قصف الشباب ، ولا
أيَّانَ أطيارُه عن دَوحِنا طَــارُوا

الحمد لله .. أن الله . . توَّبنــا
بالرغم منا ، وأن الله .. غفَّــار

اليوم . . فينا لأهل الوعظِ منزلة
واليوم . : منا لأهــل الله زوَّار

وصارَ مجْلسنــا بَيْنَ المساجِد أو
بين الشيوخ ، لــه فى الناس أخبار

عندنا ، ولا شئ يشجينا، ويطربُنا
إلا الأذان ، وأوراد وأذكـــار

وكل شيء غَــلاَ .. حتْمًا سَتُرخصهُ
إن أنت أهملته ، والحرّ صبَّار

ما دام للناس حاجات فَهُم أبــداً
عبيد حاجاتِهم ، والناس ما اختَارُوا

يا عيد أهــلاً وسهلا فى منازلنَـــا
على المراحب . . فانزل حيثُ تختار

إن الكرامَ . . على ما كنت تَعْهَدُهُمْ
همو الكرامُ ، ولن يَشْقَى لَهُم جارُ

لا يبطَرون إذا الأيامُ مقبلــةٌ
ولن يهونــوا إذا الأيام اعْسَرَا

المسلمــون لهم من دينهم حسب
على وشائِجه .. للمجد ، نوَّار

شريعةٌ ... أهلهــا فيها سواسيــة
بعض لبعض ، فهم أهــلٌ وأصهار

وليس – مثل إخاء الله – آصِرة
ولا كمثل إخاء الله آصار
أيَّانَ رفَّت مِنَ الإسلام رائحةٌ
في الجوِّ .. راحت لها في الجوِّ أعطارُ
كأنَّ آدابَه في روضها زَهَرٌ
منوَّرٌ ، وحواشي الروض أثمار
فليس من مسلم إلاَّ وفيه شذَىَ
خيرٍ ، وفي طبعه للخيْرِ .. إيثارُ
المجدُ .. ما لم تَشد دُنيا قواعده
من دينهِ ، فهو مجدٌ سوف ينهارُ

يابنات النيل

نظمت فى باريس سنة ١٩٣٨ ونشرتها الصحف
المصرية فى حينها .

يا بنات النيل بالوادى الحبيب
بالهوى والشوق هل لى من مجيب

ذاب قلبى ، ذاب ، والأمرُ العجيب
أننى للناس ، فى الحبّ ، طبيب !

كيف أصبحت ولا أدرى الدوا
للذى بين ضلوعى مِنْ جوى
ظامئٌ حران ، مالى مُرتَوى
ليس لى فى هذه الدنيا حبيب
فأنا فى جوها الطير الغريب

مَنْ نصيرى ، مَنْ عذيرى من جمالك ؟

يارُؤى الفرْدوس فى شَطٌ (الزمالك)
سحرتنى الأعْيُنُ السُّودُ هُنَالِك
آه إنى بُحْتُ بالسِّرِّ الرهيب
عَجَبَاً ، بالجَمْرِ أستَطْفِى اللَّهِيب

أنا فى بَاريس قلبى عندكُنْ
ما رأتْ عينى حُسْناً مثلكُنْ
لا ، ولا قلبى صبَا إلا . لكُنْ
يا جِنَاناً لَيْس لى فيها نصيب
وهْى مِنِّى ، وأنا منْها قَريبْ

نجوى

« نجوى » وما أنت إلا كل مُدّخرى
أنت الحيـــاةُ وأنت مَن أناجيهـــا

لا شيء عندى سوى رُوحى وهأنذا
منْ غــير منٍّ إليك الآن أهديهـــا

كتبت فى سنة ١٩٧٣

انتظاری طال

انتظاری طالَ يا حُلوَ التَّثنّى
ياحبيبَ الروحِ ما هذا التَّجنى

هل أُقَضّى العمرَ ـــ ألعمرَ أُغَنّى
لَكَ يا مَن أنتَ لا تَسْألُ عنّى

ولمـاذا كـلُّ هـذا ألأنّى
عندَ بَدءِ الحبِّ كان الأصلُ منّى

آه لو أنساكَ حتى أنسَ أنّى
آه لـو أملكُ أنّى لا أغنّى

قلتُ للأصحاب فى ذاتِ مساء
ما هو الحبُّ وهل منهُ وقاءْ ؟
قال لى الأصحابُ سَلْ فيماتَشَاءْ
ما عَدَا الحبَّ فَذَا سِرُّ السَّماءْ

هو خمر هــو جمرٌ هــو داء
ودَوَاءِ هــو يأس ورجاءْ

هو مَعْنىً أنت عنه إن تَسَلْنى
قلتُ لا أدْرِى ولكنى أُغنِّى

بِىَ وجدٌ أنْ أغنّى بانْشِرَاحْ
آهِ لــو أنّى أُغنِّى للصَّبــاحْ

أبهذَا الليلُ هل لِى من صَبَاحْ
ومتى ياليــلُ تَشتاقُ الــرواح

فيكَ ياذا اللّيلُ مِنْ عصف الرياحْ
كمْ يلاقِى الطّيرُ مقصوصَ الجَنَاحْ

لا تَظُنُّوا بِى هوَى الظَّبي الأغَنّ
لا ولا كانَ ولكنِّى أُغَنِّى

يا حبيبى عنــدنا لحن جــديد
آه لو يَبْسمُ لى الحظُّ السعيــد

فأغَنِّى وحبيبى يَسْتَعِيـــد
كلَّما قالَ أعِدْ رُحْتُ أعِيد

والهوى حانٍ على العودِ المُغَنِّى
والمُنَى نَشْوَى على مَدِّي وغَنّى
كلُّ هذا كلُّه من أجلِ أنِّى
رُبما فى لحظةٍ أرْضِيك عنّى

يا حبيبى إنَّ لى فيكَ غِنَاءْ
كنتُ لو أسمعتُه لابْنِ السَّماء

لحباني بالرِّضَى كلّ الرضـــاء
كُن سناءً كُنْ سَنىً كُن ما تَشَاء

كُنْ جَمالاً كُنْ جَلالاً كُنْ بَهاء
إنّما اسْمَعْ لاسمِعتَ التّكرَاءُ

كُنْ كَما شئتَ ولكن رَاعِ أنّي
لكَ عُمرى كلُّه كُنتُ أغنّى

الـــــربيع

أيهذا الربيع يا ملكَ الحسن
ويا مالكاً مدى الإحسان

أنا فى جـــاه حسنك العبقرى
أنا فى جـــاه حسنك الربانى

كم تمنيت أن يكون لجسمى
كل عضو مكانه عضوان

فإذا نلت لحظة منك كانت
لحظتين ، ومتعتى متعتـــان

كم تمنيتُ أن أكون كيانا
أسَعُ الكونَ كله فى كِيانى

فإذا ما الربيعُ هـــلَّ بأفق
هلَّ من خاطرى ، وفى وجدانى

أنا لم أدر ، فى الربيع لمـــاذا
ليت شعرى أبدو كشخصٍ ثانى

أيُّ شيءٍ تُرى هنالك يغريني
ويغرى قلبي على الهيمان

كل شيء ألقاه ألقى عليه
بسمة الحب والرضا والحنان

وفضاءُ الدنيا يضاحك عينيَّ
وعينـاى للفضـا تضحكان

أَوَ كلُّ الحياةِ صارَتْ جمالاً
أم أنَا حَالِمٌ على يَقْظَان

الحقولُ الحقولُ في الأرضِ نَشْوى
من غِنَاءِ الطُّيُور لِلأَغْصَان

وكأنّ الحقولَ مرقصُ عُرْسٍ
بِالمَزَاهِير حافلٍ والأغاني

تتبارَى الغُصُونُ فيه على الرَّقْص
كما يَقْتَضِيهِ وَقْعُ المثَانى

والعصافيرُ حَوْلَهَا تَتغنَّى
فى أهازيجَ مُشْرِقَات المَعَانى

شاكراتٍ إلى الربيع يَدَيْهِ
حامِدَاتٍ له بكلِّ لِسَان

الذى من ضِيَائه قد سَقَاهَا
وكَسَاها مَنَاهجَ الألوان

* * *

أيُّهذا الرّبيع ما أنتَ إلا
مَلِكٌ عَرْشُهُ هُمَا النَّيِّرَان

تاجُه من حُلِيِّه الْغَرْبُ والشرق
ـ ومن بعضِ جُنْدِه الخافِقان

ونُجُومُ السماءِ فى قَصْره
العامِر كالحُور فى قُصُور الجِنَان

فإذا بَشّرَتْ طَلائِع نَيسَان
بعيدِ الجلوس فى نَيْسَانِ

ظَهَرَتْ كُلُّ نَجْمَةٍ تَتَمنَّى
لو غَدَتْ زَهْرَةَ النُّجُوم الحِسَان

وبَدَا كلُّ كَوْكَبٍ يَتَجَلَّى
كالعَرِيس المَجْلُوِّ يَوْمَ القِرَان

وكأنَّ الدُّنْيَا على مِهْرَجانٍ
يا لهُ فى الزّمَان من مِهْرَجان

رأس البر

مصيف رأس البر ما أبدعا
هذا المصيف الفاتن الممتعا

الحب لو كان له موضع
ما كان إلا ذلك الموضعا

ولو بدا الفردوس ما خلته
أجمل من هــذا ولا أروعا

تظن فى الدنيا شبيها لــه ؟
هيهات أن تنظر أو تسمعا

هواؤه اخضلّ عليه الهوى
فاخضر ثم احمرّ فاستنصعا

من كثر من لاقى ومن ودّعا
وطول ما استودِعَ واستودعا

فاعجبْ أو استعجبْ لهذا الهوى
كيف ربَا فى النار أو رعرعا

أيُّ صنّاعٍ مر فى أفقه
فكان ذاك الصانعَ الأبرعا

الحسن والحسنى له استبدعا
ما جاء فنا وافتنانا معا

ما أجمل الشمس به مغربًا
ما أجمل الشمسَ بِهِ مطلعا

مناظر شتى كمثل الرؤى
فى العين إن تمض فلن ترجعا

فى شفق من ذهب تارة
وتارة من عسجد ألمعا

وتارة من ذا ومن غيره
وتارة من كلٍّ ذا أجمعا

والأفق فى هذا وذا كُلِّه
كساحر فى كهفه قنبعا

قدامه الناس ومن حوله
عرائس الموج له طوّعا

ما شاء أن يأتيَهُ ساحرٌ
يجيئه من دون أنَ يصنعا

واهاً لأيام قضيناها به
مرت بنا كالحلم أو أسرعا

« كريمه » كان لنا كَرْمُها
فَيْئًا رحيقا أو هوًى مترعا

وكيف وصف الكرْم ما لم نَصِفْ
من أجله الدّنّ وما استَتْبَعَا

وما لىَ الآن وَوَصْفَ المُنَى
دَنًّا وخمرًا دونَ أن أطْمعا

يا من رعينا عهدهم عندنــا
هل تذكرون العهْدَ فيمن رَعَى

أنتم لنــا الشمس إذا لم تغب
فإن تغب كنتم لنــا المطلعــا

والروض عندى أنتمو زهــرُهُ
لكنــه الزهــر الذى أيْنعَــا

نراكمــو فى كل مستحسَن
نرى بــه للقلب مستمتعــا

ماذا صنعتم بالفــؤاد الــذى
للحبِّ طول العمر ما استصنعــا

طائران

هبط الطائر منفردا ، وما لبث أن وقع إلى جوارى طائر آخـــر فأسرع الأول إليه ينقره ، فلم يهرب هذا ، وإنما راح يتباعد عنه ، فى صورة أشبه بالتقرب منه .

وكأن الطائر الأول شعر بذلك ، فازداد إقبالا عليه ، وبالتالى .. زاد نقرا فيه .

وأخذ هذا النّقر يبدو فى أوضاع شتى :

فمرة .. يبدو النقر فى خفة ، ومرة فى لهفة ومرة فى دقة ، . . وأخرى ينقره فى رقة ..

ثم . . تعانق الطائران
فحسبتهما كانا يتفاهمان

وهكذا ..

انبجست فى الخاطر هذه الأوزان . . .

ياطائرىَّ : وددْتُ لو أنا منكما
أمضى هنـــا وهناك حيث أشاءُ

الجو بينكما ، ملاعبُ للهوى
والأرضُ تحتكما مُنىً خضراءُ .

الحُبُّ ــ عندكُمَا ــ حلالٌ كلُّه
شرعُ الطبيعةِ ، ليس فيــه رياءُ

تتجاوبان . . كما يشاء هواكُما
لا العذلُ دونكما ، ولا الرُقبـــاء

بأبيكما ، بالحب ، أيُّكما ابْتَدا ؟
وبلحظِ أيِّكما بَدَا الإغراءُ ؟

أتُرَى الغرام لديكما طمعٌ ـ كما
فى الناسِ ــ أمْ هو ِعصمة ونَقَاءُ ؟

« لَيْلَى » الغرامِ و « قَيْسُها » هو أنتُمَا
لا « آدمُ » الخاطِى ، ولا « حواءُ »

تعالى

تعالىْ نَطرْ فى سماءِ المُنىَ
فلا بدَّ لِلْحُبِّ من أجنحَه

ولا بدَّ للحبِّ من ساعةٍ
تكونُ لنا الساعة المفْرحهْ

تعالىَ نفسر حُلْم الهوى
ونُهدى إلى الحبِّ تفسيرنا

فإن أبصرَ الناسُ فِرْدوسَنا
وأعجبهم : تَبعوا شَرْعَنا

بلمعى أنا قد سَقَيْتُ الغرام
بربِّك لا تحرمنى الْجَنى

تَعالىْ ! تعالىْ بنا نَجنها
ونَنْتَهِب الفرصة السانحَهْ

تعالىْ نُحَلِّق على كلِّ جَوٍّ
ولا نسألُ الحبَّ أينَ المَصير

تَعالىْ نُحطِّمْ جميعَ القيود
ولا نتَقيّدْ بغير الضّمير

فمالك — في الحسْنِ — من مُشْبِهٍ
ومالى أنا فى الهوَى من نَظير

أطيعى الحبيبَ ، ثِقى بالهوَى
فما خذلَ الحب من صارَحَه

ولا تحسَبينا ابتدعْنا الهوى
ولا أنَّنَا فى الهوى وحْدَنا

فقد ظلَّلَ الحبُّ مَنْ قبْلنا
وسوف يُظلِّلُ مَنْ بعدَنا

لقد مرَّ « بالنّحان » أهلُ الهوى
جميعًا ، وخلوا لنا كأسنا

على رَوْضِ أهلِ الهوى تطلُعين
كما تطلُع الزّهرةُ المُصبحَه

ماهو الحب

لَيْتَ شعْرى ، ما هو الحبُّ ومَن أنْشأ سِحْرَه ؟
من هو السَّحَّارُ هذا ؟ من رَمَى فى الأرض بِذرَه ؟
إنَّهُ فى كلِّ عُودٍ أخْضَرٍ أوْدَعَ جَمْرَه
يالَهُ مِن ساحرٍ فى جَفْنِه خبَّأ مَكرَه !

فإذا هَمَّ بأمرٍ أدْرَكَ الأمرَ بنظرَه
وإذا اقتَادَ أسِيرًا عشقَ المسكينُ أسرَه !
لا أراقى اليَوْمَ إلاَّ كاشفًا للنَّاسِ سِتْرَه

هلْ تُراهُ كان بينَ الحُور والولدانِ فِكْرَه ؟
أمْ تُراهُ كان فى الجنَّةِ روحًا مُستَتِرَّه ؟
ثمَّ لمَّا قد أرَادَ اللهُ أن يَقْضِيَ أمره
أمر الروحَ فألقى فى شذا الأزهار سره :

أقبلت حواءُ فى الجنة تمشى ذات مره
لم يَرُعْها غير أن الـــزهر جدَّتْ فيــه حمره

ثم شمته فخالت أنها تشرب خمره
فتولت أنبأت آ دمَ ما لم تدر خُبْرَه

قال : يا حواء ، لبيّنْك ا سأنهى لك ذكره
كنت من قبلك ، لا أهنا ولا أهدأ شِرَّهْ
دائما أشعرُ بالوحدةِ ، والوحدةُ مُرّه
كان لى فى كل واد سهرةٌ أو بعض سهره،
غير أنى كنت آتى ذلك الوادىَ بكره
فأقضّى — ما أقضّى فيه — لا أشعرُ نفره
لا ، ولا أشعرُ يوما أن فى الجنة غيره
ولهذا كنت أدعوه أنا « وادِى المسره »

زَهْرُه — لمّا رآك هبَّ يُهْدِى لك بِشْرَهْ
وأنا — مِن أجْلِ ما أهْداكِ لن أغْفل شُكْرَهْ

إنّنى ما زِلْتُ أهواه وأستروح نَشْرَهْ
لا تَظنّى أنه قد راحَ يُبْدى منكِ غَيْرَهْ
فَهْوَ لايُضْمِرُ إلاّ الْحُبَّ والإحسانَ عُمْرَهْ

فانثنَتْ حوّاءُ قالت : إنّنى أحببْت عِطْرَهْ
ليتنى أُصْبحُ يا آ دمُ ، فى عينيك زَهْرَهْ !

حديقة الجار

حديقةَ الجار مالى فيك من طمعٍ
إلاّ كما يَطمعُ الأطفال فى النّار

أراكِ أبعدَ ما أصبحت من أملى
وإن غدوتِ قريبَ الدار من دارى

تَحْويك قبضةُ جَبّارٍ ووا أسفى
على الأزاهر تحوى كفُّ جبّار

لو استطاعَ لعشتِ العمرَ مُضمرَةً
فما درَى بكِ فى هذا الورى دارى

ولو تمكّن ما مرّت عليك صَبًا
كيلا يَمسّ سُراها عطرُكِ السارى

فما يَشَمُّكِ يوماً غيرَه أحد
ولا تراكِ سواه عينُ نَظّار

بَنَى عليكِ بسورٍ من فظاظته
ومن تقـالِيد أعيت كلَّ سوّار

ويلٌ له ما لهذا الحَبْس قد خُلقَت
حُلَى الطبيعة ، من زهرٍ ونوّار

يا للحدائق تحويها و تَملكُها
هذى النّواطيرُ ، من ناسٍ وأحجار

وَاهاً هناك على الرُّمّان مزدهراً
شفّ الطياب ولم يظفر بمُشتار

وللورود على الأغصان أذْبَلَهـا
سوء الجوار الذى تَلْقى من الجار

دَعوا الأزاهرَ للزّهّار يُحرزها
فالزهر يَذبل إلا عند زَهّار

الأرضُ لولا شَذا الأزهار لاحْترقتْ
بالناس تحملهم فى صدرها الوادى

ضاقت رَحابةُ روحى عن سرائرها
فيالروحىَ كم تَشْقَى بأسرارى

الينابيع (١)

عَيْناك ملهمتان !! ماذا فيهما ؟

بالله قـــــولى

آه منْ عَيْنَيْك !

إنى لألْمَحُ فيهما دُنْيَا الْهوى

دُنيا من الآمال

فى جفْنَيْــــك

إلا أنا : فلَدَيْك آمالى ذوت

ظمأ إلى ماء الحياة ــ لَدَيْك

---

(١) إحدى مختارات دار الإذاعة العربية بلندن . تلحين الموسيقار الأستاذ زكريا أحمد ، غناء الأستاذ عزيز عثمان .

هَيْهاتَ بالشَّهْد الْمُكَوْثَر أرْتَوى
مَا لَمْ أروِّ الرُّوحَ منْ شَفَتَيْك !

إنْ تَجْحَدى فَسَلى الْيَنَابيع الَّتى
تَرْوى جَنَى الرُّمَّان فى نَهْديْك !

أوفَاسألى ، مِنْ وجْنَتَيْك ، فتَعْلمى
منْ أيْن يُسْقَى الْورْدُ فى خدَّيْك!

أنْت الْحيَاةُ ، وكُلُّ ما قد يُشْتهى
فيها ، فَمنْك مَردُّهُ وإليْك

هىَ ساعَة كالْحُلْم أو هىَ لَحظةٌ
فَمتَى أرَى ــ حَلْمانَ ــ بين يدَيْك؟

قضية

بينى وبينك يا جميل قضية
ولقد رضيت اليوم حكمك فيها

قد كان لى روضٌ ظللت أصونُه
وأذُودُ عن أحواضه أحمِيها

إمَّا تَهُبُّ الرِّيحُ أجزع خيفةً
من أن يمُرَّ حيَالَهُ سَافيها

حتى إذا ما أينعت أزهارُه
واختال منْها العجب فى رائيها

وتمايس الرمان فى أعطافه
ودعتْ أزاهرُهُ يدىْ جانيها

ورأيتُ غيرى جانيا من ورده
قبلى وآخر غاديا يجنيها

صالت يدى بالرغم منى تبتغى
بعض الجَنى وأقلُّه يُرْضيها

فَازْوَرَّ حَارسهُ وسلط شوكه
يرمى أكفى بالذى يدميها

أيليق هذا بعد ما أسلفته
مهرا على أثماره أرويها

أحَكُمُ فلست بغير حكمك راضيا
إن العدالة أصبحت تمويها .

الأسد السجين

أهذا الليث ، ذو البطش الشديد
يُسام الضيم في القفص الحديد ؟

عجبت لمنطق العصر الجديد
أجل . . يا منطق العصر المجيد

لقد علمتنى لغة العبيد

لقد علمتنى لغة الخداع
وقُدرتها . . على مسخ الطباع

حُواةُ العصر ، قد هجروا الأفاعى
إلى صيد الغطاريف السباع

ألا ، ويل الحُواة من المصيد

ألا . . يا ويل مملكة الحواة
إذا اجتمع الأباةُ إلى الأباة

وقالوا : ها هنا ثأرُ الحياة
هُنا الأحرارُ . . ترضى بالممات

ولا ترضى بإذلال الأسود

أباسْم العلْم ؟ أم باسم التمدُّنْ ؟
يُجاءُ بسيد الصحراء ، يسجن ؟

لَئن ظَنُّوا بأنّ الحُرّ يَجْبُنْ
وأن الأسْد ، تَقْبلُ أن تُدجّنْ

فقد كذبتْهمو أمُّ الوعود

غدا ياليث . . إن هم دجَّنوك
تباهوا . . أنهم قد مدنوك

وثَم . . . فلستَ أنتَ ولا أبُوك
بما نعهم . . إذا هُم عودوك

فترقُص — فى الملاعبَ — كالقرود !

من التمدين إلا أن تُحاذر
فما لك يا أبا الأشبال عاذر

هنالك . . قد ترى شر المناكر
وإن عارضت . . قالوا عنك : ثائر

وقانون التمدن ، ذو بنود

ألا .. يا ليث .. لست أقول : صبرا
فقد جربتُ هذا الصبرَ دهرا

فلم ينفع وزاد العيش مُرّا
ولكن إن قَدرْت وكنت حرا

فحطم كل هاتيك القيود

لسان حال

وقفت تؤنبني لمشي خلفها
تأنيب مغتاظ عليّ حنيقِ

وتفننت في الشتم ، واختارت له
من كل لفظ موجع ورشيق

فتركتها — حتى انتهى فورانُها
وبدأتُ في رفقٍ أصونُ حقوقي

قلت اسمعي إني أراك أديبةً
لكن ظنَّكِ فيّ غير حقيقي

أنا مذ عرفت الحسن لم أحفل به
إلا بوجه البدر في مخلوق !

لما رأيتك فقته في حسنه
أحسست منك بغيرة لرفيقي

فمشيت خلفك لست أدرى سائر

أنا فى طريق ، أم ضللت طريق ؟

رباه ما هذا الشقا وإلى متى

سأظل أشكو فى الحياة بضيق

ما دمت قدرت الشقاء على الفتى

فلما خلقت له مزاج رقيق ؟

علمني ياحيـــاتي

علّمني يا حياتي في الهوى معنى الحياهْ
علمني لغة الزهـ ـر إذا فاح شذاهْ
ولغنى الطير إذا نا دى من الدوح أخاهْ
علمني الحب لما يبلغ السحر مداهْ

كيف أفنى باختياري في هـــواكِ ؟
لا أبالي ما ألاقي في رضـــاكِ
في حياتي ما رأت عيـ ـني ســـواك
أنت إن شئت جعلتـ ـني ملاكاً يا ملاكي
علمني يا حياتي

ما الذي في ناظريك حيّـــراني ؟
ساكتان ، مفصحان واضحـــان !
غامضان ، هادئان ثائـــران !

وهما ، فى كل هذا ما هما مُنْكَسِرانَ !
علِّمينى يا حيـــــاتى

ما الذى فى شَفَتَيْكِ فيه هامَتْ شَفَتَايا ؟
ما الذى استَعْبَدَ قلبى فيك واستهوى هوايا ؟
يا تُرى أنت خُلقت لى وإلاَّ لسوايـــا ؟
إن تكونى لى فما أعْظم فى الدُّنيا هَنَايا
وإذا كُنت لغيرى آه يا طول شقايا

ساعة بين يديك

ساعةٌ بَين يديك كلُ ما أرجوه منك
كلُّ ما أرجوه منك ساعةٌ بَين يَديك
يَشْربُ الحبُّ عليها كأسَهُ من وجْنَتَيك
ويُغَنِّى فيك لَحْناً لم يُصغْ إلاّ إليك

اذكرى كم مَرةٍ قلبى تمنَّى
ثم كم من مَرّةٍ قلت تأنّ
مرّةً واحدةً قولى تَهَنّ
واسمحى بالقُرب منك

حققى فى الحبّ ظنى واعطنيها
إن سمحت، هذه روحى خذيها
وامْنَحينى لحظةً أشعرُ فيها
أننى شىءٌ لديْك

الهَوى ، شاء الهوى أن يتكلَّم
اسمعيه ، فهــو فيــك يَتَرنَّم
ولمـــــاذا تتركيني أتــألَّــم
وأُقَضِّي العمر أَبْكى ؟

دمعيَ الغَالى وأيَّـــام شَبابى
كلُّ هذا ضَاع يا طُول عَذابى
كَان مَالى بهــوَاك كَان مَالى
لَيْتَنى بَعَّدْتُ عَنْك

ساعةٌ بيْن يَــدَيْك بحيَــاتى أَشْـتريها
نَوِّليتى القُرْب منْك وخُذى رُوحى خُذيها

أَنفاس الزَّهْر

تَعالى زهْرةَ الوادى
نذيعُ العطْر فى الوادى
فتَحْملنا نَسائمُه
كما شاءتْ أمانينا
وتَشْدُونا جَمائمه
أغانى للمُحبِّينا
ويُزْجينا الصِّبَا والحبُّ
منْ وادٍ إلى وادى
تَعالى زهْرة الوادى
نُذيعُ العطْر فى الوادى

تَعالى زهْرة الآس
نُذيعُ الحبَّ فى النَّاس
فلا يصْبحُ فى الدُّنيا
سوى قَلْبٍ على قَلْبِ

ولا نَلقى امرأً يَحْيا
لغيرِ العَطْف والحبِّ
وتُصبح زهْرةُ الآس
شعارَ الحبِّ فى النَّاس
تعَالىْ زهْرةَ الآس
نُذيعُ الحبَّ فى النَّاس

تَعالى زهْرة الورْد
نَفُكُّ براعمَ الوُدِّ
فَنُفْعمُ كلَّ ذى قَلْبٍ
بألْوانٍ من الحبِّ
فلا نَفْتأْ من ضرْبٍ
من الحبِّ إلى ضَرْب
هُنالك لَيْسَ من صَدٍّ
ولا شاكٍ من الصَّدِّ
تعالى زهرة الورد
نفكَّ براعم الودِّ

تَعالَ أيُّها الزّهْرُ
نُؤدِّ رسالة الزّهْر
فنُفْشى ما لرُوحَيْنَا
وما للحُبِّ من سرٍّ
ونملأُ هذه النَّسَمَاتِ
بالبَسَمَات والسِّحْرِ

ونَشْفى ما بقَلْبَيْنا
من الآلام والهَجْر

ونَنْسى ما لهذا العَيْش
من نهْيٍ ومن أمْرٍ

فَيُسْلمنا فَمُ الأطْيَار
من قُمْرٍ إلى قُمْرى

وينقلنا شذا الأزهار
من فَجْرٍ إلى فَجْر

ونغدو نحن فى الدنيا
مثال الحبِّ والطُّهْرِ

عاشقة القمر *

نجمة فى السماء ، كثيراً ما رأيتها تتجه إلى القمر ، حتى حسبتها تعشقه . . فإلى العيون الساهرة ، وإلى القلوب الحائرة ، أهدى أغنية الزهرة . . . .

يَا نجمَةً فى سَنَاكِ ذَهَلْتُ عن كلِّ نجْمِ
هَوَاىَ نَفسُ هواك فهل تُرى أنْتِ نَجْمى ؟

يانَجْمتى ، خَبِّرينْ
بِسرِّ ما تَطْلُبينْ
البَدْرُ لم يَبْدُ يَوماً
إلاَّ لـه تَتْبعينْ
لِلبَدْرِ هل تعشقينْ ؟

(*) إحدى مختارات دار الإذاعة العربية بلندن . لحنها وغناها الموسيقار : الأستاذ رياض السنباطى سنة ١٩٣٨ .

لمْ أدْرِ كَيْفَ عَشِقْتِ !
وأنتِ فى الْحُسْنِ أنْتِ !
أوّاهُ ماذا جَنَيْتِ ؟

فى الْقُرْبِ لا تَطْمَعِينْ
فى)البُعْدِ لا تيأسين !

مِسْكِينَةٌ فى هَواكِ
عَشِقْتِ مَن لايَراكِ
سَنَاهُ غَشَّى سَنَاكِ

وَيْلاه ! ما تَصْنَعِينْ
يَا طُولَ ما تَسْهَرِين !

يا زَهْرَةً لِلسَّماءْ
خُطِّى لَنا بالضِّياءْ
فى الحُبِّ مَعْنَى الرَّجاءْ

وعَلِّمى العاشِقِينْ
أنّ المحبّة دِينْ

يا نَجْمَتى أنا منْكِ وأنْتِ منّى مِثالْ
أنا وأنْتِ كلانا نَجْرِى وَراء الخَيالْ
نَجْرى وراء المُحَالْ طَوْعاً لأمْرِ الإلهْ
لوْلا الهوَى والجَمالْ مَا بَان سِرُّ الحَيَاهْ

هوى ...

بالى من الحب ومن أسره
ومن وجوم القلب فى قسره

اشد ما قاسيته يافعا
من بيضه آناً ومن سُمْره

سلنى أنا عنه فإنى على
ثَدْيَيْه رُبيتُ وفى حجره

أقسى هوى بين ضلوع ثوى
هوى حبيب لستَ من قدره

ها هنا العاشق واحسرتا
لقلبه المذبوح فى صدره

يا قلب عن حبك لاتنثن
مهما تكسَّرت على صخره

من يركب البحر يَرُضْ نفسه
لمدّه المائل أو جزره
ومن ير الحسن حياة له
فليرض إن قُلِّبَ فى جمره

وقيل لى : الناسُ على بابه
قد سابقوا النحل إلى زهره
فقلت : معذورون ، لم يذنبوا
وإن يكن ذنب فمن عطره
لهم قلوب ، ولهم أعين
وفيه حسن ، ليس فى عصره

رباه ماذنبى أنا عنده !
أذادُ دون الطير عن نهره
فى حين لم ترفع يدى مرةً
كأساً على سرّ سوى سره
وأنه لو قال لى لا تعش
والله ما عارضتُ فى أمره
هل بعد هذا أدب فى هوى
دل به حب على طهره ؟

يامن من الإجلال أخفى اسمه
خيفة أن يُجْرَح فى كبره
كفى كفى واستبق من عاشق
لم يبق غير النَّزْرِ من عمره

أحييتَ موتىَ لم يكن بعثُهم
سهلا فكيف الحى فى نشره ؟
صغرى أياديك على غيره
تبعث هذا الميْت من قبره

وقيل لى : شعرك فى وصفِـه
غير مجيد قلت من هجره
لو كان أدنانى من لفظه
لمـــا حكى شعرى سوى دره

ياشـــقوة الشاعر إن لم ينل
عطف الذى يهوى على شعره

حديقة

بَدت الحديقة ، فى أزاهرها
. . كأبهج ما يـــكونْ
من كل لون تعشقون
وكل صنف تشتهون

الورد يضحك للشـــذا
ويقول : يا من يقطفون
فى طبعه .. زهو الشباب
ومَيْلُه نحـــو الجنون
وهَل الحياةُ سوى الشباب
وزهوه . . لو تعْقلون
والنرجس المعشُوقُ . . ما
أحْلاهُ مُنكسر الجفُون
واليـــاسمينُ اللؤْلُؤىّ
أطَلَّ من صَدَف العهُون(١)

(١) العهون جمع عهن

رمْزُ البراءة فى الطفولة
والطفولـــة لا تَهُون

بانت طهارته ، فهام
بحبِّــــه المتطهرُّون

أما البنفْسجُ .. فهو هَادى
الرُّوح ، يُعْجبهُ السُّكون

لا يستخفُّ إلى التباهى
فى الحياة ، ولا المجون

كالشيخ ، أو كالفيلسوف
جمالُ رونْقه شئوون

ولـكل نوع بين هذا
الزهر ناسٌ يُشْبهون

تلك الحديقةُ جنةٌ
(ياليت قومى يعلمون)

الطيرُ من فوق الغُصُون
كأنهـــا ثمرُ الغُصون

كالحور فى حُلَل الجنان
السندسية . . يرْفُلُون

يتراقصون على الغصون
ويطربون ، فيهزجُون

فكأنهن من الملائكة
الكرام . . مقربون
أو هنّ أرواح تُقاة
فى الجنان . . مُجنحون

من حيث شاءُوا ينزلون
(على الأرائك ينظُرُون)
ومن الثمار ، مُفضض
ومُذهب ، وهناك جون

مثل الثريات الكهارب
فى سُرادق يبرقون

والماء ، بين سُهُولها
ينساب ، أو بين الحزون

مثل اليقين ، إذا سرى
فى النفس ، أو مثل الظنون

أو مثل أضواء العيون
تشعُ من كحل العيون
والظل . . إلا ظلها
فكأنه الصدر الحنون

تنسى الجوارح نفسها
فيه ، وتنساها الشجون

سبحان من وهب الطبيعة
كلَّ أسرار الفُتُون

فجلتْ لنا — فى قُدرةٍ
عَنْ قُدْرةِ السرِّ المصُون

فى انتظار الربيع

هيِّئى لى جوًّا أزورك فيه
كلَّما شاقنى الهوى أن أراك

هيِّئى لى جوًّا إذا ماطلعتُ
لم أجدْ فى سمائه إلاّكِ

هيِّئى جوًّا يطير به الحب
ملاكاً على جناحىْ ملاك

هيِّئى لى جوا يطير هواى
فى سماه فيلتقى بهواك

طائرين كما نُحبُّ ونهوى
فى سمائى -إن شئتِ- أوفى سماك

طائرين هُناك لم نخشَ شرًّا
من أعادىَّ فى الهوى وعداك

حيثُ ألقاك في سموات حُبٍّ
مثل ما تشتهين أن ألقاك
أنا منك وأنت منى رُوحاً
فإلىَّ إلىَّ رُوحى فداك

إن تكن هذه التقاليدُ حالت
بين روحى وما اشتهت من جنَاك
فغداً يُقبلُ الربيعُ فيَنْضى
ما على وردِه من الأشواك

القبلة الأولى

لم أنس أول قبلة أخذت بها
شفتاى عهد الحب من شفتيك
مازلتُ، بين فمى أحس لها شذا
أترى لها أثر يُحسّ لديك ؟

بلّبلْتِ أحلامى ! فصرن أشعة !
كيما يصلن مع الضياء إليك
هيهات أنساك وكل حمامةٍ
فى الأيك تذكرنى بيوم الأيْكِ

لما وقفنا ثمّ ندّكرُ الهوى
هل كان من عينىّ أم عينيكِ

فإذا الذى بينى وبينك منطوٍ
وإذا أنا متوسد خديك
لبيت لو بالروح تُشرى ساعة
قضّيتها هيمان بين يديك

مواكب العيد

أسعديني ياربة الإنشاد
ليس مني أحق بالإسعاد
أسفري أستهل وحي يَراعي
من مُحيًّا جبينك الوقاد
وامنحيني من الخلود مدادا
يتجلى به خلود مدادي

واخبريني: أين السرور توارى
وتولى بفرحة الأعياد ؟
أين ما كنت أجتلي العيد فيه
من وجوه اللِّدات والأنداد
زَمن الطير هائما ليس يدري
في وهاد يحط أم في نجاد

حين تعلو خيل المراجيح ركضا
من جواد « نشط » فوق جواد
« والدمى» فى يد العرائس ترنو
للخذاريف فى يد الأولاد

عطلت تلكم الملاعب منا
وتعرت سروج تلك الجياد

أينما مرتُ لم أجد غيرهمٌ
كامنٍ فى الثياب أو هو بادى
أينما مرت لا أرانى إلا
خائضا فى اللظى وشَوْكِ القتاد

فى بيوت العمال ألقى دخانا
من حريق الآلام للأكباد
زفرات كأنهن قلوب
ذوبتها حرارة الإجهاد

رزقُهُم مرسلٌ لهم قطرات
من (أنابيب) فى يدى (عداد)

فى بيوت التجار أسمع شكوى
وأنينا يذيب صم الصلاد
فأظن الأسواق حالت رمادا
فى عيون لا تمتلى بالرماد

أسعديني يا ربة الإنشاد
ليس مني أحق بالإسعاد

كم تمنيتُ أن أغرد صوتا
خالص اللحن لم يُشَب بالحدادِ
فأجلىّ الشجى الدفين بصدرى
جائش البرق دائم الإرعاد

وأغنى به مفاخر مصر
وأعلىِّ لواءها فى البلاد
وأهنى آل الحنيفة بالفطر
وآل الصليب بالميلاد
أغنيات تذيعها ألسن الضوء
وصحف الأثير فى الآماد
يحتويها المذياعُ وهو فخور
بصدى وقعها على الآباد

أسعديني يا ربة الإنشاد
ليس مني أحقّ بالإسعاد
وهبى لى القريض حرا نقيا
كوثرىَّ الرواء عذب الرياد
فى حنين يظما له كل راوٍ
وأنين يُرْوَى به كلٌّ صادى

أسعديني فإنني من عرفت
همتيَ في الهوى وطول ارتيادي
وافتناني بالحسن اذرع عنه
كل قار من البلاد وبادي

لا ترى بالجمال أعرَف مني
بمزايا مهاره والجياد
وبقلبي لكل حسن محلٌ
رائع منه في محل السواد
كل حُسن له مزاياه عندي
وله ثم موضع بفؤادي

كيف يا مصرُ جاز حرمان مثلي
حين مثلي يقلّ في الأنداد
(أحرام على بلابله الدوح
حلالٌ للطير من كل وادي)
علم الطير ذو الجناحين أني
إن أطرْ لم أقع وراء مرادي
غير أني قلّمت ظُفْري عن الشر
وآثرتُ شكةَ الأمجاد
خُلقٌ ليس بالجديد علينا
وسجايا تليدةٌ عن تلاد
وأنا المرءُ إن أعُدّ فخاري
كان فخري بمصر أولى اعتدادي

إذاعة

فى أحد أعياد الضحية ، ولمناسبة لا أذكرها ، رحت أنكر فى حال البلاد العربية .

فوجدتنى فى لجة فكرية عميقة ، وقد خيل إلى أنى أملك جهازا لاسلكيا خاصا ، في إمكانى أن أتوجه به كما أريد ، فأخذت أتنقل بمفتاحه من تونس ؛ إلى طرابلس الغرب إلى جاوة ، إلى حضرموت ، ثم إلى العراق ، وأخيرا وجدتنى أعود إلى مصر .

وكان عجيبا حقا أنى فى كل هذه البلاد لم أسمع إلا شعرا . وهأنذا هنا أثبت كل ماسمعته هناك .

وهذه تونس كما يصفها شاعرها :

هل فى الجنان وفيما وصّفوا فيها
شبيه تونس فى إشراق واديها
البَحرُ ما ابيض إلا من أياديها
والسحب ما أمطرت إلا بأيديها

(باريس) فى حسنها إحدى ضواحيها
أى الفنون تبارت فى حواشيها

فطرزتها فنونا فى مرائيها
تحتار حين تراها فى تجليها

من أى ناحية فى الوصف تأتيها

هل من تهائمها أم من أعاليها

فالحسن يخطر فى شتى نواحيها

فما رأيت ظباء فى بواديها

إلا ذكرت الصبايا فى نواديها

أين العصافير منها فى تناغيها

ولا تظن بأنى قمت أطريها

جمال تونس لايَحتاج تنويها

تبارك الله ما أحلى معانيها

وما أرق الليالى فى مغانيها

لولا فرنسا استبدت فى أهاليها

ولم يصل شاعر تونس إلى هذا الموضع حتى أدرت المفتاح ، فإذا بى أسمع طرابلس الغرب وإذا ، بشاعرها وقد حسبته أحد شيوخها ، أخذ يقول :

طرابلس : دارى هل أبارك للدار

وإن أصبحت دارى وليس بها دارى

كأنى بها أضحت وليست بأمة

فلا صوتها عال ولا برتها سارى

لقد نسيتْ فيها الزوايا شيوخها

وقد أقفرت من كل قار وذكار (١)

ولم يبق للقرآن إلا بقية

هنالك — إن ماتوا فليس له قارى

---

(١) الزوايا : أمكنة للتعبد والتعليم ، يسميها هكذا أتباع السنوسيين كانت طرابلس وقتئذ تحت الاستعمار الطلياني .

إذا حل الاستعمار أية حلة
ففتش على الأخيار فيها بمنظار

فليس بمستبق سوى كل فاجر
وليس بمستعل سوى كل عيار

يهدم فى الأوطان عادات أهلها
ويقضى عليها بالمخازى وبالعار

أما شاعر جاوة ، فهكذا أخذ يصول ويجول :

أو ليس عارا يابنى الإسلام
أن تصبحوا فى الأرض كالأيتام

يقضَى عليكم فى الأمور ومالكم
فى الحكم من نقض ولا إبرام

غبتم عن الأحكام حتى خلتكم
لاتطلبون سوى رضا الحكام

كم جاءت الأيام تفضى سرها
لكمُ فأعرضتم عن الأيام

فى يوم عيد النحر هل فكرتم
لم تسفحون به دم الأنعام؟

روح الفداء قوام كل شريعة
للحق : كيف شريعة الإسلام؟ .

ومن الضحايا ماتخط دماؤه
سبب الحياة وعزة الأقوام
ما سال إلا فى فلسطين دم
ويح الضحايا من بنى الأعمام

إن قُتِّلوا، إن شردوا ، فلقد غدوا
فينا مثال الصبر والإقدام
اليوم إن ولَّى فإن على غد
ثأراً سيطلبه من الظُّلاَّم

قلت أنتقل إلى العراق ، فإذا بى أسمع شاعرا تخيلته شابا ، لأنه كان يقول :

هات اسقنى ياصاحِ هات
من خمر دجلة والفرات
ماء مصفى من رحيق
من عيــون الخلدِ آت

ودّتْ سُقاةُ الحور لو
نالت به شرف السقاةِ
ويكاد شاربه يحس
عليه « إكسيرَ » الحياة
اليــوم عيــد المسلمين
أجــل وعيــد التضحيات

هبا نضحى بالهموم
وبالأمور المفزعات
ونبيح لذات الحياة
جميعها والطيبات

بغداد ، يا دار السلام
وغابة القوم الأباة

لك من سيوف بنيك عهد
المشرفيات المضاة

صانوك فى لبد الأسود ،
وبين أثداء اللبآة

وغدا فلن يجبى السحاب
سوى عواملك الجباة(١)

ماضيك أذّنه بلال
بصوته الحلو السمات

من فجره مازال يملأ
جرسه سمع الحياة

هنأتُ قومى بالعراق
فرددت كل الجهات

---

(١) فى هذا البيت إشارة للكلمة المأثورة عن أحد خلفاء الإسلام فى بغداد ، فقد رأى سحابة عظيمة تتخايل فى السماء فالتفت نحوها وقال : أمطرى فى أى موضع شئت فسوف يأتينى خراجك . والعوامل : هى الرماح . والجباة : جمع الجابى .

ومشى الزمان مكررا

فى كل قطر تهنئانى

قال الراوى : وكادت تستغرقنى هذه الإذاعة العراقية بروحها المتفائلة لولا أن المذيع أعلن انتهاء وقت الإذاعة هناك ، فلعبت أصبعى فإذا بى أسمع : هنا القاهرة تسمعون الآن الشاعر ... يهنئكم بعيد الأضحى المبارك وإذا بالشاعر يقول :

عيد — كما زعموا — ألا ياليتهم
ما أخجلوا الأيام فى أسمائها

العيد مظهر عزة قومية
تُزهى بها أمم على نظرائها
ومواسم الأوطان عنوان على
أمجادها ورقيها وثرائها

هل زينة الأقوام فى أعيادها
إلا دلائل نفسها وجلائها
أرأيت مصر اليوم كيف ازينت
أرأيت وجه العيد فى أبنائها

أتحس أين الذوق فى زيناتها
أتحس أين الفن فى أزيائها
إنى لأخجل أن أبوح بسرها
وأذيع ماشاهدت فى أحيائها

الفقر فى أقوامها غطى على
آمالها وطغى على سرّائها
الشعب لاه فى مباذل فقره
والفقر فى الدنيا أساس بلائها
كبراؤها والأغنياء بأرضها
غفلوا حقوق الله فى فقرائها
هاهم بنو العمال فى أطمارهم
كالزهر جفت من فساد هوائها
سكنوا بيوتا — كل خمسة أنفس
فى حجرة كالقبر ضيق بنائها
بالله كيف ترى الخلائق هذه
تنمو وكيف تكون فى آرائها

وحدثت سكتة ، حسبت أن الإذاعة انتهت ، ولكن المذياع لم يسكت إلا قليلا ثم عاد يقول :

مصر فى حاجة إلى تضحيات
من جهود ومن مساع صحاح
مصر فى حاجة إلى كل وجه
من وجوه التجديد والإصلاح

شعبها يشتكى ، ويا ليت شعرى
كيف يشكو شعب الندى والسماح .

وعجيب أن يشتكى الطير عيشا
وهو فى جنة من الأدواح

أسغاب — وأرض مصر قناة
من رحيق وجدول من أقاح
أظماء — وذلك النيل يجرى
كوثرا فى سهولها والبطاح
أى واد ترابه كان تبرا
مثل واديكم الخصيب النواحى

ياطيور الحمى وروحى فداكم
ماعلى الطير — إن بكى — من جناح
لم تضق مصر بالخلائق ، لكن
مصر ضاقت بالأغنياء الشحاح
ليس داء البلاد عقم بنيها
لا ، ولاجهلهم بطرق النجاح
إنما داؤها سراة أصيبوا
— إذ أصيبوا — بخسة الأرواح

بنك مصر

أنشدت هذه القصيدة فى الاحتفال بعيد بنك مصر من دار الإذاعة اللاسلكية .

ابْنِ الرِّجالَ وهيِّئِ الأمْوالا
واطْلُبْ فلسْتَ ترى هناك مُحَالا

الأمرُ ليْسَ خَطابةً وتَفَيْهُقًا
كلّا ، وليْسَ عَواطفًا وخَيالا

لكنّها الأوطانُ إن تنهَض بها
فاحْشُدْ لها الأعمالَ لا الأقوالا

واجعَلْ من الأقلام ثَمَّ مَغازلًا
واجعَلْ منابرها هى الأنوالا

حاشاىَ أحتقرُ اليَراعَ مُوفَّقًا
للخَيرِ ، لا يَبْنى العقولَ ضلالا

لكنّنى آمنتُ بالعصْرِ الذى
عُنوانُهُ أضحوا هُمُ العُمَّالا

للمَجْدِ أسْلحةٌ إذا استعرضْتَها
لم تَعْدُ علمًا نافعًا أو مالا

مَن كانَ يَرْجُو أن يُدَاوِيَ شَعْبَه
فلْيَقتلَن الجَهلَ والإقْلاَلاَ

فتَّشْتُ أدْواءَ الشُّعوبِ فلم أجدْ
كالفقْرِ داءً للشُّعوبِ عُضَالاَ

الفقرُ مثلُ الجَهلِ كانَ كِلاهُما
جُوعاً وكانَ كِلاهما إذْلالا

الفَقرُ يقتُلُ في النُّفوس سُمُوَّها
كيفَ السُّمُوُّ لمنْ يَعيشُ عِيالا

لا تَحْسَبوها أمةً قد حُرِّرَتْ
قَوْماً إذا ما استُعْبِدَتْ أمْوَالا

يامِصرُ عَبَّدْتِ السبيل — إلى المُنَى
فخذِي سبيلَكِ للْمُنَى إرْقَالا

هذا زَمانُكِ بالسِّلاح مُدَجَّجاً
هيهات يترُكُ للضعيفِ مَجالا

سُلِّي مَكانكِ من زَمانكِ عنْوَةً
لا تأخذِيهِ مِنحةً وسُؤالا

في مِصرَ أرضٌ لا يزالُ تُرابُها
تِبْراً إذا ما أُحْسِنَ استغْلالا

في مِصرَ جَوٌّ لا يزال بخيرِهِ
بِكْراً يُنادِي طِيْرُه الأبطالا

فى مِصرَ غابٌ لمْ تزلْ أشبالُهُ
من خَيْر ما زَرَعَ الثرى أشبالا

هـٰذِى الكنوزُ لعَمْرُ مِصرَ وسحرها
هل من يَفُكُ السِّحْر والأقفالا ؟

يا بنتَ مصرَ على سَنَاك تنوّرَتْ
مِصرُ الحَيَاةَ ونَوَّرَتْ آمالا

يُثْنى عليْك بأرضِهِ وسَمائهِ
وَطنٌ يراك لهُ حِمىً وَوِئَالا

أرأيْتَ عيدَكَ كَيفَ كان صَبَاحُهُ
بِشْراً وكان مَسَاؤُه إقْبالا

لكأنّ أعيادَ الزّمانِ تَجمّعَتْ
فيهِ وأقبلَ وجْهها يتلالا

حَصّنْتُ هذا المجْدَ باسم محمَّدٍ
والصّحْبِ أصْدق من عرَفتُ رجالا

وثنَيْتُ أذكرُ « طَلْحةً » وصِحابتَهُ
والتابعين أجَلّ مِصرَ فِعالا

الوَاهِبينَ لِمصرَ مِلءَ مَقَالهِمْ
صِدْقاً وملءَ وَفائِهِمْ إجْلالا

الشائِدينَ لها الصُّرُوحَ مَعاملاً
القاتِلينَ البُؤْسَ والإمْحالا

الفاتحين لها البحارَ تِجارةً
المُنْشئينَ لها السّفينَ جِبالا

الباعثينَ بها الحَياةَ عزيزةً
الفارشينَ طريقَها استقْلالا

أَصْحابَ «طَلْعَتَ» إنَّ مِصرَ تَمثَّلَتْ
فيكُمْ نُبُوغاً ساطِعاً وكَمالا

يا (طَلْعَتَ) الطلعات تَهنِئَةَ العُلا
جاءَتْكَ تشكرُ هذه الأعمالا

وهَناك ، وادى النِّيل أصبح كلُّه
يُثْنى عليْك مُباهِياً مُخْتالا

إنْ شِئتَ تِمثالا فَمِنْ أضلاعِنا
أو منْ جَوانِحنا خُذِ التِّمْثالا

لوْ تُوهَبُ الأعمارُ فازتْ أُمَّةٌ
وَهَبَتْكَ منْ أعمارها أجْيالا

رهين التراب

إذا ضم الثرى جسدى ، وراحوا
وخلونى . . رهينا فى التراب

وحيدًا . . من أحبائى وأهلى
وممن قد عرفت من الصّحاب

فإنى . سوف ألقى الله ربى
بقلبى ، ثم حُبىّ للكتاب

اللحن والصورة

كانت الفكرة من وضع القطعتين « وردة تفتحت » « وعصفورة رأيتها » . إخراج نغم مصور بالمناظر المسرحية والتوزيع الضوئي .

وكان ذلك في سنة ١٩٣٦ . وحين لم نجد الفنان الذي يسمح بإخراج هذا اللون الغنائي أخذنا قطعة « عصفورة » ، ووضعناها قصة تمثيلية غنائية ... بصورة أكثر إيضاحا وتفصيلا .

وأليق بالمسرحية الغنائية المعتادة .

وردة تفتحت

وردةٌ تفتحت في غصنها
عبرت فأفصحت عن حسنها

لطفها يغرى بها — يالطفها !
أى غاو يستحل قطفها
وهى للدنيا ستهدى عطفها

من يشم مرة من نفحها
عُمرهُ لم ينس لطف روحها !

والنسيم حولها مستهترا
ما له وما لها أيا ترى ؟
ربما أمالها وما درى !

ربما لوى بها
أو ذوى بقلبها !

خفت أن يضرها

أو يمس طهرها   هكذا رحمتها

قلت : لو قطفتها   هل أكون صنتها

وانبرت لها يدى ــ قطفتها !

ما شعرت بالتى فعلتها !

كنت قبل خائفا من الهوى

أن يمس طهرها ذا غوى

كيف حال غصنها لما التوى

لست أنسى ما حييت وردتى

وشذاها عالق فى راحتى

كيف أنسى زهرة المحبة

وهى دنيا سلوتى وبهجتى

لو قدرت صنتها فى مهجتى

ما لها صوحت

قبلما أصبحت

كيف غاض ماؤها

وانطفا بهاؤها   ليتنى تركتها

غلطة غلطتها   حينما جنيتها

ليتنى تركتها فى غصنها   ليتنى يا ليتنى لم أجنها

عصفورة

الراوى : عصفورة رأيتها من حالها عذرتها
بكل واد تلعب لكل ناد تذهب
كأنها لا تتعب

تريد تبنى عشها تقيم فيه عرشها
وهمها أن تنهل من كل غُصْنٍ أخضل
وحيث مالت بالنظر فى الأرض أو فوق الشجر
رفت ولم تخش الخطر

رأى الكنار زهوها فراح يقفو خطوها
أحبها وما درى بأنه أحبها
وقد أجاد وصفها عساه يغزو لطفها
أو يستدر عطفها
تسمعُ ماغنى لها

الكنار يغنى : ريشك ياعصفورتى لم تر عينى مثله
الله . . . ما أجمله وما أخف ظله
مما للغصون كلها تعلقت بقربك !
أوراقها هامسة أحبك أحبك
أمن أشعة الضحى ريشك هذا قد صنع
أم من حبيبات الندى فى رونق الصبح جمع
لمحته فخلتنى كأنما أنا حالم
أو أننى فى زورق فى لجة بى عائم
بالله يا عصفورتى من أين جئت أرضنا
ومذ حللت دوحنا حل الربيع بيننا

الراوى : ما التفتت لجرحه ولا صغت لنوحه
صوت الكنار لم يلين قلبها . . . . ياقلبها
غريرة فى الصغر وعقلها لم يستقر
لم تدر ماغب البطر

وهكذا عنها اعتذر من راح عنها يعتذر

أحدهم(١) : يا أيها المعتذر أحسنت فى مقالك
وإنما الحقيقة شىء وراء ذلك
أنصت إلى تغريدها تدرى بما هنالك

(١) أحد الأشخاص يمثل المستمع على خشبة المسرح.

العصفورة تغنى : أنا هنا مَن هاهنا هل هاهنا إلا أنا
أنا وأنت يا أنا إذا تجسد السنى
واللهب المسوسـنا فهو أنا
هناك تلقانى هنا وهناك لا . ولا هنا
أنا أنا ومن أنا ياليت شعرى من أنا
أين الكنار مين (أنا) لمـا تغنى لى أنا
لكن ولكن من أنا ومن هنا إلا أنا
أنا وأنت يا أنا

الراوى : هنا وهب المعتذر مرتعشا من الضجر
أحدهم : أخى تريث وانتظر

الراوى : ماذا وماذا أنتظر إنى أكاد أنفجر
هذا غناء أم هذر

أحدهم : اصبر عليها . لا لها يمكن . . . . . .
الراوى : . . . . لكن مالها فى أى وضع لاتقَر
ومالها ليس لها على الغصون مستقر
ومالها تعوى الذئا ب حولها ولا تفر
ومالها بعض الكلا ب شمشمت حيالها
فلم تخف ولم تقل للكلب امشى يالها

حركة العصفورة : حطت وطارت حطت وطارت
ثم حطت مرة على فنن تخيلته دوحة فزغرتت فرحانة
فرحانة بالسكن

لم تدر أن وعدها قد استحل صيدها
وأن غصنها شبك بها وألقى للشبك
همت تطير فانكسر جناحها على الأثر
فاستسلمت للقدر

الراوى : سرعان ماطار الخبر وأقبل الطير الأخر
(١) حركة : يرفلن فى مثل الحبر كأنما هن الزهر
مجموعة من
العصافير

وإنما استرعى النظر تجمُّع الطير زمر
يرقصن مابين الشجر

وهن ينشدن كما لوكن فى حفل سمر
عصفورة تقول : مغرورةٌ ضعيفةٌ لم تحسن التصرفا
فأسرفت تدللا وأسرفت تظرفا
قد جعلت حياتها جميعها تكلفا
مصيرها لا بد منه أن يكون مؤسفا

عصفورة أخرى: كانت تحب الترفا أسفى لها وا آسفا
هذا المصيرُ دائماً لكل شخص أسرفا

عصفورة أخرى : بل قل مصير مثلها من كلٍّ من تعجرفا
أو ظن أنه هوه هو وحده المثقفا
عصفورة اخرى : هذا ولكن أولا من حقها أن تُسعفا
ادعوا لها مستوصفا واجبنا أن نعطفا
حتى لمن يبدو لنا سلوكه منحرفا
ادعوا (بوليس النجدة) يستعجل المستوصفا

عصفورة أخرى : لكننا لن نضعفا لحد أن نرفرفا
على السخاف الضعفا أو الضعاف السخفا
الراوى : وكاد يجلو الموقف وينتهى التصرف
الببغاء تغنى : لولا مجىء الببغا بريشها تهفهف
تهذى بما لاتعرف

أنا هنا من هاهنا هل هاهنا إلا أنا
أنا وأنت يا أنا

الراوى : والببغا تقلد ولم تزل تردد
أنا وأنت يا أنا
أما الطيور فاستدرن حولها
يضحكن منها أو عليها أولها

إذا بصوت لايرى فى الطير إذ هو قائل
الببغاوات انتهوا والسادة العواطل
يا طير إن عصركم يجدٌ ليس يهزل
وإننا فى ثورة أمثالها قلائل

كأنما شعارها أن اعملوا أن اعملوا
اصغوا فذا نشيدها تنشده البلابل

مجموعة تغنى أبطال الثورة حيوهم سيروا معهم قدما قدما
نشيد البلابل : حيوا الأبطال حيوهم اسما اسما علما علما
خلّوا العرب تعلو همما خلوا العرب ترقى القمما
فإذا الدنيا رفعت علما كنا نحن هذا العلما

هذا الحسن

لم يخلق اللهُ هذا الحسنَ مُبْتدعًا
إلاّ ليجعله بين الورى مُتَعا

من أين جئتم بهاتيك القُيودِ له !
حتى غدا ما أباحَ اللهُ مُمْتنعا

دعوا الجمالَ هنا تزهو رسالته
ويَنْشُر الضوء والأخلاق ماطلعا

لم يَبق للأرض ماترجو الخلاص به
من القيود أذلت أهلَها طمعا

إلا إذا الحسنُ قد أدنى مطالعه
وراحَ حرًّا يلبيّ كلَّ من سجعا

هكذا

الشرطُ فى الحسنِ عندى جاذبيَّتُه
لم أشترطْ فيه لاخَدّاً ولا جيدا
والحبُّ عندىَ معناه موافقة
ما بينَ روحينِ تلحيناً وترديدا

الصهباء

ناولتُها الصَّهباء ، قالت : إننى
للماء ظَمأى ، لا إلى الصَّهباء
فأجبتُها : هُوَ ماطَلبْت وإنما
وَرْدُ الخدود رأيتِه فى الماء

يقولون

يقولونَ إنّ الوصْل يشْفِى منَ الهوى
فمالى بعْد الوصْل زدتُ به وجْدا ؟
إذا مامَضى يَوْمٌ ولم أرَ وجْههُ
تناسيتُ هذا اليوم من عُمُرى عَدّاً

لحن الشرق

لحن أفراحى فى عُرس الحياه
ضاع هذا اللحن منى ـ ضاع آه
آه فى دُنياى لو غنيتُهُ ! !
آه فى دُنياى لو رنّ صداه

أين .. أين الشرقُ من أحلامه
أين منه الآن أحلامُ صباه ؟؟
والنجيون يروحون به
أو يجيئون بتفسير رؤاه

وكأن الشرق فى هالته
موضعُ السُّدة من عرش الإله
لاتشعُّ الشمس من مطلعها
دون أن تومى إليه بالصلاه

أيهذا الشرق .. ماذا قد جرى
لك حتى غبْتَ عن ركْب الحياه ؟

مالسينَا اليوم ماذا خَطْبُها ؟
مالموُسَاهَا تخلّى عن عَصَاه ؟

غلَبَ السحر على الشرق .. ألا
منْ عَصَا نَرْمى بها وجه الحواه؟

هل تخلى الله عن أقداسه ؟
أم تخلى الله فيه عن سَمَاه ؟
قام أهل الكهف من رقدتهم
هل يقوم الشرق ! هل تصْحو قواه؟

حكم الباغى عليه . . أوعدا
ومن العادين فى الشرق طُغاه

ربٍّ . . بالبيت الذى عظّمتَه
فيه بالقدس ، بمَثْوى أنجياه

أعط للشرق حمى جيرته
إن للجار على الجار حماه

من سماء النيل ، يدعوك لَه
استجبْ يا ربِّ للنيل دعاه

جاه النبي

جاه النبي محمد ، من لى به
مَن لىّ بجاهك يا رسول الله

جاه النبي محمد وهو الحمى
لمن احتمى أعظم به من جاه

لىّ يا رسول الله فيك تطلع
يقوى به ركنى الضعيف الواهى

أنت الرجاء وأنت لى السند الذى
أزهى على الدنيا به وأباهى

مالى سواك وقد سألتك نظرة
أمنن علىّ بها لوجه الله

يا سيد الدنيا هدىً وهداية
أمنن علىّ بنظرة لله

حتى إذا ماسرْت آية سيرة
ألفيت نور هداك سار تجاهى

أهواك أهوى فيك إنسانية
بلغت مناها فى ابن عبد الله
يامُعْجزَ الوصاف فى أوصافه
يا واحدا فردا بلا أشباه

ماشئت من عظم وطيب خلائق
ماشئت فى باهى المفاخر باه

أعشاب

رجالنا*

همو الرجالُ وكم في الغاب من نمر
لم يخش إلا سُطاهُ اللّيثُ والنّمرُ

قد استعدُّوا ولكنّ الزمان له
أذنٌ حديدٌ وأذنٌ كهفها حجر

لو استطاعوا لزادُوا النّيل أقْنية
فوق السُّهى ثم لا منُّوا ولا بطروا

حسْب المفاخر منهم أنهم صبروا
حتى أدالَت لهم من نَفسها الغير

ما تَمّ فهو رضاً إن تم فيه رضاً
وللشباب غدٌ . . والمجد منتظر

(*) كتبت حينما وقع رجال الجبهة الوطنية معاهدة الاستقلال فى سنة ١٩٣٦ وكان هناك لغط من بعض الأحزاب المصرية حول هذه المعاهدة .

غن للأحرار

غن للأحرار غن غن غنى ... في مجالى العيد كم يحلو التغنى

نحن منذ اليوم فى اليوم الأغن
هات هات النَّاىَ خلينى أغنى

غن فيمن خلصونا ... من يد المستعمرين
غن فيمن أنقذونا ... من بلاء الغاصبين
غن فيمن طهرونا ... من فساد الحاكمين
غن فيمن جعلونا ... أمة فى العالمين
غن فيمن علمونا ... أن نحب الثائرين
بعد ما كنا كأنا ... فى عداد المهملين

لا تسلنى الآن عما فيه كنا ... قبل أن يبدو لنا الصبح المبين
وسل الإقطاع فى كل البقاع ... فهو أصل البؤس فيها والضياع
كلما أبصرتَ شرا أو فسادا ... فالعن الإقطاع فى كل قطاع

كتبت فى أحد أعياد ثورة سنة ١٩٥٢ .

من دم القطعان كم ساد وشاد — عاطل قد كان يدعى بالأمير
وهو لو توزن أخلاق العباد — لا يساوى وزنه صاع شعير
ربما قد جاء فى ليل حصاد — عن أب أصلا من النوع الحقير

لا تسلنى الآن عما فيه كنا — قبل أن ينجاب ليل العابثين
وسل الأيام كم ذاقت وذقنا — من فساد الحكم فى العهد اللعين
كيف كان القوت لا يمنح إلا — للأُلى خروا إليه ساجدين
كيف كان الظل لا يسنح إلا — من ذيال الوارثين العاطلين
كم على طغيانهم فينا احتملنا — كم على استعلائهم عنا صبرنا
كم على الدون — ودونْ الدون هنّا
شآه الاستعمار يلما نال منا — غير أنا رغم هذا ما وهنّا
ثم عدنا كيفْ — قل لى كيف عدنا
كم ضحايا آه لكنا وصلنا — من رآنا ظنّ أنّا ما بعدنا
لا تسلنى الآن عما فيه كنا — إنما سلنى على ما فيه صرنا

منذ صار الحق فى أيدى صحابه — كل حقل صار ملك الزارع
مذ غدا التصنيع عنوان كتابه — أصبح المصنع ملك الصانع
لم يعد فى شعبنا الحكم لفرد — حكمنا قد صار فى أيدى الجميع
أى شكوى يشتكيها الناس بعد — غير وخز الشوك فى ورد الربيع
لا ولا والله لم نظفر بعهد — مثل هذا العهد للشعب الوديع

أيها الأحرار فى عيد البشائر — مجدكم غنى به كل فنن
من صباح اليوم ما فى الروض طائر — لم يغرّد باسمكم حتى افتتن

غنّ بالأحرار أحرار الجزائر غنّ أو غنّ بأبطال اليمن
غنّ فى بغداد عنوان المفاخر وطن الثوار فى كل زمن
من دمشق غن واهتف يآل ناصر لصلاح الدين أنتم أو لمن
يا لواء المجد من تلك المنائر ارفع الصارى وللصارى اطمئن
إننا من أمة ماض وحاضر كعروق التبر لم تصدأ ولن
وحدة الفصحى لنا أم وأب فلتكن أما وأبا ووطن

ليلى العراق

قالوا لنا ليلى العراق مريضة
فسألت أين طبيب ليلى يا ترى

أتراه أخفى حبها متناسيا
أم أنه خوف الرقيب تسترا

أتذيع ليلى حبها لطبيبها
وطبيبها يُخفي الهوى مُتسترا

يا للزمان — نرى الجمال استنوقت
فيه — وفيه نرى البغاث استنسرا

ما كان ضرّ طبيبها لو أنه
قد زارها حتى ولو متنكرا

أأقول إن طبيب ليلى فاتها
أم خانها ، أم باع فيها واشترى

نشرت بمجلة « الأنصار » سنه ١٩٤١ . والقصيدة من الشعر السياسي الذي اضطر الشاعر لكتابته بهذا الأسلوب في احدى ثورات العراق .

ظلموك يا ليلى وقالوا إنها
جُنت وجن جنونها فاستكبرا

تأبى الدواء ، فإنْ أتيت لها به
ردته أو رفضته رفضا مُنْكرا

لا بأس يا ليلى فكل جميلة
لا بد مِن إفك عليها يُفترى

وهب الذى قالوه صحّ فما لهم
عذلوا المريض ، وحقه أن يُعذرا

العيب فى رفض المريض دواءه
هو عيب مَن أعطى الدواء مُنَفِّرا

الشهيدان[1]

رُمْتها صلحا فرامتنى خصاما
يا زمان السوء ، بالسوء إلا ما
قيل حظ ، قلت آمنا به
من عتى ، جار فى الناس احتكاما

ما عليه لو سقانا بالتى
راح يختص بها القوم الكراما
أو لم نبن على أحسابنا
ونخط المجد آمالا جساما

مصر ليس المجد إلا مانرى
من طريق بالمنايا يترامى
سنة العليـــاء من آبائنا
قد ورثناها دماء وعظاما

---

(١) هما أول طيارين مصريين استشهدا في الجو .

كلما أجت بنا أيامنا
نارها ، طرنا إلى النار اقتحاما

لم يزدنا الخطب إلا عزة
وإباء ومضـــاء واعتزاما

لانبالى ما امتطينا فى العلا
أحلالا نمتطيها أم حراما

ليس من مصر ، ولا مصر له
من يهاب الموت ،أويخشى الحماما

يانسور النيل فى الجو اسلمى
وخذى للنيل فى الجو زماما

لاتراعى كلما نسر هوى
وتغابى الريح عنه ، أو تعامى

خلق الأحرار أطيارا وما
قتل الأحرار كالأرض رغاما

إن تخطوا للشهيدين الثرى
فاجعلوا قبريهما البيت الحراما

ولتطف كل فتاة وفتى
حول ذاك القدس، ماشاء استلاما

وابعثوا ذكرهما طيب الصبا
وضياء البدر ، أو نشرالخزامى

وإذا اسطعتم ففى الجو انصبوا
لهما فى السحب تمثالا ضماما

ثم اعيشوا كلما مربكم
غانم ، أحنوا له الرأس احتراما

فاز « حجاج » و « دوس » بالتى
ليس للأبطال إلاها مراما

توّجا مصر ، ثناء وسنا
وأباحاها ذُرا النجم مقاما

مصر مه يا مصر إن اسميهما
لك قد صارا وشاحا ووساما

بالعيد حال فينا مأتما
وعبوس رده الحزم ابتساما

ودموع فى جفونى كاللظى
صانها كبرى إباء واحتشاما

رثاء

منار المجد يعرفه رجال
لهم فى كل ما طلبوه حق
عليهم أن ينالوا المجد حقا
وإلا فالقبور بهم أحق

همو مُثُل الحياة وكل عصر
له مُثُلٌ يُحاكيها ونطق
عباقرة الحياة همو عليها
بلابل فوق سرحتها ووُرْقُ

أنبكى للعباقر إن يموتوا
وهم لم يذهبوا إلا ليبقوا
إذا ماتوا فهم معنى دقيق
وإن عاشوا فهم معنى أدق

أبيات من قصيدة رثاء للشاعر أبى عصام « عبد الحليم المصرى »

ضياء البدر إما اسودَّ أفقا
فني أخرى به يتَبَيض أفق

ونبكي حين يمضى عبقرى
وحين يعيش نحن له نَعقُ

أحقا مصر أعطت نابغيها
مكانهمو ونالوا ما استحقوا ؟

إذن فيم المكارم عاطلات
مشارِقُها وأرحبهن غلق

وفيم أعنة الدنيـــا بأيد
غلاظ في أصابعهن حمق

طوال حين يدعو الشر بيض
قصار حين يدعو الخير زرق

ثرى مصرٍ تراب عبقرى
به عرق له في المجد عرق

وفيم النابغون شقوا بمصر
وهم اصداؤها لسنٌ وشدق

وهم حدقاتها والجو غيم
وهم قسماتها والجو طلق

إذا مَا الغاب غاب الأسدُ عنه
فهل لسوى الثعالب فيه رزق

عتاب أن يشق عليك سمعا
فإن مروره بفمى أشق
ولو خيرت كنت سكت عنه
ولكن فى السكوت عليه حنق
أمَن للنار فى كفيه حرق
كمن للماء فى كفيه وَدْق

ومَن فى جاره لم يلق هما
كمن فى داره للهم طرق
وأين الخير فى الدنيا لعمرى
وأم النابغين لهم تعق

ولم أر نابغا كأبى عصام
أصاب لمجده ما يستحق
قصائد عنّريات فصاح
مواكبها لها الدنيـــا تدق
فإن تعجب بها فاعجب لسحر
يخيل ما يخيل وهو صدق

فما خطب العلى عفو المساعى
ولا من فضل ذى جاه يُرزق
ولكن همة بلغت مداها
وسبق لم يكن يحكيه سبق

فلم يطلب من الأقدار إلا
كما بالدين طالبَ مستحق

همام شب فى الأمجاد حبا
فلم يظمأ له فى المجد حلق

«عصام» بوالدٍ كأبيك يزْهى
ومن يزهى به فله يحق

فما رأت الحياة أرق منه
وما منه على الدنيا أرق

تهنأ إنه لك خير إرثٍ
وحسك أنه أدب وخُلق

أحمد ماهر*

«وافقت محطة الإذاعة على إذاعة النشيد التالى الذى وضعه الأستاذ محمود أبو الوفا . ولحنه ويلقيه الأستاذ صلاح الدين حمدى الفنان الموهوب . وذلك رثاء فى فقيد الوطن المغفور له الدكتور أحمد ماهر باشا . وتقرر موعدا لإذاعته فى ذكرى ليلة الأربعين لوفاة الفقيد العظيم .

اذكروا من مات من أجل الوطن
واجعلوا أحمد رمزاً للجهاد

إنه أزكى مثال للزمن
لشهيد مات فى حب البلاد

أذكروه أذكروه للشباب
تذكروا خير مثال للزعيم

تذكروا أعلى مثال يستطاب
فى سمو الروح . والخلق العظيم

(*) نشرت فى جريدة الدستور تحت عنوان « وفاء فنان » فى ٢ إبريل ١٩٤٥ بهذه المقدمة .

أذكروا إن شئتمو أن تذكروا
أنه قد كان عنوان الكرامة
أذكروا إن شئتمو أن تذكروا
أنه كان مثـالا للشهامة

فإذا جئتم لذكرى العاملين
فاجعلوا أحمد رمزاً للبطل
وتغنوا باسمه للناشئين
إن أرادت مصر أن تحيي الأمل

أذكروا فيه السياسى النبيل
وابعثوا ذكراه جيلا بعد جيل
إن مصر طبعها حفظ الجميل
كيف تنسى من لها مات قتيل
مصر كانت دائما دار الوفاء
فهى يا ماهرُ لن تنسى جهادك
فاذا مت وللنيل البقاء
فلقد بُلِّغت فى الخلد مرادك

ولئن متَّ كما مات عمر
بيد الظلم على أيدى البغاة
فلقد كنت عظيما فى الوفاه
مثل ما كنت عظيما فى الحياة

اذكروا كيف بلا ذنب جناه
عمد الباغى إليـــه ورماه
كيف طاعت ذلك الباغى يداه
ليت ذا الباغي قد شلت يداه
مصر يا أحمد لاتنساك حاشا
مصر لن تنساك ماطال الأمد

كيف تنسى مصر من كان لها
فى الليالى السود عونا وعضد
مصر يا ماهر كانت ترتجيك
كنت للنيل الركازَ المدخر
آه لو كنا استطعنا نفتديك
آه لكن خاننا فيك القدر

رحمة الله عليه ورضاه
قدْر ما للناس جادت راحتاه

تكريم شوقى

أقيمت حفلة تكريمية كبرى للمرحوم شوقى بك سنة ١٩٢٧ ظلت أسبوعاً اشترك فيها كبار أدباء وشعراء الأقطار العربية . وكانت هذه القصيدة إحدى القصائد التى اختارتها اللجنة المؤلفة لاختيار القصائد التى تتلى فى ذلك المهرجان العظيم .

هل يهز الملائك الاطراءُ
ليت شعرى وأين منه الثناء
طار بى الحبُّ فى سماء لعمرى
ليس فيها ، لمثل نجمى ضياء
أيها القلبُ كيف جُزت سماء
بعض حُرَّاسها همُ الأنبياء

أتُراك انخدعت يوم تجلّ
ثم لم ينْصَعِقْ بنا سيناءُ
ذلك الحبُّ ليس ثوبك فاسلم
وتعلَّم لكل عودٍ لحاء

أنت مَنْ أنت عند سدرة حُسنٍ
ينتهى دون بابها الأمراء
إن شوقى قصيدةُ الله فيها
حلّ معنى الخلود فيما يشاء

مزهرٌ غنَّت الطبيعةُ فيه
مرسلاتٍ أوحَت بهن السماء

فى بيان تنافَس الصبحُ فيه
حين يروى قصيدة والمساء
فى معانٍ سرين من كل حىٍّ
موضع الحس فهى فيه الدماء

كلمات كأنهن نجومٌ
وقوافٍ كأنهنّ الماء
بينما هنّ فى الصحائف رسل
فإذا هنّ فى القلوب أداء

ايه شوقى أمن سمائك هذا
أم لجبريل يُنسب الإملاء

بأبي أنت لو بُعثت رسولاً
لقضى الخلفُ فى الورى والعداء

هاهو الشرق حين أذَّن فيه
بلك داعٍ أجابت الأرجاءُ

وكذا الفضل ليس يُجحد مهما
يكثر المبطلون والأدعياء

برهن الشرقُ أنه عاد حياً
حين عادتْ تُكرِّم الشعراء

وإذا ما الشعوب سادت نفوساً
ساد فيها البيان والانشاء

بشّر القوم فالحياةُ شعورٌ
حيثما كان كانت الأحياء

غنِّ يانيل ما استطعت بشوقى
ثم كرر فلنْ يُمل الغناء

إنه فنُّك الذى لاتبارى
فيه مادام للفنون لواء

إنهُ شاعرُ الدهور جميعاً
مثل مامَرَّ فى الدهور الهواء

فلكل النفوس فيه حياة
ولـكل الصدور فيه شفاء

خالد الشعر سوف يبقى مرايا
تُجتلى فى صفائهـا الأشياء

باأميرَ البيان إن بيانى
فيك أعشَتْ عيونَه الاضواء

استعنتُ القريض فيك فلما
لم يجبنى أعان فيك الوفاء

تحية وتهنئة

تحية للرياضى المثالى المرحوم / جلال قريطم . بمناسبة عودته من رحلة علاجية بأوربا . وكان بين الشاعر وبينه مودة خالصة مخلصة لم يستطع الشاعر إلا أن يسجلها فى هذه الأبيات التى لم يستطع نشرها إلا بعد وفاته سنة ١٩٦٢ للوفاء والذكرى .

لَديك المعالى تستحق التّهانيا
نهنيك أنت ، أم نهنى المعاليا

وإذ كانت الدنيا مراقى للعلا
فانك من دنياك أعلى مراقيا

فأنت المثال الحق للخلق عاليا
وأنت المثال الصح للذوق غاليا

وماقلت هذا القول زُلفى موظف
يهنى رئيسا ، لا . ولاذا خلاقيا

ولو كنت يوما فى حياتى مرائيا
لما كان ذا شانى ولا تلك حاليا

ولكننى الإنسان أعشق دائما
جميع المثاليين أنى بدوا ليا

ولم أر أسنى من «جلال» نزاهة
ولم أر أسمى منه فعلا مثاليا

ومن أجل هذا قلت ماقلت صادقا
ومن أجل هذا الصدق لم أُخْفِ مابيا

أبا هانىء لولا الأمور كما هيا
لصيرت فيك اليوم شعرى أغانيا

تعيش أبا هانى حياتك كلها
كما شئت أن تحيا حياتك هانيا

شفاء*

شفاؤك وهو للدنيا شفاء
لها البشرى به ، ولك الهناءُ

شفاك اللهُ إنّ الناس مرضَى
لعطفك . فَهْوَ للمرضَى الدواء

مَرِضْتَ فَراحَ يشعر كل قلب
كأنّ به ، وليس بك العياء

حياتك كلها للناس غيث
وغيثك كله ثمر وماء

(*) وجهت إلى طلعت حرب « مؤسس بنك مصر وشركاته »

وفى أفق الزعامة أنت ضوء

له فى كل ناحية سناءُ

سلمت فأنت للدنيا سلام

وأنت لكل إصلاح رجاء

عواطف مصر اخلَصَتها إليك

هواك لمصر والدنيا جزاءُ

الرازقيون *

ياقلبُ ويحَك قد أسرفت فاتَّئِدِ
كم ذا وفيت ، وماجُوزيت من أحد

علّلتنى فى غد تسلو ، وفات غدٌ
فمالك ازْددت عما كنت ، قبل غد

يا لائمى فى الهوى دعنى وما خُلقت
روحى له ، ليس أمرى فى الهوى بيدى

رضيتُ حظىَ لولا أن مَن عشقوا
جميعهم وردوا ، إلاّى لم أرد

ما بالُ مَن جرحت ألحاظه كبدى
يأبى الضماد لها ، أوّاه يا كبدى

(*) قدمت للأستاذ الجليل الشيخ / مصطفى عبد الرازق ، أستاذ الفلسفة الإسلامية فى جامعة القاهرة ، وشيخ الأزهر (أخيرا) .

كم ذا أغنيّ ومن أهواه يسمعنى
ولم يقل إيه يا هذا ، ولا أعِد

إن كان من صيّدٍ عزوا فما لهمو
لم يرحموا ماأذلّ الحب من صيدى

جعلت جاهلك لى، يامصطفى عضدا
أنعمْ به بعد عون الله من عضد

للطير فيه غناءٌ عن قوادمها
وفيه للأسد ما يُغنى عن اللّبد

من أسرة إن تكنْ بالمجد شهرتُها
فقد تدرّع منها المجدُ بالزرد

غُرٌّ بهاليل تلقاهم فتعرفهم
فى بسمة البدر أو فى غضبة الأسد

يَزينُهم حسدُ الدنيا لمجدهمو
وليس مجدٌ إذا لم يُرْم بالحسَد

الرازقيون أعلى الله قدرهمو
بقدر ما رفعوا لله من عمد

كرّرتُ بين فمى ذكرى شمائلهم
فعاد صابُ فمى ، أحلى من الشهد

مولاى يا مصطفى نجوى مُسهّدةٍ
وليس مثل الهوى مُغرى على السّهد

إن لم تكن أفصحت عما تؤمّله
فإنها فَصُحت تيهاً بكم وقد

استقالة*

إنْ تستقلْ فلقد تركت مآثرا
تمشى على مِنهاجها الأيامُ
وإذا بقيت فلا برحت موفقاً
يُثْنِى عليك العلمُ والإسلامُ

(*) كتبت بمناسبة تقديم فضيلة الشيخ المراغى استقالته من مشيخة الأزهر (للمرة الأولى) وقد ظلت الاستقالة نحو الأسبوعين لم يبت فيها لأسباب سياسية بين القصر والحكومة وقتذاك .

شكران(*)

« شكا الشاعر علة مزمنة من أثر حادث دقت فيها ساقه
فلزم المكازة التى أوشكت أن تقوس ظهره .
فتعاون إخوانه الأدباء على إيفاده إلى أوربا لتعويضه
منها ساقاً صناعية دقيقة تصنع خصيصاً له .
و اشتركت الحكومة المصرية في هذا العمل الأدبي الكريم
بمعونة ثمينة فضلا عن نزوله ضيفاً على السفارة ، فكان
حقاً على الشاعر أن يشكرها في شخص رئيسها وقتذاك
وهو دولة صدقي باشا » .

رُفِع السِّترُ دوننا والحجابُ
وتَمشّتْ لهُ بنا الأسبابُ

فدخلنا يقولُ بعضٌ لبعضٍ
ها هنا يَصعَدُ الدعاءُ المُجاب

(*) كتبت هذه القصيدة استجابة لطلب أمير الشعراء أحمد شوقي(الذى كان وقتئذ صهرا لإسماعيل صدقي) ليلتمس بها وظيفة للشاعر تعينه على مجابهة حياته بيد أن الأقدار خانت الشاعر في حظه هذا إذ توفي أمير الشعراء قبل عودة صدقي باشا بيومين اثنين وأنشدت هذه القصيدة أمام صدقي باشا في مقابلته لوفد رابطة الأدب الحديث برئاسة المرحوم أحمد زكى أبو شادى وسكرتارية الأستاذ كامل الكيلانى . ورد صدقي على هذه القصيده بخطاب نشر في جريدة الشعب وقتئذ .

ها هنا تُوزنُ المقاديرُ للناس
فيعلو قاب ويَهبط قابُ

حيثُ أفْضِى بنا إلى أريَحى
ليس منهُ ولا به ما يُعابُ

فانحنيْنا مُسلِّمين عليـه
وبنا نشوةٌ وفينا اهتْياب

ووقفنا كأننا من خشوعٍ
أتقياءٌ هفَا بهم محراب

قد رأينا أحلَى الأمانى جبيناً
واجتَنيْنا أغلى جَنَى يُستطابُ

خير ما تُبصر العيونُ وأسمَى
ما اشرأبتْ لما يقولُ الرقابُ

ثم قُمنا وكلُّنا فيه ذكر
وثناءٌ يحلو عليه الشرابُ

نَوّرت فى الدجى خلائقُ صدق
فاستقادتْ لها الأسودُ الغضابُ

وسرى فى البلاد منهنّ طيبٌ
دونهُ المسك ساطعاً والملابُ

ثمّ من فِعْلِهِ على الحسب المحْض
دليلٌ تُزهى به الأحسابُ

واكتَسى مَنصبُ الرئاسة منهُ
خير ما إن به يُباهى نصابُ

رجلٌ يتلقى الزمان بصدرٍ
دون زلزاله تطيشُ الهضابُ

طبعت راحتاهُ سلماً وحربا
فكما تشتهى يكونُ الجوابُ

أيّهذا الوزيرُ نُعماك عندى
غضّ من شكرها بك الإعجابُ

هنأتنى بعطفك الناسُ حتى
نافستْنى فى شكرك الأصحاب

شاعر الاهرام (*)

في مجلس قد ضمني وجماعة
من أعرف الأدباء بالأدباء
فتحدثوا في الشعر عن أمرائه
وحفاوة الأمراء بالأمراء
وتساءلوا بي من ترشحّ عندنا
ليكون عنوانا على الشعراء
في الحال قلت : محمدٌ عبدالغني
حسن أحقهمو بدون مراءِ
صاحوا جميعاً : ذاك ليس كمثله
هذا الأحق بها بلا استثناء

(*) نشرت تحت عنوان «بين الشاعرين الكبيرين محمود أبو الوفا ، ومحمد عبد الغني حسن وساعي البريد الأمين وديع فلسطين» بمقدمة ، في مجلة الإخاء (مجلة جامعة تصدر عن دار الاطلاعات في طهران) العدد ٤٤٦ السنه ١٦ في ٢٤ شعبان ١٣٩٦

(*) نشرت تحت عنوان «شاعر الشعراء – والرد عليها» بمجلة الثقافه الاسبوعيه (ج ، م ع) في ١٨ ديسمبر ١٩٧٥ .

فى شعره ، فى علمه ، فى خلقه

« من ذا يضاهى قبة الجوزاء » ؟

يا شاعر الأهرام ، يالك شاعرا

تغزو قوافيه نُهى الحكماء

للشعر عشت ، وعاش شعرك ظافرا

بالحب ، بالإعجاب ، بالإطراء

الخلق الرفيع

وديع صرت أسمى من وديعٍ
فأين تكون ؟ قل لى يا وديعْ

أأنت إلى المسيح تكون حقاً
وإلا فيك يشتّرك الجميع ؟

صفاتك لاتحاكيها صفاتٌ
ولكن قد يحاكيها الربيع

بوصفك يُزهر الأدب المصفّى
وباسمك أينع الخلق الرفيع

– تحية وفاء وجهت إلى الأديب الكبير الأستاذ وديع فلسطين تأكيدا لما بينه وبين الشاعر من صداقة ومودة إنسانية عميقة جدا

– كتبت في ٢٩ اكتوبر ١٩٦٢

– ونشرت بمجلة الأديب (البيروتيه) ديسمبر ١٩٦٢

تعيش مُبرّأً من كل عيب
لفضلك كل مأثرة تذيع

لأنت أحق موصوف بحق
ولكن من لوصفك يستطيع ؟

أخوى

وديعُ فلسطين صديقٌ مُصدق وَفىٌّ، أبىٌّ ، مخلصٌ وو ديع
ولكنه فيما له من تواضع مثالٌ لأشراف الرجال رفيع

لويس فلسطين له نَفْسُ سيد رفيع السجايا فى اتزان خلاقِ
ولكن له فى الفن ريشةُ مُبدع وإبداعُ فنانٍ ، وإعجاز خلاق

كتبت فى ٢٠–١١–١٩٧٦

ترحيب *

أهلا وسهلا بالشعور
الصادق الصافى النمير

تَفَسُّ الأحبَّةِ خالصا
من كل شائبة التنكير

وشذى النسائم عاطراتٍ
فى الأصائل والبُكور

وصدى أهازيج المزاهرِ
ـ أو تغاريد الطيور

أهلا بديوان الصديق
الشاعر الفحل . الكبير

* ترحيب بديوان الشاعر الكبير الأستاذ محمد مصطفى الماحى

لفظ حريرىٌّ الحِيَاكةِ
أو أرق من الحرير
رفّت فصاحته عليه
كالأشعَّةِ فى الغدير
فى رقة مثل الهديل
وقوة مثل الزئير
ودّته رباتُ الخدور
قلائداً فوق النحور
أهلا وسهلا بالشعور
الصادق الصافى النمير

من كل معنىً بابِلىّ
السحر نفّاذٍ بصير
مثل السّلافة جُمّعت
من كل ألوان الزهور
جمعت إلى سكر المدامِ
السُّكرَ من وهج العبير
يَنْسَابُ مابين النفوس
من الضمير إلى الضمير
فكأنّه من كل حسنٍ
سمط حبات الصدور

أهلا وسهلا بالشعور
الصادق الصافى النمير
أهلا بديوان الصدق
الشاعر الفحل الكبير

ترحيب معترف بما
أحرزت من فضل غزير
وخلائق لك كالربيع
السّمح فى الروض النضير
ما زال شعرُك ياصديق
ثروة الأدب الخطير

شاعر العراق

« بمناسبة صدور المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر الوجدانى عبدالخالق فريد . وهى بعنوان « الشوق الغارب » وقد قدمها الشاعر المعروف الأستاذ محمود أبوفا بأبيات تجسد عواطف الإعجاب والمودة التى يكنها فى قلبه لصديقه الشاعر العراقى عبد الخالق فريد ، وهذه هى الأبيات :

مرحبا بك يا شاعر بغداد الجديد
دائماً بغداد كانت هالة الشعر المجيد
يا أخى شعرك منذ ال يوم قد أثرى القصيد
محسنا لفظا ومعنى من طريف أو تليد
لكأنى بك بعد فى فم الدنيا النشيد
وكما أنت (فريد) سوف تأتى بالفريد
تهنئاتى لك بالتو فيق والحظ السعيد

نشرت بمجلة الأديب البيروتية بهذه المقدمة في عدد سبتمبر ١٩٦٩

حبات القلوب (*)

نَشِّئ الطفل – على الفضل الذى
أنت فى مِرآتِه ، خيرُ مِثال
وابْعَثَنْ مِصرَ – على ماشئتَها
أمة طابَعُها ، حبُّ الكمال

ليس إلا الطفلَ – إن أصْلحتَهُ
تصبحُ الدنيا – على أحسن حال

كل شعبٍ صَلُحت أطفاله
كان هذا الشعبُ ، مرجوَّ المآل

قمتَ ياكاملُ ، بالعبء ، الذى
دونه – تَنْدق – أعناقُ الرجال

مِن نصيب الخلد – ماتُبْدعُهُ
من معانٍ – ساحِرات – وخيال

---

* اهديت إلى الأستاذ كامل الكيلانى عندما شرع فى تأليف أول كتاب فى مكتبة الكيلانى للأطفال ، وكان بعنوان حكايات للأطفال .

من نصيب الخلد ، ماتَبْذُلُهُ

من دمٍ غالٍ — لأسفارٍ غَوال

لا أرى الطفل الذى نَشَّأتَهُ

غير عنوان ، على نُبل الخلال

صلة الروح

يا أبا العز والمعالى إليكم
مِنْ قديم مجدّداتُ التهانى
سرّنى فرحُكم فجئتُ أغنّى
بأهازيجَ باسماتِ المعانى
سميعَ اللهُ حمدَه ومن الحمد
هزيج الألحان يومَ القِران
ما استتمّ امرؤٌ بغير قران
واكتمالُ الإنسان بالإنسان

– مهداة إلى الصديق الأديب أحمد عبد الوهاب أبو العز ، صاحب كتاب «اثنى عشر عاما فى صحبة أمير الشعراء » بمناسبة زواج شقيقه .

حلاَّق

لنا في مصرَ حلاّقٌ ظريفُ
وأكْيَسُ في النّدامى من ظريف

له في العيش فلسفةٌ ولكن
تبدّلُ في الشتاءِ وفي الخريف

يسير مع (الزبُونِ) على هواه
فكلُّ حياتِه حسبَ الظروفِ

فأحياناً بعقلٍ (باقِلِيّ)
وأحياناً بعقلٍ فيلسوف

وينشد في المجالس شِعرَ شوقي
بإعراب وإنشادٍ لطيف

* ألح هذا الحلاق على الشاعر أن يكتب فيه قصيدة إلحاحا لم يسع الشاعر إلا أن يجيب ، فكتب هذه الأبيات .

وقد يأتى بأشعارِ المعَرى
ويُقْرنها بشعر أبى شدوفِ

فتحسبه أديباً ألمَعيًّا
له حظ من الأدب المُنيف

وماهو إن عرَفت سوى خريج
على الأستاذ – جماع الحروف!

وقالوا كل حلاق كَسيفٌ
ألا َكذَبوا ، فما هو بالكسيفِ

وما هو باردٌ فى كل حين
وإن يكُ أصله حلاق ريف

ويسكن من صنباه بحىِّ شُبرا
إلى أن صار فيه كالعَريفِ

وتَصدرُ عنه أحياناً صفاتٌ
تَنُمُّ به عن الرّجُلِ الشريف

فكم بيديه قام يَقُص شعراً
إلى رجل فقير أو ضعيف

ورُبّما كان ذاك بغير أجر
وإلا كان بالأجر الطفيف .

عتاب صديق

ياصديقى ومن أحق إفاده
منك إن قيل كيف حال السياده
وسؤالى عنها سؤالىَ عمن
نتمنى لــه الرضا والسعاده

الذى اسطاعت السيادة فيه
أن ترى نفسها على ذى سياده
لم تميزه فى المراتب إلا
ذاته لا وسامهُ والقلاده

لا كساداتنا الذين نراهم
أو نراهم فينا يسمون ساده
هؤلاء الألى رأى العصر فيهم
ضعفــه وانحلاله وفســاده

فإذا قلت من صديقك هذا
قلت هذا الصديق « محمود زاده »

كتبت فى سنة ١٩٤٥

ذلك الشخص وحده هو عندى
وزن جيل وقد يكون زيادة

من رآه رأى السيادة طبعا
ورأى الطبع سؤددا أو مجاده

أو رأى سيدا تمنت بلاد
أن تكون الدنيا جميعا بلاده

عمدة فى القرى وما كان أحرى
لو بأى القرى تولى العماده

ما عسى أن أقول فيمن على الفضـ
ـل يد الله شيدت أمجاده

فحباه من الفخار حديثا
ما قديما حبا به أجداده

أيهذا الصديق مالك قل لى
غبت عنا على خلاف العاده

أدلالاً هجرتنا أم ملالاً
أم صدوداً أم جفوة أم زهاده

وأرانى إذا احتملت الأولى
فاحتمال الأخرى يكون بلاده

هب بأنا أقل منك عتاداً
أوَ ما كنتُ للوفاء عتاده

وصديقى أظنه ليس يرضى
أن يسوم الصديق إلا اعتياده

عندنا الحبُ غيُّه ورشادُه
ما أراد الحبيب نال مراده

ومرضنا فلم تعدنا وكنا
سوف نرضى ولو لقاء عياده
ولقد كدت أن أشن عليه
رُمح «آخيل» (١) فى وغى طرواده

ارحموه منى فإن لقوسى
عَضْلةً لم تزل تشد زناده
وحرام أُصفيِ الصديق ودادى
وهو عنى ينأى ويُقْصى وداده

وأراه من النضار المصفَّى
إذ يرانى من الحديد براده
ليس قابيل وهو من هو إلا
أخ هابيل لُحْمَةً وَولاده .

(١) آخيل بطل طرواده فى إلياذة هوميروس

كم شكونا

كم شكونا إلى الهوى
وفزعنا إلى المنى
فبسطنا أكُفَّنا
وفرشنا خدودنا
وأتينا إلى الحبيـ
ـب من هنا ومن هنا

وهو لاهٍ بما به
ليس يدرى بما بنا

يا حبيبى كما تشا
فى الهوى لا كما أشا

قمر الأفق ما رآ
ك طالعا إلا اختشى

وشذى الروض إن مَرَرْ
تَ في جواره انتشى
يا جمال يا كما
ل يا غزال يا رشا

يا أخا الزهر والشذا
يا أخا البدر والسنا
من لهذا الهوى سوا.
ىَ من له غيرى أنا
طاب فى غصنه الصبا
طاب طاب واستوى
فتعال بنا تعا
لَ نقتطف زهره سوى

ليالى(*)

قد بات ينعم فى أنس وإيناس
وبت أضرب أخماسى بأسداسى

ضرب إن الهوى مرُّ المذاق ، فلا
قدرت للناس أن يُسقَوْه من كاسى

كى لا يذوق حبيبى من سُلافته
فيصبح الآسُ محتاجا إلى الآس

نفسى فداؤك يا من لا أبوح به
ضنا بذكرته فى ألسن الناس

•

وليلة بين أصحاب سواسية
من كل أروع ضافى السرو حساس

إذا تحدث هلّ الظّرف من فمه
وإن يُحدَّثْ تراهُ مطرق الراس

* كتبت هذه القصيدة سنة ١٩١٧ ، حينما كان الشاعر طالبا فى معهد دمياط الدينى .

قضيتها حسبما شاء الغرام لها
وحسبما يقتضى تكريم جُلاّسى

فى روضة حلّيت بالياسمين وبا
فُلّ الزكىّ ، وبالنسرين ، والآس

فكم هتكنا قواريراً مفضضة
من عتق « يونان » أو من سبى « لسطاس »

يا حسن تلك الليالى ، لو تعود لنا ،
كيما نؤدى حقوق الكاس والطاس

بنات النيل

بنات النيل لا تخفين حسنا
كما ، لا تخبئُ الزهراتُ عطرًا

لطيبةَ ننتمى فيكُنَّ حُسنٌ
عريق بالعروبة طابَ ذِكْرا

يميناً إن يكن فى مصر سحرٌ
فما أنتُنَّ إلا سحرُ مصرا

فيا للحسن قد أضحَى شعاراً
على وطن سَمَا بالحُسن قَدْرَا

فما بين المها منكنَّ أحلى
ولا بين الجنان أعزّ طهرا

ولم أرَ كالهوى فيكُنّ يحلو
ولا كغرامِكُنّ أحَنّ صدرا
ولا كحديثكنّ شذاً ولطفاً
ولا كعيونكنّ السود سِحرا
حلا فيكُنّ تحناني ونَوْحي
ولذّ ليَ الهوى وصلاً وهَجْرا

في وادي النخيل

يا نخلة القاع من قلبي أحييك
روحي فداك ، وأهلي فدى أهليك
رفعت رأسك نحو الله مؤمنة
أن السماء قريب من تساميك

وفيم رأسك قد أرخى ضفائره
منضدات على مثل المشابيك
تدعين ربك أم ماذا فأنت كما
أراك نحو السما تهتز أيديك
شرقية الروح في استسلامها لبست
سلاحها واستعدت للمفاليك(1)
هنا هو الحسن ، لكن ليس يدركه
إلا الألى أدركوا أسرار واديك

---

(1) الحمق

فمن رآك تملىَّ غيرَ مُغْرية
فإن جـاك فلا ينسى حَنّى فيك

فليس حسنُك فى وَشْى وتَطْريةٍ
ولا تكلُّف شىء فى حواشيك

لكن حسنك روحٌ كله كَرَمٌ
وعِصْمةٌ واعتزازٌ : جَلَّ باريك

تهبُّ حولك هُوجُ الريح عاصفةً
وأنتِ صامدةٌ لا شىء يَثْنيك

كأنَّ عُنْف الليالى أو ضَرَاوتَها
يَزيد عُودَك حسناً أو يُقوِّيك

كذاك قومُك كانوا فى بَداوتِهم
ولم يزالوا وفيهم مِن تَعاليك

يا ليتَ أخلاقَهم تبقَى كما خُلقت
شَرْقيةً لم يَشُبْها أىَّ تَشْريك

فلَمْ يَزَلْ بَدَوىُّ الطَّبع فيك على
نقائِه أو صَفاه فى بَواديك

آمنتُ أنك أحلَى فِطرةٍ عُرِفت
بين الثمار ، ولا حَاوى تُساويك

يا أختَ مَرْيَمَ حسبُ النَّخْل تكرمةً
بأنَّ مريمَ قد جاءتْ تُحاكيك(١)

---

(١) هذه الأخوة التى صنعتها بين مريم والنخلة إنما نسجت خيوطها من قوله تعالى فى الآية الكريمة « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا »

تكلّم المهدُ فى عيسى وأنْطَقَه
مُبَرِّئاً أُمَّه برهانُه فيك

لم تلق مَريمُ فى عيسى ومَوْلدِهِ
أحْلىَ البشائر إلا تَهانيكِ

= فقد ورد على خاطرى أن الله جل جلاله مااختار لمريم هذه الشجرة بالذات إلا لينبه الأذهان لما بين مريم العذراء والنخلة من المشابهة والمحاكاة فى طريقة الحمل ، فكأنه سبحانه يقول لمريم : هزى النخلة ليتساقط منها دليل براءتك وبرهان طهارتك وكأنه يقول للمنكرين من قومها : مالكم تجحدون أمر الله فى مريم وأنتم تشهدون النخلة بأعينكم وهاهو ذا ثمرها بين أيديكم ؟ والأمر في مريم أيسر منه فى النخلة : فالأولى من لحم ودم ، والثانية من الطبيعة الصماء

ولقد تكلمت بهذا المعنى إلى بعض إخواننا وكان بينهم طبيب فقال وأيضاً قد أثبت الطب أن البلح من أصلح أنواع التغذية للنفساء .

يمين

وآليتُ بعد اليوم – لا أبصر الظِّبا
ولا أنا منهم – حيث قالوا – أخو سمع

لهم ان أحبوا – ذلةٌ تستفزُّنا
اليهم وإن – حُبُّوا تعالوا إلى المنع

وجدت غليظ الطبع فى أمْنٍ راحة
فمرَّنتُ من نفسى – على غلظة الطبع

كتبت حوالى سنة ١٩٢٦

ثورة

في أحد أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٨ اصطدم جند السلطة العسكرية الإنجليزية بالأهالي المتظاهرين من الشعب المصري فقتل خلق كثير . ورأى الناظم وهو يسير إلى حي عابدين آثار الدماء المهراقة فتنفس بهذه القصيدة التي أنشدها ليلتئذ على بضعة ألوف من منبر الأزهر الشريف .

ألا هلا وقفتَ بعابدينا
لعلّك تَسمع الخبر اليقينا

كأنّ الدار لم تسمع بنُعمى
وما لَبّتْ دعاءَ المُجديِينا

كأنّ رحابَها ما طاف فيها
بنو مصر طواف المخلصينا

كفى يا قلبُ ذكر النّازحينا
فقد قرّحت بالدمع الشؤونا

كَأنَّكَ قد غَذَاكَ الحُزنُ طفلا
وإلا كنتَ مخلوقاً حزينا
ألا ياليت شعرىَ هل أناسٌ
تُشَاقُ لهم إلينا شيَّقونا
وأنا كلما هبّت شَمالٌ
ذكرناهم فهل هُم يذكرونا
ألا فَلْيعلم الأعداءُ منا
(بأنّ الصلب صلنا أوصلينا)
وأنا لا تزال بنا عُروقٌ
من القوم الكرام الأولينا
ألستم يا بنى مصرٍ صبرتم
على حكم اللئام لكم سنينا
على أن ليس عاراً ما صبرتم
وكان العارُ لو تستعجلونا

هلموا طهِّروا الماضى وهيا
لما كنتم له تَطَلَّعُونا

أثيروها عجاجاً أو نراهم
سراعا من هنا يتَسَلّلونا

أثيروا النيل فوقهمُ وإلا
كما دخلوا عليكم يخرجونا

همو القومُ اللئامُ فمذ رأونا
نُكرّمهم أبوْا أن يكرمونا
ولو أنا أهنّاهم قديما
لما كانوا لنا يستصغرونا
أنسقيهم زلال النيل صرفا
ونشرب بعدهم كدراً وطينا
أنرضى الإنجليز يكون منهم
قضاة فى المحاكم يحكمونا
أنرضى الإنجليز يكون منهم
أطباءٌ لنا ومشرّعونا
أنرضى الإنجليز لملك مصر
وهم قبل التملك عذبونا
أليس كرومرٌ منهم وكم من
كرومَر فيهمو مكرا ولينا
وهل ننسى «غلادستون» يوما
وفى يُمناه روح المؤمنينا
ينادى يا بنى التاميز هذا
كتاب محمد للمسلمينا
فلا تُبقوا عليه ، أقبروه
وإلا مَدْيَن المُتبربرينا
وثَمَّ فلا ديار تملكونا
وثَمَّ فلا نُهىً تستعبدونا
كذلك يخطب المُتمدْينونا

أفيقوا وَاسحقوهم أوْ فعيشوا
أذلَّ من اليهود مشتّتينا

وهل أعداؤكم إلا بُغَاثٌ ؟
فكيف بأرضكم يَسْتَنْسِرُونَا

يا حُريةٌ عشقت سوانا
على أنا بها مُتدلّهونَا

رُويَدك وارحمى. شعبا حليمًا
وإلا يدَّرع فيك الحنونَا

اسمعونى صوتكم

لحنها أحد المطربين وغنى بها أمام المتظاهرين فى إحدى المظاهرات التى قام بها الشعب من أجل اعتقال سعد باشا ورفقائه فى مالطة وعدم السماح لهم بالسفر إلى أوربا لرفع صوت مصر .

أسمعونى صوتكم بين الأمم
أو فبعدَ اليوم عيشوا كالنَّعَم

ياذوى العرفانِ من مصرَ انهضوا
واكسحوا عن أرضكم هذا الوخم

لنهم واللهِ إن لم ينجلوا
صيرَّوكم عبرةً بين الأمم

فاجمعوا الأمرَ وشُدّوا عزمكم
واذفعوا بالحزم أسبابَ النقم

واطلبوا استقلال مصر واعلموا
أنّ روحَ الشعب فى هذا العلَم

أصداء الحرب

بِنَفْسِيِ لها أنِّى أغَنِّىٌ فتسْمَعُ
ولكنها عنى تصد وتمنع
وأعلم أنِّى لو شَكَوْتُ لها الهوى
لَمَا رَجَعَتْ يوماً لغيرى تَسْمَع

ولكننى لم أدرِ كيف أجيئُها
ولم أدر فى هذا الهوى كَيْفَ أصْنَع
إذا جِئتُها من أىّ باب وَجَدْتُنى
علىّ رَقيبٌ جَهْبَذُ القلب لَوْذَعُ
إلى الله من هذا الرقيب شِكايتى
ومِمَّا ألاقى منه لِلهِ أضْرَع
سألتكَ يا الله تُصليه بالهوى
وتسقيه بالكاس التى هى أترع

كتب فى يوم الاثنين ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٢ . وكانت الرقابة مشددة على ماكان ينشر .

ويارَبُّ إن يَعْشَقْ تُوَسَّعْ سبيله
فأنت الذى فى كفك السُبْلُ أجْمع

فإنْ زارَ منْ يهواه لم يلْقَ مانعاً
فليس على العشاق كالمنع أفظَع

وأدْعوكَ يا اللهُ للناس كُلِّهم
تُخَفِّفُ عنهم ضيقهم وتُوَسِّعُ

عبادكُ يا اللهُ ضاقت صدورهم
وليس لهم يا ربِّ إلاّكَ مَفْزَع

ألا أيها القوم الذين أحبُّهم
إلى الله عُودوا أيها القوم وارْجِعوا

وجيئوا إليه بالحبيب محمد
شفيعا عساه فيكمو يتشفع

عسى الله يَرْضَى عنكمو فيريحكُمْ
ويأمر أيام السّوادِ فتَقشع

أليس عجيبا أن مصر بأهلها
تضيق ووادِى مصر بالخير مُشْرَعُ

وقالوا بأن النيل ليس كمثله
بلاد بها حتى الحجارة تُزْرَع

وفيه تراب لو يَمُرُّ غُباره
بكل بقاع الأرض لم يَبْقَ بلقع

وفى شَطِّهِ دِلْتَا تُخَالُ كأنها
حدائق زهر أو بساطٌ مُرَصع
وتَحْسَبُ إذ تمشِى على جنباتها
بأنك فى وادٍ من الخلد . أمْتَع

فأن كان وادى الخِصب لم يكفِ أهله
فأين يكون الخصب، أو أين يُزرع

وقالوا لنا إن التجار غدا لهم
بُطون من الأطماع هيهات تَشْبع
وقالوا عليهم إنهم قد تَجشّعوا
وأن ليس فى التجار مَن يتَورَّع

فقلت لهم : بالقوم ياقومنا ارْفقُوا
بهم من بنى مصر أصول وأفْرُع
أليس بهذا النِّيلِ يجمعنا أبٌ
وتجمعنا من مصر فى الثدى مُرضِع

فان كان عيبٌ شاع عن بعض قومنا
فيا هو فيهم وحدهم مُتَجمِّع

فان هو فى التجار قد جاء سافرا
ففى غيرهم قد جاء وهو مقنَّع
ولو أن فينا للتعاون منْزعاً
لمـا كان فينا للشكاية موضع

ليؤسفنى أن التضامن بيننا
ضعيف وأن الفقر فى الشعب مُدقع

وما رأت الأيام قوماً تعاونوا
فهانوا فذلوا، أو هَوَوْا فتضعضعوا

ولم تَرعَيْنِى كالتعاون قوة
تداوِى بها ضعف الشعوب فتَنْجَعُ

بيرَيٍّ ولا مثل التعاون دعوة
تنادى لها الشعبَ الأبىُّ فيُسرع

ولا مثل رايات التعاون راية
على قمم الأمجاد للناس تُرفَع

تعاونت الأقوام فى الغرب فاغتدى
لهم فى فيافى الشرق صوت مُرجَّع

إذا أمَرُوا لم ينقض الدهر أمْرهم
وإن نطقوا فالدهر والكون يسمع

ونحن نُحاكِيهم ألا ليت قومنا
يُحاكونهم فيما يفيد وينفع

هناك كأنى بالبطاقات جُمّعت
وعادت بأمر الله لله تهْرع

نظامٌ أراد الله تعويدنا له
لعل له عند الضرورات لفزع

وماذا أراد الله بالدين كله
سوى نُظم للناس تهدى فتُتْبَع

وهب أننا لم نفهم الصوم حكمة
أليس لنا من قادة الرأى مرجع

وعادوا فقالوا إن مصر كريمة
ولكن فيها اكرم الناس ضُيّعُوا

فقلت ومهما كان فى مصر أنها
على كل مافيها إلى الخير تَنْزع

أليس لأهل الفضل من كل أمة
مكان بها من مطلع الشمس يطلع

بلادى وإن جارت علىّ فإننى
أحس بقلبى فى بليها يوزع

إذا أبصرت عينى الفقير بأرضها
شعرت بأضلاعى له تتمزع

وإن يَشْكُ أمرا لم أُطِق عنه دفعه
رجعتُ بقلبى دونه يتوجع

فإن أبصرت عينى هَنِيّ بعضِ أهلها
حسبت كأنى بالغِنى أتلفّع

وحين تُرى فى مصر أىُّ نقيصة
أحِسُّ بها فى جبهتى أنا تُوضعُ

وإن أدْمَعَتْ عينٌ لمصر من القَذَى
مَسَحْتُ القَذى عنها وجَفْنى يَدْمَع

وأقسو عليها فى الملام وإنما
مُرادى أذُودُ الطّير عنها وأدفع

نظام البطاقات الذى تبغضونه
نظام سماوىٌّ به الرسل شَرَّعوا
ألسنا بشهر الصوم نأتى طعامَنا
مع الليل أمَّا فى النهار فَنُمْنَعُ
ألم تر هذا الحَجْر يَبْدُو كأنه
نظام بِطَاقىٌّ من الدين يُوضع
وفى كل يوم للطعام بِطاقةٌ
من الله فى وقت الغروب تُوزَّع
فإن أرسل الفجر الحبيب بشيره
ونادى المنادى اشربوا الماء وارْفَعوا

الجسر والنهر

قال هذا النهرُ للجِسْرِ
وفى الليــــل سُكون
أنتَ يا جِسرُ مثــال
للعُلَى كيف يكون
إنمــا العيشُ أمــان
ورجــاءٌ وقصــور*
وإذنْ فالنــاسُ طُرًّا
فى احتياجٍ للعبور

فأجاب الجسرُ هــٰذا
قائلاً : يانهرُ يَكْفى
أنتَ أخجلتَ صِفاتى
قدْرَ ما أكبرتَ ضَعْفى
ثُم قال الجسرُ يا نهر
كلانا فيــه خــيرُ

---

* قصور عما يطلبه طموحه الإنسانى. فهو ضد البلوغ ومنه قولهم فلان قاصر أى لم يبلغ رشده.

فإذا لم يَكُ نهرٌ
لم يكنْ في الأرض جسر

ليس في الأكوانِ شيءٌ
فيه عن شيء غَناءْ
كلُّ ما في الكون مِنْ أرْ
ض وماء وسماء

فيه سرٌّ لبقاء الْ
بكَوْنِ في هـذا البقـاء

شجرة القطن

بوركت ياتبريةَ الثمرَاتِ
وَوُقيت فى الدُنيا مِنَ الآفات
سيظلُ ذكرك فى الزمان مخلَّداً
عنوان ما للنيل منْ بركات

لو كنتِ فى قدماء مصرَ لقرَّبوا
لكِ أطيبَ القُربات والصَّلوات
كانوا أتَوْا «بأيديهمْ» لكِ عنوةً
ليجر فى المحراث والمسحاة

ولربُمَا اندفعوا ورَاءَ شُعورهم
فاستَمدَوُا لكِ أبرأَ المُهجَات

يا عزَّ مصرَ ويارَفاهةَ شعبها ،
ودُعاءَهُ فى أحلكِ السنوات
......
يهنيكِ أنكِ قد ظفرتِ بموطنٍ
حالى الجِواء مُبارك النسماتِ

لولا نواميسُ الطبيعة لاغتدَت
أشواكُهُ نوعاً من الزّهَرات

المتاحف

قف بالمتاحف مائلَ الأذُنِ
إن المتاحفَ ألسُنُ الزّمنِ
هى كَنزُ مُفتخرٍ بأمّته
ومثابةُ المُفْتَنّ والفن
كَمْ بينها عِظَة مُصوّرة
كم بينها فِتَنٌ لِمُفْتَتن
حفظت أعزّ نفائِس الدنيا
قدراً وأثبتَهَا على المِحَن

دُنْيا ولكن لا وجود بها
إلا الغالى القَدْر والثّمن
أحياؤُها للخُلد قد خلِقوا
لم يخلقوا للقبر والكَفَن
مثل الحياة ترى بها صُوراً
شتى من العادات والسُّنَن

أمجادُ أجيالٍ لنا سلفوا
وشرائعٌ سُنَنٌ لمُستَنٍ

فاعجبْ لهذا الصَّمتِ كيف غدا
أجلى بياناً من ذَوِي اللسَنِ

تلك الديارُ على حوائطها
قامت شُهود المجد للوطن

* نظمت المقطوعتان « شجرة القطن » ، « المتاحف » بتكليف من وزارة المعارف (التربية والتعليم) ووقع عليهما الاختيار كمحفوظات مدرسية فى الفترة من ١٩٣٢ ـ ١٩٥٢ .


أناشيد

تقـــديم

١ — النشيد غير القصيد .

٢ — النشيد فن كان ينبغى أن تتحدد معالمه .

ولكن ماهو الفرق بين النشيد والقصيد أو بينه وبين الأغنية أو بينه وبين الموشح ؟ . . يبدو لى أنه فى معرفة هذه الفروق يمكننا معرفة النشيد والخصائص المميزة له عن سائر ما يسمونه فنون الشعر أو فنون القول ، ابتداء من الملاحم فالقصيد فالأغنية فالموشح إلى الزجل المصرى إلى الدوبيت الفارسى حتى الموال . . إن النشيد يختلف عن هذه الفنون جميعاً فى الشكل والصياغة والأسلوب حتى المفردات التى يتألف منها .

فى القصيد يمكن الاستعانة بالوصف والتصوير ثم بالكناية وبكل أنواع التشبيه . فى القصيد يأتى البيت يتداخل نصفه الأول مع الثانى فى كلمة ويسمونه (بالمدور) ولا يرون به بأسا . . بل فى القصيد قد يأتى البيت لايكمل معناه إلا فى البيت الثانى أو الثالث . كل هذا جائز فى القصيد أما فى النشيد فالأمر مختلف تماما .

إن الوحدة البنائية فى للنشيد لا تعنى البيت كما فى القصيدة التقليدية ولا التفعيلة العروضية كما هى فى اصطلاح بعض معاصرينا ، وإنما تعنى

الشطرة . فهذه فى النشيد — ولك أن تسميها البيت — هى الأساس المعول عليه فى بناء النشيد . . إن النظام التركيبى فى النشيد يشبه النظام الأسرى إلى حد كبير . فالشطرة فى النشيد هى الفرد بذاته فى الأسرة . وكما أن على كل فرد أن يحتفظ بشخصيته كفرد له مقوماته مع ارتباطه بالأسرة كل الارتباط ، كذلك كل شطرة فى النشيد ينبغى أن تبدو مستقلة تمام الاستقلال ولكنها معنويا متصلة بالمعنى الكلى للنشيد تمام الاتصال . ولكن لا . . إن النظام البنائى للنشيد أقوى من ذلك بكثير . . إنه أشبه بنظام أصابع اليد بالنسبة لمجموع اليد ، يبدو كل إصبع منفردا عن الآخر أو منفرجا عنه بينما هو فى الواقع مشدود إليه وإلى الذى يليه ثم إلى الذى يليه بصورة من التعاونية لا يمكن تصورها إلا فيه .

فالنشيد ليس عملية تأليف ولكنه عملية تآلف بين الكلمات والمعانى ، ثم بين الشطرات التى يتلاقى بعضها مع بعض بما يشبه الجاذبية ، فاذا بهذه الصورة البيانية هى النشيد .

على أن ملاك الأمر فى هذا كله هو إلى شيئين : الأول الكلمة الواضحة المحددة للمعنى الواضح المحدد . والثانى هو فى معرفة كيف تستخدم هذه الكلمة المختارة إلى جوار أختها فاذا الذى بينهما من النسب أو من التناسب هو عين ما بين الإنسان وأخيه لأمه وأبيه . وإذا بكل منهما فى موقعها الصحيح كأنها العنوان الكامل على نسبها الصريح .

وشىء آخر فى القصيد : ذلك فى استهدافه إلى غايته ، فانه قد يتماوج أو يتعارج إلى أكثر من قطاع أو يعبر على أكثر من طريق ، بينما النشيد إن هو إلا كالقذيفة . وهذه لا تميل يمنة أو يسرة وإلا انحرفت عن الاتجاه وأخطأت المرماة . . بل ما أجمله — لو أمكن — أن يستجمع وثبته إلى الغرض فى كلمة أو جملة واحدة ، فاذا البراعة كل البراعة حينئذ إنما هى فى كيفية تقليب أو ترديد هذه الكلمة أو الجملة الواحدة ، فاذا بها فى الإفهام بما يشبه الإبهام ، أو حتى تصل إلى الآذان بدون استئذان كما كانوا يقولون .

إن النشيد بقدر ما تقل فيه أدوات البيان بقدر ما يسمو إلى أعلى مراتب الاستحسان .

من هذا كله ومما قبله ومما بعده أيضاً يتبين أن النشيد ليس بالعمل المفتوح أو السهل إلى الحد الذى يشجع كل ناظم أو كل فقيه لغة على اقتحامه ، بل على العكس إنه لابد له من الشاعرية الناضجة حتى يستطيع إعطاء الوهج الفنى اللازم لهذه الألفاظ التى لايتألف منها إلا النشيد .

ولعلك علمت فيما علمت أنها هى التى يجب أن تكون عارية تماماً من جميع الزخارف المعروفة للبيانيين . . . ولعل هذا هو الفرق الأهم بين فن الموشح وفن النشيد . . . كذلك يجب أن يختلف النشيد فى الشكل والصياغة والأسلوب عن الأغنية

ففى الأغنية تستخدم اللفظة الموحية أو ذات الظلال أو الرمز وقد يكون ذلك كله جميلا . بل ربما كان الغاية فى الجمال .. إذ كلما رقت الأغنية حتى أشبهت الهمس كانت أجمل . بينما الأمر فى النشيد غير كذلك . فالشرط فى ألفاظه هو القوة والنفاذ حتى تصل إلى الحس بل إلى ماوراء الحس — إن أمكن — ولم لا يمكن وهذه هى الغاية الأولى والأخيرة للنشيد . . إن ألفاظ النشيد لايصح أن تكون من ذوات الهمس ، ولكنها حتما يجب أن تكون من ذوات الرنين ولكن أى رنين . .

ليت شعرى ماذا بقى من حصيلة هذه التجربة فى ذاكرتى .. هل أضرب الأمثلة ؟ هل أذكر الشواهد ؟ هل أعمد إلى بعض المقارنات بين الأناشيد فى عصورها المختلفة أم أعتذر بضيق الوقت أو ضيق المجال ؟ .. على أية حال لايفوتنى هنا أن أعيد ما قلته هناك فى التمهيد لكتابى « أناشيد دينية » :

« إن للنشيد مواقف لايجزىء فيها غيره ، كما أن له وظائف لايؤديها سواه » والواقع أن النشيد فن ولكنه لايزال محتاجا إلى الكثير من العناية

والكثير من الإيضاح والكثير من التحديد . ولكن هل ترانى فى هذه الكلمة كنت أقصد إلى هذا . . ؟

الحق لا . . . وما كان ينبغى لى . كل ماقصدت إليه إنما هو الكشف أو الإبانة عن المنهج الذى حاولت بكل جهدى تطبيقه فى أناشيدى وخصوصا فى هذه الأناشيد بالذات .

أما بعد

فهل ترانى بلغت ؟ . . اللهم فاشهد

محمود ابو الوفا

القرآن

دعوة الحق من الحق الجلى
جلجلى صوتك فينا جلجلى

أرسلى صوتك فينا عاليا
أرْسليه مُرْسلا عن مُرْسَل

هـذه الدعوة للحق شذى
مِن شذى هذا الرحيقِ السلسل

الكتاب الوارف الظل الذى
جـاء للحـاضر والمستقبل

إنه القـرآن يهـدى نوره
ياله فى الناس من نور عظيم

خاب من لم يتخذ دستوره
مرجعا من كل دستور حكيم

شحـذ القـوة والحق معا
فجـلى السيف وجلّى المصحفا

يكره الله لنا أن نَضْعُفا
مثلما يأمـرنا أن نُنْصِفا

ليس فى الإسلام من معنى السلام
أن نُقِر الظلم أو نستسلما

حين يرضى مسلمٌ أن يستضام
فهو لا يُحسب فينا مسلما

دعاء الصباح

يَا إلٰهِي يا إلٰهِي يَا إلٰهَ العـــالَمِين
يَا إلٰهِي لَكَ أَدْعُــو اسْتَجِبْ لِي يَا إلٰهِي
أَعْطِنِي الْقُوَّةَ حَتَّى أَجْتَلِي السِّرَّ الإِلٰهِي
لِيَكُنْ وَجْهُكَ وَجْهِي لِيَكُنْ جَاهُكَ جَاهِي
لِيَكُنْ نُــورُكَ قُــدَّامِيَ فِي أَيِّ اتِّجــاهِ
فَإِذَا الْكَوْنُ أَمَامِي كُلُّــهُ نُــورُ إلٰهِي
وَإِذَ أَبْصَرْتُ لَمْ أُبْصِرْ سِوَى الْحُبِّ الإِلٰهِي
يَا إلٰهِي يَا إلٰهِي يــا إلٰهِي يَــا إلٰهِي

يَا إلٰهِي يَا إلٰهِي يَــا إلٰهَ الْعَــالَمِينْ
اعْطِنا الْقُــوَّةَ دُنْيَا اعْطِنَا الْقُــوَّةَ دِينْ
ربَّ عيسَى رَبَّ مُوسَى رَبَّ أَزْكَى الْمُرْسَلِين

رَبِّ بالتَّوْرَاةِ بالإِنْجِيـــل بِالذِكْرِ الْمُبِينْ

ربِّ بالْقُــدْسِ وَسيـنــاء وَبالْبَيْتِ الأَمِينْ

ثَبِّتِ الإِيمَانَ فِينَا وَانْتَصِــرْ للْمُــؤْمِنينْ

وَاطْرُدِ الأَعْدَاءَ طَرْدًا عَنْ بِــلَادِ الْمُسْلِمينْ

يَا إِلٰهِي يَا إِلٰهِي يــا إِلٰه العــالَمِينْ

الله

اللهْ . . . اللهْ . . . اللهْ . . . اللهْ . . .

اللهُ جَـــلَّ اللهْ وَجَـــلَّ فِينَا سَنَاهْ
فمِنْ سَنَاهُ خُلِقْنَـا
وَفى سَنَـاهُ نـراهْ
لَـــولاهُ مَاجِئْنَـــا
لَـــوْلاهُ لَـــوْلاهْ
سُبحَانَهُ فِى عُـلاهْ فى كُلِّ شَىْءٍ تَـراهْ
آمَنْتُ باللهْ . . .

الله . . . الله . . . الله . . . الله . . .
فى الشَّمْس فى القمَر فى الأَنْجُـــمِ الزُّهر
فى كُلِّ ذِىْ حَركهْ وَكلِّ ذَاتِ سكُونْ

برهـــانُ مُقْتَـــدِر

يَدْعُو إلَى النَّظَـــرِ

وإطـــالةِ الفِكَـــرِ

آمَنْتُ بالله . . . آمَنْتُ بالله . . .

الله جَلَّتْ صِفَاتُهْ وَقُـــدِّسَتْ أسمـــاهْ

قُلُوبُنَا فِى يَدَيْهِ والأَمْـــرُ مِنْـــهُ إليْـــه

إليْـــهِ لا لِسِواهْ

وكُلُّ شئٍ عَـــدَاهْ

فَانٍ عَدَا اسْمِ اللهْ

آمَنْتُ بالله . . . آمنْتُ بالله . . .

الصلاة

الصَّلَاةْ . . بالصَّلاةْ اطْلبُوا عَــوْنَ الإلـهْ

حِينَما يَشدُو المؤَذِّن

قَائــلاً : الله أَكبَر

عِندَهَا الرّحمنُ يَأْذَنْ

والجَلالُ الحقّ يظهَرْ

تُفتَــحُ الجَنّـــاتْ

تَهْبِطُ الرَّحمَـــاتْ

تخشــــعُ الأَفْــلَاكْ

مِنْ صَدَى : الله اكبرْ

عِنْدَهَا الأَمْلَاكُ تُعْلِنْ فَرْحَهَا بالدِّين يُنْصَرْ

الصَّلَاةْ . . بالصَّلَاةْ اطْلبُوا عَــوْنَ الإله

فَإِذَا ازدانَ المُصَلَّى
بالأُلَى رَامُوا الصَّلاهْ
فَــرَّ إبْلِيسُ وَوَلَّى
وَجهُهُ مِثْــلُ قفَاهْ
يَغضَبُ الشَّيْطَــانْ
مَا بَــدَا الإنسانْ
تــائِبـــا لِلّهْ
أو غَــدَا لِلّه يذْكُرْ
أيها المؤمنُ صَــلِّ وَدَع الشَّيْطانَ يُدحَرْ
الصَّلاهْ . . بالصَّلاهْ اطْلبُوا عَــوْنَ الإلٰهْ

قُل لمَنْ يَبْغى الفَضيلهْ يَبْتَغيهَا فِى الصَّلاهْ
فهْىَ آدابٌ جَمِيْلَهْ
خَيرُ آداب الحَيَاهْ
تَسْتَمِيــلُ الأَنَــامْ
لا عْتِيَادِ النِّظَــامْ
وقصارى السَّــرَام أنَّهَا لِلطُّهْــر مَظْهَرْ

الصوم

الصَّومُ يُزَكِّى أنفُسنَا هَيَّا بالصَّوْم نزكِّيها
الصَّوْمُ يُنَقِّى أنفُسَنَا هَيَّــا بالصَّــوْم نُنقِّيهَا

يُزكِّيهَــــا
فيُحــــرِّرُها حَتَّى تَأْبَى رِقَّ المُتَعِ

يُنقِّيهَــــا
فَيُطَهِّــــرُها مِنْ مَيل النَّفْس إلى الطَّمَعِ
وَعلاجُ النَّفْسِ مِنْ الطَّمَع يَشفى أمْرَاضَ المُجْتَمَعِ

الصَّومُ أتَى لِلبَشَرِيَّةْ ليقوِّى فيهَا الحَيويَّةْ
وَيُهَيِّئُهَا لِلحُرِّيَّةْ

شرْعٌ قَدْ جَاءَ بِهِ اللهُ ليَقُول لنَــا ما مَعْنَاهُ :
حُرِّيةُ نَفسِكَ مَعنَاهَا أن تملِكَ نَفْسكَ وَهَوَاهَا

الصَّوْمُ يُزَكِّي أنفُسَنَا هَيَّا بالصَّوْمِ نُزَكِّيهَا
الصَّوْمُ يُنقِي أنفُسَنَا هَيَّا بالصَّـــوْمِ نُنقِّيهَا
يُزَكِّيهَـــا
فَيُرضِيهَـــا وَيُعَلِّمُهَا طَـوْعَ الأَمْـر
يُنقِّيهَـــــا
فَيُقوِّيهـــــا وَيُعوِّدهَا حُسْنَ الصَّبْرِ
عُظَماءُ الدُّنيا ما سَادُوا إلاَّ بالصَّبْرِ عَلى المُرِّ

تَمْرِينُ النَّفْسِ عَلَى الأَلَمِ وَعَلى الحِرمَانِ يُقوِّيهَا
الدُّنيا تشكُو بالنَّهـم هَيَّا بالصَّوْم نداويها
صُــــومُوا صُـــومُوا تُشفَ الدُّنيا مِمَّـا فيهَا

الصَّوْمُ دَوَا الإنسَانيَّهْ
مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ البَشَريَّهْ
الصَّوْمُ يقـوِّي الحَيَـويَّهْ
وَيُهَيِّئُهَـــــا لِلحُـــــرِّيَّهْ

الزكاة

زكوا فإنَّ الزّكاهْ
أسنى فروض العبادهْ
أرضيتَ عنكَ الإله
ما رحت ترضى عباده

حقٌّ على الأغنياءْ
رعايةُ الفقراء
حتّى يقومَ البناء
على أساسِ الإخاء
حتّى يقومَ البناء
على أساسِ التعاونْ
إنَّ الحياةَ تعاونْ

غَنِيُّنَــــا والفَقِيـرْ سيَّانِ عِنْـدَ اللهْ
فَـلاَ يَظُنَّ غَنِيٌّ فَضْلاً لَهُ فِي غِنَاهْ
وَكُل شخصٍ يُؤدِّي مَا يَسْتَطِيــعُ أَدَاهْ
حَتَّى يقُومَ البِنَاءْ
عَلَى أَساس التَّعَاوُنْ
إنَّ الحَيَـاة تعَـــاوُنْ

فَاجْعَل زكَاتَك شُكرًا لله فيمَــا حَبَــاكَا
لَوْ شَاءَ أَعْطَى الفقِير مِثْـلَ الَّذِى أَعْطاكَا

زكوا فإنَّ الــزَّكَاهْ
فيهَــا لكُم تَحصِينْ
تَقَلُّبَــاتُ الحَيَــاهْ
تحتَــاجُ لِلتَّــأمِينْ

الحج

سِيرُوا عَلَى اسْمِ الله حجّاجَ بَيْتِ اللهْ
وَاسْتَقْبِلُوا الأَنْوَار :
دَارَ النَّبِي المخْتَارْ
وَاسْتَروحُوا الذِكرَىٰ
مِنْ موضع الإِسْرَا
وَتنسَّمُوا الرَّحَمٰاتْ
مِنْ مَهْبِطِ الآيٰاتْ
مِنْ مَطْلَع الإِسْلام
بَينَ الصَّفٰا والمقَامْ
مِن مُغْتَدَى جِبْرِيلْ وَشَذَى رَسُول اللهْ
سِيرُوا عَلَى اسم اللهْ حجّاجَ بَيْتِ اللهْ

هَيا انشرُوا الأَعلامْ

فى مَوكِبْ الإسْلامْ

فى مَعرضِ التَّوْحِيدْ

فى قِبْلَــةِ التَّجْــدِيدْ

تجديدِ عَهْدِ السَّلامْ

فى سَاحَةِ العَــلاَّمْ

هَيــا نحطّ الذنُوبْ

أَوْ نغسلُ الآثــامْ

هَيَّـــا إلى زَمْزَمْ

وَشَــرَابِهَا الأَعْظَــمْ

نَدْعُو لهــذَا الدِّينْ بالعِـــزِّ والتَّمْـكِينْ

فى أُمَّةِ المُسْلمينْ

* * *

هَيــا إلى عَـرَفَاتْ هَيَّـــا إلى عَـرَفَاتْ

فَهُنَــاكَ دِيْنُ اللهْ نُشِرَتْ لَهُ رَايَــاتْ

ليلة القدر

لَيْلَةَ القَدْرِ هَذِه
لَيْلَةَ الإحْسَانْ
جَوُّهَا مِنْ صبَاحه
يُمْطر الغفْرَان

* * *

لَيْلَةَ القَدْر تجلَّتْ .
بالسَّنَى وَالسَّنَاء
فى سَمَاء العَالَمِينْ
رحمَةُ اللهِ أطلَّت
مِن سَموَاتِ الرِّضَا
رَحَّبَتْ بالتَّائِبينْ
فَابْسطُوا كفَّ الإنابَهْ
واسْأَلُوا الله الإجَابَهْ
تائبينَ خَاشعِين

لَيلة القَــدْرِ المُنِيفَهْ عَظِّــوهَا
غَايَــةَ الإِعْظَـامْ
مَجِّدُوا فِيهَا الحَنِيفَهْ مَجِّــدُوهَا
يَا بَنِى الإِسْلامْ
نَزَلَ القُــرْآن فيها وانتهَى الفضْــل اليهَا
فهْىَ للدُّنيـــا سَــلام

تَنْزِل الأَمْلاَكُ فِيهَـــا بالتحَــــايا
غَادِيَاتٍ رَائحاتْ
وتَـــرَى الجنَّاتِ فيهَا لِلعَطَـــايَـــا
ضَاحِكَات القَسَماتْ
وَهْىَ تَــدعُو المُسْلِمِين أدخُـــلُوهَـــا
بسَـــلام آمِنِين

السَّما فيهَـــا تهيَّتْ لِوُفُـــودِ الدَّعَـــواتْ
فاطرقُوا بَابَ السَّماء
ورِضَـــا الله تعـــالى مُنصِتٌ للرَّغبَـــاتْ
فهَلمُّـــوا للدُّعَـــاء فهَلمُّـــوا للدُّعَـــاء

مولد النبي

فى محمَّد
نطقَ الكَونُ العَظيمُ
آيتَه
فى محمَّد
رَفَعَ الخُلقُ الكَريمُ
رايتَه

* * *

ابتَدا عَهْدُ الرَّشادْ
وَالسَّدَادْ
مُذْ وُلِدْ
انقَضَى عَهْدُ الفسَادْ
فى العِبَادْ
مُذْ وُجِدْ

* * *

انقَضَى عَهْدُ الظلامْ وَالخِصامْ
وَالحُروب الباغِيَهْ
وَابْتَدَا عَهْدُ السَّلامْ وَالنِّظامْ
فى الشعُوب الرَّاضِيهْ

ذاكَ مَوْلدْ
أَذَّنَ الدُّنيا به فَجْرٌ جَديدْ
حَرَّر الدُّنيا مِنَ الظُّلْم المُبِيدْ
فهُوَ نِعْمَ الْمَوْلِدُ

أىُّ سَيِّدْ
جاءَ بالْعَدْلِ إلى هٰذا الوُجُودْ
فاسْتَوى الأَحرَّارُ فيهِ وَالعبِيدْ
هُوَ هٰذا السَّيِّدُ

سَنَّها أَزكَى الشَّرَائِع فزكَتْ مِنَها الطبٰائِعْ
فهْىَ إِصْلاَحٌ وَنور وَسَعادَهْ
ضَمنَت أَسْنى الوَادَائِعْ مِنْ عِظَاتٍ مِنْ رَوَائِعْ
تهبُ النَّاسَ الشعُورْ بالسِّيَادَهْ

ليلة الإسراء

لَيْلَة   الإِسْرَاء   أَنْتِ
لَيْلَةُ   الأَنْوَارْ
لَيْلَة   الْمختَارِ   أَنْتِ
لَيْلَةُ   المُخْتَارْ

الملآئِك   فى   سمائك
غاديَات   رَائحهْ
ضَاحكَاتٌ   فى   صَفائِك
رَاقصاتُ   الأَجنحَهْ
والفَرَاقد   فى   ضيَائِكْ
بالسُّرُور   مفصحهْ
مِهْرَجَانٌ   فى   السَّمَاء
يالهُ   مِنْ   مِهْرجَان !

تُوشِكُ الأَملاَكُ فِيه

تتَرَاءى لِلعِيان

احْتِفاءً وابْتِهاجًا بكَ يا نُورَ الزَّمَان

يَا محمَّدُ يا مُحمَّد يَا سَنَى الله الممجَّدْ

لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ تشهَد أَنكَ النّورُ المجسَّد

أَنَّ تاجَ اللهِ نُضِّدْ

لكَ مِن مَحض الصَّفاء

ولَكَ الضَّوء تجسَّدْ

فى بُرَاقٍ من ضِيَاءْ

منحة لَم تُعطَ قَبْلاَ لِسوَاكَا

يَا حَبيبَ الله

قَدْ رَآكَ الله أَهلاً فحبَاكَا

ودعاكَ مُصْطَفَاه

الهجرة

أَعْظِمْ بِذِكرَى الهِجْرةِ
ذِكرَى نَبيٍّ الرَّحمَةِ
وخرُوجهِ مِن مَكَّةِ
وَحُلُولهِ فى طيبَةِ
أَحْبِبْ بِهَا مِنْ ذِكْرَةٍ تُحيى قلُوبَ الذاكِرين

عَادَاه عُبَّادُ الصَّنَمْ
سَامُوه أَنوَاع الأَلَمْ
آذَوْا صحابَتَهُ وَلَمْ
يصِلُوا الجِوَارَ ولاَ الرَّحِمْ
يَاوَيْلَهُمْ ، يَاوَيْلَهُمْ مِنْ سُوء عُقْبَى الظَّالِمين
أَعْظِمْ بِذِكرَى الهِجْرَةِ
مِنْ حَافِزٍ للهِمَّةِ

وَبَاعِثٍ للعِزَّةِ

فى كل نفسٍ حُرَّةِ

وَاهًا لها - مِنْ رحْلَةٍ قَد انتجَتْ دُنيا وَدِينْ

فَلْتذكُروهَا معجَبينْ

وَلتنظُروا لِلمُسْلِمينْ

كيفَ ابتَدَوْا مُسْتَضْعَفينْ !

وَكيف صَارُوا فاتِحينْ !

فى كلّ أرضٍ مَالِكينْ !

تاهِينَ فيها آمِرِينْ !

طُوبى لكُم أهْلَ المدِينهْ حَلَّتْ بأرضِكم السَّكينَهْ

حَلَّتْ بأرضِكُم السَّكينهْ

وَبكم أعزَّ اللهُ دِينهْ

وبكُم أذلَّ الكافِرينْ وَأعزَّ جاه المُؤْمِنين

العروبة

عَلى لِوَاء العُرُوبَهْ
الدِّينُ عزٌّ لِواهْ
عليهِ ضمّ شعُوبهْ
وجاءَ نصْرُ اللهْ

فِدَى لِواء العرُوبهْ
فى الأَرْض كُلُّ الشُّعُوبْ
فِداهُ منَّا الدِّماء
فداهُ منا القُلُوبْ

فُصحَى كتاب اللهْ
تحيا بهذا اللِّواءْ
من شاء يُرْضِى الإلٰهْ
فلْيُغْل فِيه الْفداءْ

هذا اللِّواءُ المجيدْ
نسْجُ الدِّماءِ الزكيهْ
من خالد بن الوليدْ
أو منْ فُتُوح أميّهْ

يا أُمة المُسْلمينْ صُونُوا لواءَ الدِّينْ
فهْو الرِّباطُ المَتينْ لنصْركُم أجمعين

لواء العروبة

لواءُ العروبة نِعْم اللواء إذا قيل أين اللواء العلم
لواءُ الحفاظ لحق الوفاء لحق الجوار لحقٍّ الذمم
على صفحتيه تجلى الإخاء لكل الشعوب وكل الأُمم
ومن طرفيه يشع الرجاء ويدعو لتمجيد كل القيم
سلامًا سلامًا لواءَ العرب

سلام السلام لأَرض العرب لأَرض الهداة ورسل الوئام
سلامًا تجلى صفاءً وَحُبْ لكل الشعوب لكل الأَنام
لواءُ العروبة طُول الحقب يُوالى الكرام ينافى اللئام
مدى الدهر يبقى لواءُ العرب سلامًا لكل مُحبى السلام
سلامًا سلامًا لواءَ العرب

لك النصرُ يهتِف ياذا اللواء وبُشْرَاك بالأَمَل المُقْتَرِبْ
صَدى الحقِّ لَبَّيْكَ نحن الفداء شبابٌ كهولٌ وأُم وأَبْ

تَصيحُ العروقُ بنا فى الدماء　　ألسنا لأَعْرَاقِنـــا نَنْتَسِب
ألا فَلْتَعِش أَيُّهـذا اللواء　　على قِمَّةِ المجد بِاسْمِ الْعَرَبْ

سلامًا سلامًا　　لواءَ الْعرب

لِواءَ الْعروبة فى الخافِقيْن　　مَدَى الدهرِ يبقى لواءَ السَّماء
مِن الْمشرقين إلى المغربين　　يُنادى الْجميع لعيش الإخاء
حُماةَ الْعُروبة مُدُّوا الْيَديْن　　وسَاوُوا الصُّفوفَ ولَبُّوا النِّداءْ
لهذا اللواء بَنِى الْقبلتين　　جميعًا جميعًا لِهذَا اللواءْ

سلامًا سلامًا　　لواء العرب

لواء السلام لواء الإخاء　　جميعًا جميعًا لهذا اللّواءْ
لواء العروبة نعم اللواء　　جميعًا جميعًا لهذا اللواءْ

جميــلة يا بلادى

جَميــلةٌ يا بِــلادِى عظيمـــةٌ يا بِــلادِى
مِنْ مِصْرَ ذَات الأَيَادِى لِلشَّام ذَاتِ الْعِمادِ
يعيشُ نفحُ بِلاَدِى عِشْ يا جَمالَ بلادِى
مُحَبَّبــاً لِلْبِــلادِ

تحيــةً من فُؤَادِى بل مِنْ صَميمِ الْفُؤَادِ
إلى جمـالِ بــلادِى يا ملء مِلْءَ مُرَادِى
يا فوقَ فَوقَ المُـرَادِ عِشْ يا جَمَـالَ بِـلاَدِى
مُحَبَّبــاً لِلْبِــلادِ

لِلْعُرْبِ فِى كلٍّ وَادِى وكُل حــادٍ وَبَادِى
عِشْ يا جَمَالَ بِلاَدِى تـدْعو جَميعَ الْبِــلاَدِ
لِلْحُبِّ أَوْ لِلْودَادِ عِشْ يا جَمَـالَ بِـلاَدِى
مُحَبَّبــاً لِلْبِــلاَدِ

فلسطين

فِلسْطِينَ فلِسْطينــا متَى ومتَى تعــودينا
أَجلْ يا روحَ أهلِينا مَتى . نلْقَى أهالِينا
أيَا أَسْنَى آمانينا أيَا أَحْلَى أغانينــا
لقد كنتِ لنا الدنيا كما كنت لنا الدينا
متَى ومتَى تعُودينا
فِلِسْطِينا فِلِسْطِينَا فِلِسْطِينــا فِلِسطينــا

مَساجـدُنا تُناجينـا كنائِسُنَــا تُنَاغِينَــا
عُروبتنــا تنَادينــا ألسنا من أهالينا ؟ لِمْ
ألاَ إنّا لِأَهْلِينَــا وَإنَّ لنــا فِلسطينَا
وَإلاَّ لاَ فِلسطينــا وأيضًا لا صهَايِنَا
مَتَى ومتَى تَعُودينا
فِلسطِينَا فِلِسطِينا فِلسطِينَــا فِلسطينَــا

هذا العربى

هذا الْعَرَبِى عالِي الْحَسَبِ صافِي الْمَعْدِنِ مِثل الذَّهَبِ
مَنْ ذَا يُنْكِرُ ما لِلْعَرَبِ منْ صدقِ الْحِسِّ لدَى الْعَرَبِ
أَو مِنْ كَرَمٍ لم يُكْتَسَبِ لَمْ يؤْثَرْ إلاَّ فِى الْعَرَبِ
من ذَا يُنْكِرُ فَضلَ الْعرَبِ عَرَبًا كنا مُنْـــذُ الأَمَــد

وَسَنَبْقَى عَرَبًا للأَبَد

جَـدِّى عَرَبِى وَأَبِى عَرَبِى وَهَوَاىَ أَنَا عرَبِى عَرَبِى
أَحْيَا وَأَمُوت فِدَى الْعَرَبِ يَارَبُّ احْفَظْ أَرْضَ الْعَرَبِ
احْفَظْها لنــا طول الأَبَد احْفَظْها للوطنِ الْعَــرَبى
لِلشَّعْب الْحُــرِّ الْمُتَّحِــد عَرَبًا كنا مُنْــذُ الأَمَــد

وَسَنَبْقَى عَرَبًا لِلأَبَد

إلى العمل

إلى العمل إلى العمل

هَـــذَا زعيمُنَا الْبَطَلْ يُحِبُّنَــــا أَنْ نَشْتَغِـــلْ
فَلْنَشْتَغـــلْ وَلْنشْتَغـلْ مَهْمَــا يَكُنْ فَلْنَشْتَغلْ
بكُلِّ عَـــزْمٍ لاَ يَكلْ بِكُلِّ رُوح لا يَمَــــلْ
واللهُ مِنْ أَجْلِ الوَطَنْ يَرْعَى لنا هذا الْبَطَلْ
حَتَّى نُحَقِّقَ الْمُنَى حَتَّى . نُحَقِّقَ الْأَمَلْ

إلى العمـــلْ إلى العمـــلْ

إلى العمل إلى الْعمل

أَجْدَادُنَا سَادوا الْأُوَلْ فى كلِّ علْم وَعَمَـــلْ
وَنحْنُ منْهُمْ لَمْ نَزَلْ وهكذا زَعيمُنــــــــــا

وِجْـــدَانُهُ وِجْدانُنَــــا آمَالُهُ آمَالُنَـــــــــا

يَحْيَا لنَــــا زَعِيمُنَا يَحْيا لنا هذا الْبطلْ

حَتَّى نُحَقِّقَ الْمُنَى حَتَّى نُحَقِّقَ الأَمَلْ

إلى العمـــلْ إلى العمـــلْ

كن قائداً

كُنْ قائدًا كنْ قائدًا إنَّ القيادةَ يا أخى فنٌّ الرئيسِ الألمعى
فى شخصه المُتَواضع فى خُلْقه المُتَرفِّع إنَّ القيادةَ يا أخى
عنوانُ خُلُقٍ رائعِ

كنْ قائدًا كُنْ قائدًا فى الحقلِ أوْ فى المَلْعَب فى المَكْتَب فى المصنع
أنىَّ نزَلت بمَوْضعِ كُنْ قائدًا كُنْ قائدًا إنَّ القيادَةَ يا أخى
فنُّ الذَّكاء المُبْدع

كنْ مشعَلاً مُتوَقدا كُنْ مُنْجِدًا كُنْ رائدًا كُنْ قائدًا كُنْ قائدا
إنَّ القِيَادَةَ يا أخى فن العيَاقرة العظَام الدافعين صفوفَهم
نحوَ العُلا وَإلى الأمَامْ

واجب الله والوطن
والمجتمع

لِلْوَطَنِ وهَبْنَا أَنفُسنَا حُبًّا فى واجِبِنَا الْوَطَنى
ونَذَرْنَا أَنَّا مَا عِشْنَا نَحْيَا وَنَمُوتُ فِدَى الْوَطَنِ

وَجَعَلْنَـــا لله عَلَيْنَـــا يَوْمِيًّـــا عَمَـــلاً للهِ
وَالله وَمَهْمَا وَفَّيْنَـــا هَيْهَاتَ نفِى حَقَّ الله

أَمَّا الْوَاجِبُ لِلْمُجْتَمَعِ فالْعَمَلُ لهُ ثُمَّ الْعَمَلُ
نَـأْمَلُ فى أَرْقَى مُجْتَمَعٍ وَلَنَا الْبُشْرَى وَلَنَا الأَمَلُ

كن مستعدا

شعار الكشافة

أنا مُسْتَعدْ في كلٍّ وقت مُسْتَعِدْ لِكُلِّ ظَرْفٍ مُسْتَعِدْ
أنا مُسْتَعِدٌ يا أخي كُنْ مُسْتعِدْ

أنا مُسْتَعِدٌ أنْ ألاقيَ كلّ شَيْءٍ في الحياةِ بمُفْردِي
وبدونِ أيِّ تَـرَدُّدِ لن أعتـــدى
لكِنْ أردُّ المُعْتَدى وَبخِنْجرِي وَمُهَنَّدى وَبدُون شَيْءٍ في يَدى
أنا مُسْتعـدْ

أنا مُسْتَعدٌ أنْ أساعد كل شَخْصٍ مُجْهَدِ
منْ خَائف مُسْتَنْجِدِ أوْ حائر مُسْتَرْشدِ
أو بائسٍ مُسْتَرفدِ علمًا بأنِّيَ دائمًا أبدًا أظلُّ إلى غدى
أنا مُسْتَعَـدْ

أنا مُسْتَعِدٌّ أنْ أضحِّيَ بالدَّمِ ودَمِى ، وأغلى من دَمِى
لك يا بِلادى لتَسْلَمى فَلْتَسْــلَمى وَلتسْـــلَمى
وإلى الأمامِ تَقَدَّمى وَتَقَـــدَّمى وتقـــدَّمى
أنَا مُسْتَعِدٌّ دائمًا أنـــا مُسْتعـــــــد
أنا مُسْتعدٌّ يا أخى كُنْ مُسْتعـــــــدٌّ

الفتوة

لِبلاَدِى أنَا أنَا لِبلاَدِى
أنَا الحَادِى وَأنا الشادى
أنَا الحَادى لِلروّادِ
وأنا الشّادى لِلأمْجَادِ
وأنا مِن بَعضِ الأجْنَادِ بِالرُّوح أنا أفدِى بلادى

لِبلادى أنَا أنَا لِبلاَدِى
مالى وحياتى لِبلاَدِى
لِبلادى أنا أنا لِبلادى
أحْيا فى حُبّى لِبلاَدِى
وأموت فِدى أرضِ بِلاَدِى

الكشافة للوطن العربى

كشّافَةَ أبناء الْعَرَبِ أَشبَالَ الْعَرَبِ الأَمْجَادِ
الْوِحْدَةُ فى الوطنِ الْعَرَبى كَانَتْ أُمْنيَة الأَجدَادِ

فَلنَدْعُ لها فى كلٍّ سَبيلْ وَلندْعُ لها فى كلٍّ مطَافِ
تُصْبحْ كَشافَةَ هذا الْجِيلْ أعلَى مَثَلٍ لِلْكَشَّافِ

الدَّعوةُ لِلوَطَن الْعَربى حُبٌّ وإِخـــاءٌ وَوئامْ
الصَّيْحَةُ : فِتْيَانَ الْعَرَبِ سودوا الدُّنيا سُودُوا الأَيَّامْ

أعياد الشباب

مَجِّدُوا أيَّامَ أعْيَادِ الشَّبابْ   مَجدوها مَجِّدوها يَا شبابْ
إرْفعوا أعْلَامَها فوقَ القِبَابْ   أوْقِدوا الشُّعلةَ فى كلِّ الشِّعابْ
وتَحَدوا الريحَ فى اليوم الضَّبابْ   اسْمَعُوا أصْغُوا هُنا فَصلُ الْخِطابْ
هَكذا ثورةُ أحرار الشَّبابْ   نَالتِ الآمالَ فَازتْ بالطِّلابْ
المُنَى حَـــقٌّ ولَكِنْ لِلْحِرَابْ

مجِّدوا أيام أعيادِ الشبابْ   مجِّدوها مجدوها يا شَبابْ
بطل الأحرار نادى فى الشباب   والنداء الحر يرْجو أن يجاب
اسْجَعوا كالطير رفُّوا كالسحاب   وافتحوا المُغْلَقَ بابًا بعد باب

لا تهابوا الغاب ، لا تخشوا الصعاب
واجعلوا الأخـــلاق حِصنًا للشَّبابْ

ياشباب الجيل ، ياخير الشباب   إن هذا الجيلَ عنوانُ كتاب
أنتمو المضمون فى هذا الكتاب(١)

« عيدنا أقبل فى وجه الحياه   عيدنا أقبل فى صَدْرِ الربيع
اسمعوه الآن أصغوا لنداه   انه فى السمع كاللحن البديع
اسمعوه رددوا عنا صَدَاه   إنه ينشد آمال الجميع »

(١) فى بعض المناسبات يمكن الاكتفاء بالمقطع الأول أو الثانى فإذا أنشدناه كله يجب أن تراعى الملحوظة .

ملحوظة : (توجد فرقة فى زاوية من زوايا المسرح تهمس بهذه الأبيات الثلاثة التى بين الأقواس فى موسيقى حالمة بين المقطع الأول و الثانى ثم بعد المقطع الثانى ليكون الختام) .

الجيل الجديد

انْتَهى عَصْرُ الْعَبِيدْ أَيُّهَا الْجِيلُ الْجَدِيدْ
نحنُ نَبْغِى أَنْ نُعِيدْ مَجْدَنَا الْمَاضى الْعَتِيدْ
هَكَذَا مِصْرُ تُرِيدْ وَهْىَ تَعْنِى مَا تُرِيدْ

لَعْلِعِى يَا رِمَــاحْ دَمْــدِمِى يا رُعُودْ
إِنَّ عَصْفَ الرِّيَاحْ لَا يُخِيفُ الأُسُود

نحنُ بِالحِلْمِ عُرِفْنَا وَاشْتهرْنَا مِنْ قَدِيمْ
غَيْر أَنَّا إِنْ ظُلِمنَا عِنْدَذَا نَرْتَدُّ جِنًّا
لَا نُبَــالِى بِالْمَنَايَا لا نُبَالِى بالْجَحِيمْ

حَطِّمُوا الْقُيُــودْ دَكْدِكُوا الْجِبَــال
لَيْسَ فى الوُجُودْ مَطْلَبٌ مُحَــالْ

القرية

تجديدُ القَرْيةِ غَايَتُنَا   رُوح القَرْيةِ فى التجْديدِ
يَارَبّ متى فى قَرْيتِنا   نَفْرَحُ بالأمل المَنشودِ

تَجْديدُ القريةِ غَايَتُنا   فَنُقَوِّى الرُّوحَ الجَمعيَّهْ
وَنُحسِّنُ فِيها عَادَتَنا   وَنُقَـرِّبُهَا لِلمَـدَنِيَّهْ

ونشَجِّرُ بَعْضَ شَوارعِها   وَنُطعِّمُهـا بالحـرِّيهْ
وَهُنالِك تُصْبحُ قريتنا   عنوان الرُّوح العَصْريَّهْ

تَجْديدُ القَريةِ غايتُنَا   رُوحُ القَريةِ فى التَّجْديدِ
يا ربِّ متَى فى قَريتِنَا   نَفْرحُ بالأَمَل المَنشودِ

البيئة

وَتَعَالَوْا نَخدمْ بيئتَنَا نُعْطِيها أَغْلَى الخَدَمَاتِ
حَتّى تُصْبحَ بكفايتنا أَعْلَى مَثَلٍ لِلْبيئاتِ
كى نصنعَ أفضلَ مجتمع

وتعالوْا نَخْدمْ بِيئَتَنا ونؤدِّ ضَريبَةَ قُدْرَتِنَا
وَنُؤَدّ زكاةَ ثَقَافَتِنَا بالْعمل لخدْمة أُمَّتِنَا
كى نصنَعَ أفضل مُجْتَمَع

وَتَعَالَوْا نَخْدِمْ بيئتَنا نُعْطِيها أغْلَى الْخَدَمَاتِ
حَتّى تصْبحَ بكفايتنا أَعْلَى مَثل لِلْبيئاتِ
كى نَصنَعَ أفضلَ مُجْتَمع

كرة القدم

كُرَةُ القَدَمَ كُرَةُ الْقَدَمِ   هِىَ لِعْبَتُنَا مُنْذُ الْقِدَمِ
يابْنَ النِّيلِ يا بْنَ الْهَرَمِ   إلْعَبْ إلْعَبْ كُرَةَ القَدَمِ
كُرَةُ الْقَدَمِ كُرَةُ الْقَدَمِ

لِلْكُرَةِ نِدَاءٌ يُشْجِينَا   وَيَطِيرُ بنا صَوْبَ الْهَدَفِ
وَكأَن صَدَاهُ يُنَادِينَا   سِيروا سِيروا نحْوَ الشَّرَفِ
كُرَةُ القَدَم كُرَةُ الْقَدَم

فِي الْعَالَم نحنُ لِنَهْضَتِهَا   أَصْحَابُ الرَّايَةِ وَالْعَلَمِ
وَمتَى كُنَّا فى سَاحَتِهَا   كُنَّا الْحُرَّاسَ عَلَى الْقِيَم
كُرَةُ الْقَدَم كُرَةُ الْقَدَم

الشمس

يا شَمْسُ ياذاتَ السَّنى دَاعِبِكِ فَتِّحِي لَنا
يا شمس خَلى يَوْمَنَا طُيورُهُ تُفْرِحُ السَّماءْ
يا شمسُ ياذَاتَ السَّناءْ

الْيَوْم كُلُّهُ لَنَـا مِنَ الصباح لِلْمَسَاءْ
إنْ تُحْسِنى اسْتِقْبَالَنَا أحْسَنْتِ يامَصْدَرَ العَطَاءْ
يا شمسُ ياذَاتَ السَّناءْ

تَوَهَّجِى يا شَمْسَنَا وَفَتِّحِى أجْسَادَنَا
وَفَتِّحِى أرْوَاحَنَا ثُمَّ اسْكُبِى فيهمَا الضِّياءْ
يا شمسُ يا ذاتَ السَّناءْ

نشيد السلام

سَلامٌ سلامٌ سَلامٌ سلامْ

جعلنا السلامَ شِعَارًا لنا وباسْم السلام التقينا هنا

لِتَجْعَلَ يارَبِّ أيَّامَنَا على هذه الأرضِ بُشْرَى سلام

سَلَامٌ سَلَامٌ سَلَامٌ سَلَامْ

يارَبِّ إنك أنتَ السَّلام ومنك السَّلامُ وَرَدُّ السَّلامْ

لِأمْرِكَ يَرْجِع أمْرُ الأنام وبين يَدَيْكَ قلوبُ الأنامْ

إذا شئتَ فى الأرض حَلَّ الوئامْ وإن شئتَ فى الأرض سادَ السَّلام

سلام عليه يبِزُّ الكِرام ويَحْلو عليه نشيد السَّلامْ

سلام سلام سلام سلام

اتحاد الطلبة والأندية

الاتِّحادْ الاتِّحادْ الاتِّحادْ   اهتِفوا اهتِفوا فى كلِّ وادِى
أيُّها الطُّلاَّبُ أنتمُ لِلْبلادْ   دَائماً كنتم عِمَادَ الاتِّحادِ

فَلْنُنَادِ   ولْنُنَادِ   نحنُ أشبال النَّوادِى
وَلْنكُنْ فى كلِّ نَادِى   نحنُ رسْل الاتِّحاد

اهْتِفوا   بالاتِّحادْ   إنه حِصْنُ البِلَادِ
إنه   خيرُ الْعَتادْ   يوم نَدعُو لِلْجهادِ

الاتحادْ الاتِّحادْ الاتِّحادْ   اهْتِفوا ثمَّ اهْتِفوا فى كلِّ وادِى
أيُّها الطُّلاَّبُ أنتم لِلْبلادْ   دائمًا كنتم عماد الاتِّحاد

نشيد الكلية

سلامٌ سلامٌ سلامٌ سلامٌ
لكليَّتي مِنْ جَميع ِ الأَنامْ
سلامُ السَّلام ِ لأَيَّامِها لأَطيبِ عَهْدٍ قَضينا بها
أَلَا إِنه كانَ عَهْدَ الْكِرامْ سَلامٌ سلامٌ سلامٌ سلامْ

لِمَن علَّمونا فُنونَ الْبَيانْ
لمَنْ علَّمونا عُلومَ الزَّمانْ
لِمَنْ جَعلونا نُحِبُّ النِّظامْ إلى أن شُهِرْنا بحُبِّ النِّظامْ
سلامُ التَّجِلَّةِ والاحْتَرامْ سلامٌ سلامٌ سلامٌ سلامْ

سَلامٌ لِكلِّيتى فى الشُّموسْ

سلامٌ لكلِّيتى فى الشُّهُبْ

سلامٌ لهذا الضِّياء الذى يُبارِكُه اللهُ أنّى ذَهَبْ

وأنّى بَدَا كانَ دَاعِي الْوئَامْ سلامٌ سلامٌ سلامٌ سلامْ

لِكليتى دَائِمًا دَائِمًا

سَأَختَصُّ كلِّيتى بالثَّناء

وَيبْقى الفؤادُ بها هَائِمًا إلَى أنْ نؤَدِّى حُقوقَ الوَفَاء

وَيَبْقى علينا ديونُ الولاءِ سلامٌ سلامٌ سلامٌ سلامْ

« نبارِكُكَ يَاوجْهَ كلِّيتى فَوجَّهتَ حُبِّى لِشَخْصِيَّتى وصَيَّرْتَه كله للوطن »

ملحوظة :

(يمكن جعل هذا النشيد مزدوجا أعنى أنه ينشد من فرقتين : الفرقة الأولى تكرر هذا المقطع الصغير الموجود بين هذين القوسين بعد كل مقطع من المقاطع الكبيرة . ولكن ينبغى أن ينشد هذا المقطع الصغير بصوت منخفض كالهامس فكأن هذا المقطع هو اللازمة التى تنشد بين كل مقطع وما يليه) .

نشيد جماعى للرحلات

ثلاث وحدات :

جماعة أولى تنشد :

يَوْمُنَا بَاسِمٌ لَنا بَسْمةَ الْحُبِّ والْمُنَى
يَوْمُنا كُله لنَا يومُنَا طَابَ يَوْمُنا
صُبحُهُ أَو مَسَاؤُهُ أَرْضُهُ أَوْ سَماؤُهُ
مَاؤُهُ أو هواؤُهُ كلُّه كلُّه لنَا
يومُنَا طابَ يومُنا

الجماعة الثانية ترد

مع هذا فإننَا نتَّقِى فى سلوكِنا
أَىَّ شىء يَعيبنا ليس هذا لخوفنا
إنَّما عن شُعورنا بِتَقَالِيدِ قَوْمِنَا
ولَٰكِنْ نحنُ ها هُنا نحنُ عنوان أَهْلِنا
واحْترام ذاتِنا

الجماعة الثالثة تنشد :

وأخيرًا فإنّنا إخوةٌ نحن هَا هُنا
فرحينَ كُلُّنـــا بِلِقاء بَعْضِنا

الجماعات الثلاث :

نحن أَبناءُ يومِنا يَوْمُنا جاء مُعْلِنَا
أَنّه جاء باسْمِنا كيْ نُقضِّيه هَا هُنا
فى سُرورٍ وفى هَنَا

ترحيب

بالمؤتمر الأسيوى الإفريقى :

مرحباً بالمؤتمرْ كانَ حُلْمَ الخافِقَيْن
بالرجاء المُنْتَظَرْ مِن شَبَابِ المْشرِقَيْن
يا حُماةَ الضفَّتَيْنِ مرحباً يامرحباً يامرحباَ

با لتَّكافلْ بالتَّضَامُنْ بين أبناء الأنامْ

فى إخاء فى تعاونْ فى وَلاء فى وِئامْ
إيهِ يَا رسْلَ السَّلامْ مَرحباً يامَرحباً يامَرحبَا

من مصر أنا

يا أَرْض العربِ لكِ العِظَمُ بَردَى والنِّيلُ والهَرَم
ولكِ الجَيشُ وَلَكَ الْعَلَمُ قَسماً بالله وذا القَسمُ
هو منا عهدٌ مُلْتَزَمُ عهدٌ إمَّا تلْقَى الظَّفَرَ
أَو نَلْقَى اليومَ المُنْتَظَرَ لاَ شَمسَ عَلَيْهِ ولا قَمر
الوَحْدَةُ غَايَتنا الكُبْرَى فى الوحدة مَنْجَاة العرب

مِن مصر أنَا وأنا عَرَبى
يـ للعرب يا للعرب

يا أَرْضَ العرب لك البُشْرَيِ الشَّام اتحّدتْ فى مِصْر
وغدًا عُمَّان أو قَطَرَ أَبْنَاؤك طُرًّا من مِصْر
حتىٌّ عدن حتى بصرى عاهدنا الله لك النَّصْرَ

قسماً إمَّا نَلقَى النَّصر أو نُصبح للدنيا ذِكْرى
الوَحْدَةُ غايتُنا الكُبرَى في الوَحْدَةِ مَنْجَاةُ العرب

من مصر أنا وأنا عربى
يا للعرب يا للعرب

مصر الثورة

مِصْرُ الثورة فى ثورَتِها تَرْعَى الأَخلاقَ وتَبْنيها
ثورةُ مصرٍ وقيادتها يَرعاهَا اللهُ ويَحْمِيها

تَصْنَعُ للشّعْبِ الحُريَّهْ مَعَ حِفْظِ تقَاليدِ الشعْبِ
فإذَا مِلْنا لِلْمَدَنِيّهْ مِلنا بالعقلِ وبالقلبِ

وَجَّهتِ الأُسْرَةَ تَوْجِيها يَسْمُو بالمجتَمَعِ الرّاقِى
لِتكونَ الحُرِّيّةُ فِيها مَعْنىً مِنْ مَعْنَى الأَخْلاقِ

أَبْطَالُ الثّورَةِ حَيُّوهُم سِيرُوا مَعَهُمْ قُدُمًا قُدُمًا
حَيُّوا الأَبْطَالَ حَيُّوهُمْ اسْمًا اسْمًا عَلَمًا عَلَمًا
خَلُّوا العَربَ تَعلُو هِمَمًا خَلُّوا العَربَ تَرْقَى الْقِمَمَا
فَإِذَا الدُّنيا رَفَعَتْ عَلَما كنا نحن هَذَا العَلَما

الجندية

الْجُنْـــدِيَّهْ الْجُنْـــدِيَّهْ هَيَّا هَيَّا لِلْجُنْدِيَّهْ
أَعْلَى تَرْبِيَةٍ وَطَنِيَّهْ أَعْظَمُ مَدْرَسَةٍ قَوْمِيَّهْ
تَتَرَبَّى فِيهَا الشَّخْصِيَّهْ مَا أَعْظَمَ فَضْلَ الْجُنْدِيَّهْ
لِلْجُنْـــدِيَّهْ لِلْجُنْدِيَّهْ هَيَّا هَيَّا لِلْجُنْدِيَّهْ

الْجُنْدِى مَظْهرُ أُمَّتِهِ فى هَيْئَتِهِ وَكَرامتِهِ
فى عِزَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ فى شَارَتِهِ
مَا أَجْمَلَهُ فى مشيَتِهِ وَعَلَيْهِ شِعارُ كَتِيبتِهِ
أُنْظُرْ تَسْمَعْ فى خطْوَتِهِ لَحْنَ الْأَمْجَادِ الْوَطَنِيَّهْ

يَاحَادِى رَكْب الْمَدَنِيَّهْ قَرِّرْ لى لَحْنَ الْجُنْدِيَّهْ
لِأَعِيشَ بِرُوحِ الْجُنْدِيَّهْ فى صَفِّ حُمَاةِ الْبَشَرِيَّهْ
أَحْمِى الْأَمْجَادَ الْوَطَنِيَّهْ أَحْمِى الْأَقْدَاسَ الْقَوْمِيَّهْ
لِلْحَقِّ وَلِلإِنْسَانِيَّهْ وَأَنَا مِنْ جُنْدِ الْحُرِّيَّهْ

البحار

سِر يا بحّارْ مَعَ التَّيارْ
خَلِّ التجديف عَلَى الأقْدَارْ

الْعَبْ بِالْمَوْج وخليـــه
أبدًا يَشْتاقُكَ تَخْبِيـــه
وَتَصُونُ حِمَى قَوْمِكَ فِيهِ
واحْفَظْ لِلْبَحْرِ عُهُودَ الْجَارْ سِرْ يا بحّارْ مَعَ التَّيارْ
خَلِّ التَّجدِيف عَلَى الأقْدَارْ

مَنْ يا بحّارْ مِثْلُكَ نَفسًا
فى كل بلادٍ لَكَ مَرْسَى
تَنْزِلُ فِيهَا تَلْقى أُنْسَا
وَبِكُلِّ مَكان لَكَ تَذْكارْ سر يا بحار مع التيار

خلِّ التجديف على الأقدار
لَك يا بحّارُ البَحرُ شِعارْ
البحر به تُجلَى الأبصَارْ
البحر به تُجلَى الأفكارْ
البحر به وطنُ الأحرارْ
سِر يا بحّار مع التيّارْ
خَلِّ التجديف على الاقدار

الطيران

هيّئوا للجوّ أبراجَ الصُّقُورْ
الحَياةُ اليومَ ، نَهبٌ للنسُور

لَم يعِش إلّا المُغَامِر
الذى يَلْقَى الأُمـــــور

لَا يُبالى لم يَخَف عُقبَى الصُّدُور
العُلَى حقٌّ ولكنَ لِلجَسُـــو ر
هيئـوا للجو أَبراجَ الصُّقور
الحياةُ اليومَ نهبٌ للنسور

مَزِّقـــــوا سِترَ الضَّبَابْ
ذَلِّلُـــــوا مَتنَ السَّحاب

والبَسُوا رِيشَ الصُّقُورْ يا طُيور
العُلَى حَقٌّ ولكن لِلْجســــور
هَيِّئُـوا لِلجوّ أبرَاج الصُّقور
الحيَاةُ اليومَ نَهبٌ لِلنسُور

ضَاقَتِ الارضُ عَلَى سُكَّانِهَا
كيفَ يبقَى الْحُرُّ مِن جيرانِهَا
وَالسَّمَا تَدعُو هَلُمُّوا يَا طُيور
العُلَى حَقٌّ ولكن لِلْجَسور
هَيِّئُوا لِلْجَو أَبرَاجَ الصُّقُور
الْحَيَاةُ الْيَومَ نَهْبٌ لِلنسُور

الدفاع

اسْتَعِــدُّوا بِالعَتَادْ وَالْبَسوا لأمَ الْجِهَادْ
البَسُوهَا وَاصْنَعوهَا وَاحْذَرُوا أنْ تَخلَعُوهَا
إنَّ قَوماً خَلَعُوهَا ضَيَّعُوا مَجْدَ الْبِلاَدْ
إنَّ قَوْماً صَنَعُوهَا مَلَكوا أمْرَ الْعِبَادْ
لِلْجِهَادْ لِلْجِهَادْ إنْ لِلجنَّة بَابًا اسْمُهُ بَابُ الْجِهَادْ

اسْتَعِدُّوا لِلدَفَاعْ حَيْثُما كَانَ الدِّفَاعْ
اسْتَعِدُّوا لِلصِّرَاعْ حَيْثما كَانَ الصراعْ
البسُوا لِبدَ السِّبَاعْ عَصْرُكم عَصْرُ الشُّجَاعْ
اسْتَعِدُّوا بِالْعَتَادْ وَالْبسُوا لأمَ الْجِهَادْ
لِلْجِهَادْ لِلْجِهَادْ إنَّ لِلْجَنَّةِ بَابًا اسْمُهُ بَابُ الْجِهَادْ

العلم

عَلَمِى عَلَمِى عَلَمِى   أفديكَ برُوحِى ياعلمى
أفديك برُوحِى وَبِنَاسِى   وفِدى نَاسِى كلُّ النَّاس
تَفديكَ جميعُ الأجناس   أفديكَ بروحى ياعلمى

أنجمُكَ هى الاملُ الهادى   وَجَمَالُكَ لِلدُّنْيا بَادِى
والنَّصْرُ حَواليكَ يُنَادِى   النَّصْرُ حليفكَ ياعلمى
علمى علمى علمى   أفديك بروحى ياعلمى

اسْلم لِجَمَالِكَ فى القِمَم   اسْلَمْ لِمَكَانِكَ فى الأُمَمِ
اسلَمْ فى الحرب وفى السِّلم   اسْلمْ لبِلادِكَ ياعلمى
عَلَمِى عَلَمِى عَلَمِى   أفْدِيكَ بروحى ياعَلَمِى

الشهيد

ياشَهِيدَ الوَطَنْ ياشَهِيدَ الوَفَاءْ
أَنْتَ أَعْلَى فَتىً يَسْتحِقُّ الثَّنَاءْ
ياشَهِيدَ الْوَطَنْ

أَنْتَ فِى الْخُلْدِ أَعَزُّ الْخَالِدِينْ سِرْتَ لِلتَّاريخ مَرْفُوعَ الْجَبِينْ
وَافِرَ الْحَظَّيْنِ مِنْ دُنْيَا وَدِينْ ذِكْرُكَ العَالِى عَلَى مَرِّ السِّنِينْ
سَوْفَ يَبْقَى عَاطِرًا طُولَ الزَّمَنْ

أَنْت بالرُّوحِ افْتَدَيْتَ الْوَطَنَا بِعْتَهُ الرُّوحَ فَهَاكَ الثَّمَنَا
خُلْدُهُ تمجيداً وذكراً حَسَنَا يَمْلأُ الدُّنيَا سَنَاءً وَسَنَى
جَنَّةُ الأَبْطَال فى الذِّكْرِ الْحسَنْ

فى سبيل الدِّفاعْ عن بِلاَدِكْ
مُتْ مَوْتَ الشُّجَاعْ فى جِهادِكْ
هَكَذَا مَاتَ الرِّجَالْ تَحتَ رَاياتِ الْجِهَادْ
نِلْتَ أسْمَى ما يُنالْ متَّ فى حبِّ الْبلادْ

الفداء

أَنَا الفِداءُ لِلْوَطَنْ أَنَا الفِـــــــدَاءْ
أَنَا لَهُ عِنْدَ المِحَنْ أَنَا الدُّعَـــــــاءْ

أَنَا لَهُ يَوْمَ النِّدا صَدَى النِّداءْ
أنا له يوْمَ الفِدا أنا الفِداءْ

قَدَّمْتُ رُوحِي مُخْلِصًا فى حُبِّهِ
وإنْ أَمُتْ مُدَافعاً عن تُرْبِهِ

فقد بلَغْتُ منزِلاً مِنَ السَّمَاءْ
أَنَا الفِداءُ لِلْوَطَنْ أَنَا الفِداءْ

الانتصار

انْتَصَرْنَا انْتَصَرْنَا واغْتَصَبْنَا الانْتِصَارْ

انْتَصَرْنَا انْتَصَرْنَا واغْتَصَبْنَا المجدَغَصْباً والفَخَارْ
وانتَظَرْنَا انتَظَرْنَا لم يَرُعْنَا لم يَرعْنَا الانتِظَارْ
انتَظَرْنَا وَاثِقِينَا أنَّ حَتماً أن يَكُونَا
نَصْرُنَا نَصراً مُبِينا مِثله لم تَنظُر الدُّنيا انتصَارْ

اعْتزمْنــا فَبَلَغنَــا وصَبَرْنَا فَظَفِرْنَا
وَوَصَلنَــا فَوَصَلنَــا لَيْلَ مَاضِينَا الفخيم بالنَّهارْ
انتَصَرنا انتَصَرْنَا واغتَصَبنَا الانتِصَارْ(١)

رَدِّدِى يا طيْرُ عَنَّا رَدِّدِى أحْلى معانى الافتِخارْ
ليْس مِنَّا ليْس مِنا مِن فَتىً إلا الفَتَى حَامِى الذِّمارْ
يَغصِبُ المجدَ اغتِصَابًا لاَ ولن يَرْضَى بِمَجْد مُسْتَعارْ

كلنَا يَحْمِى . العَرِينَا ليْسَ فينـــــــــــا
مِن فَتىً يُلقَى مَهِينًا أو فَتىً لمْ يَفدِ بالرُّوح الدِّيارْ

أيُّهَا الاحْرَارُ هذا عِيدُكُمْ جَاءكُمْ يُهْدِى أكاليلَ الفَخارْ
يجْعَلُ اللهُ لنَا أيّامكم كلها أعْياد أعياد انتِصَارْ

الدراسات

دين القوة*

الأستاذ عباس محمود العقاد

من الآثار الشعرية التى ظهرت حديثا ديوان لطيف الحجم باسم « عنوان النشيد » للشاعر المجيد الأستاذ « محمود أبو الوفا » ، يقرأ القارىء على غلافه هذه السطور :

استمع لى : إن من حق الحياه
للفتى اما يعش عيش إله
أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

ويقرأ مقدمة هذه السطور فى الصفحات الأولى من الديوان وهى :

ليس كالقوة فى الدنيا فضيله
هكذا قالت لنا الروح النبيله
قلت : يا روحى هل ثم وسيله
لتلافى الضعف ، والضعف رذيله
قال : إلا فى طموح الكبرياء

* نشرت في جريدة « الأساس » بتاريخ ٤ يناير ١٩٥٢

لم أجد للضعف فى الناس دواء

ويكاد الديوان كله أن يكون صيحة واحدة فى طلب القوة ودعوة إلى الإيمان بدين القوة ويفسر الشاعر القوة التى يعنيها ولا يدعها مبهمة مشتركة المعانى فيقول كما تقدم إنها القوة التى تتجلى فى طموح الكبرياء ثم يقول مرة أخرى إنها القوة التى تنذر إلى الضعفاء نظرها إلى الطفيليات :

استمع لى إن قانون البقاء
وهو ما فى الناس يدعى بالقضاء
قد رأى فى هؤلاء الضعفاء
أنهم فى الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات فى الزرع سواء

ونقول إن كلمة القوة فى هذا الديوان لم تترك مبهمة مشتركة المعانى لأن القوة تشمل الأخلاق جميعا فى رأى بعض الحكماء ، فلا يطلب الإنسان خلقا جميلا إلا كان فى الحقيقة طالبا للقوة فى صورة من الصور ، من الرحمة والكرم والعفو والسماحة . فالرحمة هى قدرة الإنسان على الإغاثة وسعة العاطفة حتى تشمل الآخرين ، بدلا من الأنانية المحدودة التى تفيض منها فضلة من القوة والسعة لغيرها . وكذلك الكرم والعفو والسماحة ، كلها تقترن بشعور صاحبها بالتفوق والعزة والاقتدار وسيطرة النفس على الغضب وغريزة البطش والانتقام .

بل يرى هؤلاء الحكماء أن القناعة نفسها قوة ، لأنها تقاوم المغريات التى يضعف أمامها أتباع الأهواء والشهوات ، وأن النسك بهذا المعنى قوة كبيرة إذا اختاره الناسك لغير ضرورة مفروضة عليه ، فلولا أنه يستطيع أن ينظر إلى عظمة الدنيا من سلطان وثروة كأنها شىء زهيد لا يستحق الطمع لما راض نفسه عن النسك ، ولا تسنى له أن يعزف عن الجاه والمال .

فكلمة القوة إذن مبهمة مالَمْ يقترن بها وصف يميز لها بين القوى الكثيرة على حسب معانيها المختلفة ، وهذه القوة التى يشيد بها « عنوان النشيد » هى قوة الكبرياء والسيادة والتأسف من وجود الضعفاء .

وقد اصطلح الناشئة فى العصر الحديث على نسبة هذا المذهب إلى الفيلسوف البولونى الألمانى فريدريك نيتشة الذى عاش عليلا ومات فى علته عند أوائل القرن العشرين ، وسماه الأوربيون نبى القوة والسيادة .

ولكن الواقع أننا نحن الناطقين بالضاد خلقاء أن نعرف لها مرجعا أقدم من نيتشه بأكثر من ألف سنة . وهو شاعر عربى نسميه أيضا « متنبئا » وننسى اسمه وكنيته أحيانا تغليبا لدعوى النبوة التى نسبت إليه .

فلم تكن دعوة المتنبى إلى القوة خطرات من هنا وهناك لا ينتظم منها مذهب كمذاهب الأخلاق المعروفة ، ولكنها كانت نظرات شاملة لتعليل الأخلاق وراء ألفاظها ومعانيها الشائعة على أطراف الألسنة وعفو التفكير .

فالبطش عنده حق السادة والذلة عنده قسمة الضعفاء :

وما فى سطوة الأرباب عيب

وما فى ذلة العبدان عار

والاعتماد على التخويف عنده خير من الاعتماد على المودة :

إذا لم تجزهم دار قوم مودة

أجاز القنا ، والخوف خير من الود

وكل صفة بغير قوة فهى خداع وحيلة من حيل الطباع . فلا حلم بغير قدرة :

كل حلم أتى بغير اقتدار

حجة لاجىء إليها اللئام

والحزم جبن مالم يكن حزم مقتدر .

يرى اللؤماء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكل الأخلاق والمناقب مغالبة ومصاولة :

فالظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ويغلوفي هذا فيقول إن الناس والسباع سواء :

إنما أنفس الأناس سباع
يتفارسن جهرة واغتيالا

وقد يمدح مكارم إنسان فكأنما يمدح جيشا يقهر به أعداء ، كما قال :

هزمت مكارمه المكارم كلها
حتى كأن المكرمات قنابل

ومزية العقول الكبرى أن تجعل الإنسان أقوى من « الضيغم » وأن تعينه على اختراع السلاح :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت
أيدىَ الكماة عوالى المرّان

ولا نفع في قوة الضوارى — كما لا نفع في قوة الإنسان — إلا أن تخيف من يتّقيها ويحذرها :

ومايننفع الأُسْد الحياء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضواريا

وهكذا يستطيع دارس المتنبي أن يخرج منه بمذهب مفصل فى الأخلاق كمذهب الفلاسفة المحدثين وليس قصارى إعجابه بالقوة أنه خطرات متفرقات بلاعلاقة بين أجزائها كما يتفق للشعراء فى هذه الأغراض .

ودين القوة فى حقيقته قديم جداً من الوجهة العملية ، ونكاد نقول إن الدعوة إليه على إطلاقه إنما هى رجعة إلى القدم ، إلا أن نفسر القوة تفسير الحكماء الذين أشرنا إليهم فى أول هذا المقال .

وقد كان نيتشه يعلل الأخلاق الفضلى جميعا بحب القوة ، ولكنه يقسم الأخلاق الإنسانية إلى قسمين : قسم يدين به السادة ، وقسم يدين به الخاضعون لهم ، فما هو حسن للعبد قبيح للسيد ، وما تعده السادة فضيلة قد ينفعها ويرضيها أن يعم العمل به بين الأحياء ، ولكنه كما قال المتنبي :
لا ينفع الأسد من الطوى حتى تخيف غيرها من الأحياء

وكان نيتشه يرى أن حب القوة هو باعث أخلاق السادة المسلطين ، وأن حب البقاء هو باعث أخلاق العبيد المسخرين . ولهذا كان ينحى على دارون ويشدد عليه النكير لأنه يفسر أخلاق الناس جميعا بحبهم للبقاء .

ولكن داروين على صواب ونيتشه على خطأ ، لأن البقاء أعلى مرتبة من القوة ، ومعناه مرادف للخلود ، وبخاصة معنى الكلمة التى يعبر بها داروين أحيانا عن البقاء ، وهى تعنى « البقاء بعد آخرين » . أو تعنى ما تعنيه كلمة « الخلافة » فى اللغة العربية .

فالقول بحب البقاء أشرف من القول بحب القوة ، لأن القوة التى تنقضى فى حينها أقرب غاية من البقاء الذى يدوم مع الحياة وبعد الحياة .

وإنما يصدق انتقاد نيتشه لداروين على معنى واحد وهو معنى حب البقاء ، أى بقاء ، وأن يكون الإنسان كبنى إسرائيل الذين قال عنهم القرآن الكريم إنهم « أحرص الناس على حياة » لاعلى البقاء بالتعريف .

أما البقاء بمعنى الخلافة أو بمعنى تخلف المنتصر بعد المنهزم فهو أعلى

مراتب الأخلاق في عرف السادة ، وهو أحسن تفسيراً للأخلاق عامة لأنه يفسر أعمال الأنواع والسلالات كما يفسر أعمال الآحاد .

وهو بتفسيره لأعمال الأنواع والسلالات يضبط القول بحب البقاء أو بحب القوة عند أفراد الناس . فليس الخلق الجميل أو القوى مايبقى الفرد ويهلك غيره . ولكنه هو الخلق الذى يتم به بقاء الأنواع التى تطول آجالها إلى ألوف السنين . وهنا تعرف الضابط الذى ينبغى أن يحول بين الفرد ومشتهاه ، فلا يباح له كل ما يقدر عليه ويريد به طول البقاء . بل يباح له ويحمد منه ويوجب عليه كل مايقدر عليه ويريد له طول البقاء لنوعه وسلالته . وذلك هو الحد الذى يفصل بين القوة المذمومة والقوة المحمودة المطلوبة . ولولاه لانطلقت القوة بغير حد فاصل وكانت وبالا على صاحبها وعلى الآخرين .

وأيا كان الرأى فى هذا فالقوة شىء والعنف شىء آخر لأن العنف ضد الرفق وليس ضد الوهن والضعف ، فربما كان القوى رفيقا وكان الضعيف عنيفا ، وربما كان الضعف سببا للهياج وسببا من ثم للعنف ، حيث ترى الرجل القوى هادئا ساكنا يتصرف مع أصدقائه وأعدائه على ثقة وطمأنينة ولا يرى داعية للعنف أو الهياج .

فمن مدح القوة لا يلزم من ذلك أنه يمدح العنف وينكر الرفق والسماحة ، وقد يتساوى مدح العنف ومدح الضعف فى كثير من الأحوال . ونذكر من شواهد ذلك عنوانا كتبه الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » لبعض مقالاته فى نقد سياسة الاحتلال وصفها فيه « بالسياسة الضعيفة العنيفة » ، ومناسبة أخرى استشهد فيها بأبيات أبى العلاء التى يقول فيها :

ربما أخرج الحزين جوى الحز ن إلى غير لائق بالسداد
مثلما فاتت الصلاة سليما ن فأنحى على رقاب الجياد

يريد أن الحزن قد يدفع صاحبه إلى العنف كما يدفعه الغضب ، وأن القسوة لا تلازم القوة فى جميع الأعمال والأخلاق . والشيخ على يوسف

رحمه الله لم يكن من فلاسفة الأخلاق ولكنه أدرك هذه الحقيقة بالبداهة القريبة ، لأن التفرقة بين القسوة والقوة لا تحتاج إلى تعمق بعيد وفلسفة دقيقة .

لهذا نقول إن دعوة الشاعر المجيد إلى القوة فى ديوان « عنوان النشيد » صواب يستجاب حيث لا تقترن القوة بالقسوة . ولو سئلنا أن نلخص رأينا فى هذا المذهب لقلنا إن تعبير الأخلاقيين عن القوة والضعف ينبغى أن يكون كتعبير العلماء الطبيعيين عن الحرارة والبرودة فلا يرون بين أيديهم غير الحرارة فى درجات مختلفة فليس هناك برودة إنما هناك على الدوام حرارة قليلة . وينبغى أن ننظر إلى الإنسان الضعيف كأنه قوة صغيرة نضيف إليها إذا استصغرناها ولا نطفئها ونخمدها . ولا ننسى أن الضعف والضعف قوة مجتمعة وأن الضعفاء إذا اجتمعوا وقهروا القوى بغير حق فانما يطبقون معه المبدأ الذى يطبقه معهم ولا يسعه أن ينكره إذا كان من ديدنه أن يستبيح كل ما يقدر عليه .

ولو خيرت فى أبيات الشاعر لاخترت أن أقول :

قد رأى فى هؤلاء الأشقياء

أنهم فى الناس جاءوا دخلاء

كالطفيليات فى الزرع سواء

فالأشقياء — وليس الضعفاء — هم آفة الزرع النافع ، أما الضعفاء فهم كالسنابل الضعاف تزيد لها الرى والسماد ولا تقتلعها من المزرعة ، ولا يصح أن تقتلع من المزرعة إلا ما يهلكها لا ما يهلك إذا أهملناه وعزلناه .

عباس محمود العقاد

شعرى

ديوان جديد للشاعر محمود أبو الوفا

عرض وتعليق الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر العربي كفؤ لأداء رسالته ما دامت له تلك اللغة الخاصة التي يعبر بها صاحب « الشخصية الفنية » عن معانيه المقصودة ، بوحي فطرته وبواعث وجدانه وإرادته .

ونريد باللغة الخاصة تلك اللغة التي تستقل عن الصيغ المحفوظة ، والأساليب المطروقة ، والاستعارات المتفق عليها ، كاتفاق الأحاديث في تحيات المجتمع ، وردود الناس عليها .

وتخصيص اللغة بالتعبير عن صاحبها أهم من الجودة في العبارة والسمو في المعنى ، فإن المعنى الخاص أحوج إلى القدرة اللغوية من المعنى الرفيع والتعبير الجيد ، والطرزى الذى يستطيع أن يسبغ على البنية الخاصة كسوتها التى تلائمها أحوج إلى القدرة ممن يسبغ الكسوة على البنية المثالية في تناسق الهندام واعتدال القوام ، لأن موافقة البنية المثالية خبرة مشتركة بين جميع أبناء الصناعة ، وإنما يحتاج الطرزى إلى كل فنه وابتكاره فى الكسوة (الخاصة) حين يهيء لها إتقانها وجودتها ، ولا يتقنها كما يتقنها صانع مجيد أو كل صانع متبع على سنة التقليد .

نشر بمجلة « قافلة الزيت » السعودية يوليو ١٩٦٢

ولقد أحسن صاحب ديوان « شعرى » فى اختيار هذا الاسم المجموعة قصائده ومقطوعاته، فإنه فى الحق شعره الخاص الذى يقوله هو ولا يقوله غيره، وآيته فيه أنه يعنى مايقوله ويقول ما يعنيه، وأنه وحى السليقة الذى تمليه عليه حياته وبواعث وجدانه ، من آثار الحياة وآثار عوارض الحياة .

قيل ان العالم النفسانى « آدلر » خالف أستاذه « فرويد » فى إيمانه بالعامل المهم فى النفس الانسانية ، فأنكر أن يكون « الجنس » هو ذلك العامل المهم ، أو هو الينبوع الخفى الذى تصدر منه أسرارها وترجع إليه كوامن أشواقها ومخاوفها ، وقرر أن حب الحركة لاثبات الذات هو ذلك الينبوع الأصيل فى كل نفس بشرية ، لأن ذات الانسان ألصق به من جنسه والـ « أنا » فيه أسبق وأعرق من الذكورة أو الأنوثة فى كل من الرجل والمرأة .

وأراد العلماء النفسانيون أن يطبقوا علم النفس على المذهب وصاحبه كما يطبقه هو فى تحليلاته وتعليلاته ، فظهر لهم من مراجعة تاريخه فى طفولته الباكرة أنه كان يعانى الألم من لين العظام وأن ألمه النفسانى مما عاناه كان أشد عليه وأعمق فى سريرته من آلام جسده الصغير .

ويقول شاعرنا أبو الوفا فى أبياته إلى حافظ إبراهيم مترجم «البؤساء»(١) .

يا صاحب « البؤساء » جاءك شاعر ... يشكو من الزمن اللئيم العاتى
لم يكفه أنى على عكازة ... أمشى ، فحط الصخر فى طرقاتى
ثم انثنى يزجى على مصائبا ... سحبا كقطعان الدجى جهمات
فى ليلهن فقدت آمالى الألى ... صاحبننى مذ لاح فجر حياتى
فغدوت فى الدنيا ولا أدرى أمن ... أحيائها أنا أم من الأموات

---

(١) الخطاب فى هذه القصيدة موجه إلى الشاعر الفرنسى فيكتور هوجو صاحب (البؤساء) التى ترجمها عنه حافظ إبراهيم وقد كتبها الشاعر فى سنة ١٩٢٧ وقدمها إلى حافظ إبراهيم وذلك قبل رحلته إلى باريس للعلاج فى سنة ١٩٣٢

تلك صيحة الحس من أثر الصدمة العارضة ، ولكن طبيعة الشاعر الحية سمت بالصدمة الحسية فوق هذه الشكوى إلى مغالبة الحوادث ، وإطلاق النفس من قيودها ، فأصبحت عقيدته كلها تعلقا بالحركة ، ونفورا من القيد ، وتطبيقا للفكرة الجياشة التي سماها كما يسميها علم النفس « بالتسامي » وقال عنها مرة من المرات في أوائل صفحات الديوان :

وأحق الناس في الناس احتراما
من تعالى عن هواه أو تسامى
ذا هو الحر الذي يخشى نهاه
لا سواه . . وهو لا يرجو سواه

بل أصبحت غايته كلها من الحياة أن يتخطى القيود وأن يتركها ، ولا يجر وراءه سلاسل الحديد :

وإذا مت مت حرا لأني لم أضف للحياة قيدا جديدا
بل إذا مت لم أجر ورائي من كلامي سلاسلا وحديدا

وقد يترجم عن هذه العقيدة ، أحيانا بحب القوة كما يترجم عنها بحب المجد أو بحب الحرية ، ولكنك تتطلع وراء هذه الأمثلة العليا جميعا فترى خلالها شيئا واحدا هو حب الحركة والتعلق بالحركة وحدها دون الغاية التي تصير إليها :

قلبي ماض إلى غايته مسرعا حتى وإن لم يسرع
لا يبالي بالمسافات ولا بالذي يعنيه كسب الموقع
الذي يسأل عن موضعه سوف يمضي ماله من موضع

وفي خلال هذا الانطلاق المسرع إلى غير موضع تنبعث به انطلاقة تارة إلى المجد الذي يهون في سبيله سفك الدماء :

لن تبلغ المجد الا ان صعدت له على سلالم أشلاء وهامات

ومذهب الحركة الدائمة هو مذهب الشاعر فى الحب ، وفى الغزل ، وفى تقدير الجمال ونشدان الكمال :

كل ما فى الأمر أنى هائم ولقد آثرت عيش الهائمين

ولقد وافق مذهب الحركة نزعته إلى التسامى ، وانبعث من أعماق حياته ومن عوارض حياته ، ولكنه وافقه فى الشعور المطبوع من غير باعث واحد فى حياته الخاصة والعامة ، لأنه هو الشعور الذى تمليه حوادث التاريخ بعد رقدة الجمود وطول العهد بالسلاسل والقيود .

واللغة الخاصة التى أشرنا إليها فى مطلع هذا المقال لازمة لهذا الشعور الخاص ، موافقة له فى تعبيرها عن « الشخصية » الفنية موافقتها له فى تعبيرها عن كل دعوة عامة فيها وجدان الشاعر ووجدان الأمة التى نشأ فيها .

فيندر فى هذا الديوان أن تقع على قالب من قوالب التعبير التى سميناها بالصيغ المحفوظة والأساليب المطروقة ، ويصح أن نسميها دائما بأنها فى البلاغة أنماط كأنماط التحية المتفق عليها حتى توشك أن تفقد معناها ، ويستمع إليها السامع وهو لا يصغى إلى كلماتها وحروفها .

وأراه على نقيض ذلك قد ترك الصيغ المحفوظة فى نظم القصيد ليستبدل بها الصيغ التى لا تزال تجرى مجراها على الألسنة فى طريق الحفظ والقالب المتفق عليه ، كأنه يعطى « اللغة الخاصة » حقها حين يجارى لغة الزمن فى أحدث حركاته ، ولغة اللسان العام فى أعم كلماته وعباراته .

فمن العبارات الشائعة التى تتردد فى الديوان قول الشاعر :

أى وضع ذلك الوضع الحقير
أنا مما أنا فيه مستجير
رب هب لى حق تقرير المصير

أو قوله في « النشيد » :

ودعيني أجتلي شخصيتي
أو أرى ذاتي على مرآة ذاتي

وهذه وأشباهها عبارات شائعة بين أبيات الديوان شيوعها على ألسنة المتحدثين أو على أقلام كتاب الصحف ، لاننس أنها في رأى النقاد من صيارفة الكلام أشبه بعبارات الكلم المنثور منها بعبارات القصيد ، وأقرب إلى المعاني المعقولة المحسوسة منها إلى المعاني الملهمة التي يتلقاها الوجدان عن الوجدان ويؤدى بها الخيال إلى الخيال . ولكننا — على اقرارنا لهذا النقد — نود أن نشفعه بعذره ونقرنه باستدراكه الذي لابد منه في موضعه فقد يحسن في كل لغة خاصة كهذه اللغة أن تفرق بين التعبير الشائع والتعبير المبتذل ، وأن تميز بين الكلمات التي تراد لمعانيها ومقاصدها وان كانت محسوسة ملموسة ولم تكن بالوجدانية ولا الخيالية ، وبين الكلمات التي تقال ولا تراد لمعنى من المعاني ، ولا تعدو أن تكون من تكرار الببغاء لما تسمعه من الأصوات والأصداء .

فالعبارات « المحسوسة » في ديوان أبي الوفا غير قليلة ، ولكن القليل فيه هو العبارات الببغاوية التي يقولها من لا يعيها ، ويسمعها من لايعني منها غير إشارة كإشارة اليد أوصيحة كصيحة النداء المجهول : أنماط كأنماط التحية المتفق عليها بمعزل عن عمل الرأى والقلب واللسان .

ولعلنا ننصف النقد الصادق وننصف الشاعر من هذا النقد إذا سألنا أصحاب الرأى الذى يأبى على الشاعر رخصة الكلم المشاع : أترون هذه الأبيات يلائمها تعبير أصلح لها من هذا التعبير ؟ أترونها أقرب إلى طبعها ومعدنها في كلمات الشاعر أو في كلمات تقترحونها لم تشع على الألسنة في الأحاديث ولم تتواتر على الأقلام في أنباء الصحافة ؟

من اختار لها كلماتها فى نظم الشاعر فقد أنصفه من النقد وأنصف النقد منه ، ومن اقترح لها غير كلماته فله أن ينتظر من التأييد والاستحسان وفاق حظه من الإصابة والتوفيق .

وسيبقى بين الفريقين مكان للفريق الذى يتلقى الديوان ويحمد لقياه ويضعه فى ميزان الفن الجميل فترجح به كفة الميزان .

عباس محمود العقاد

ديوان أعشاب

بقلم مصطفى صادق الرافعى

أبو الوفا شاعر ملء نفسه ما فى ذلك شك . مذهبه الجمال فى المعنى يبدعه كأنه يزهر به ، والجمال فى الصورة يخرجها من بيانه كما تخرج الغصون والأوراق من شجرها ، وله طبع وفيه رقة . وهو يجرى من البيان على عرق . وسليقته تجعله ألزم لعمود الشعر وأقرب إلى حقيقته ، حتى انه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربى بهم ، وهم قليل فى زماننا ، فان الشعر منحدر فى هذا العصر إلى العامية فى نسقه ومعانيه ، كما انحدر التمثيل ، وكما انحدرت أساليب الكتابة فى بعض الصحف والمجلات .

وللعامية وجوه كثيرة تتقلب فيها الحياة . ومرجعها إلى روح الإباحة الذى فشا بيننا ونشأ عليه النشء فى هذه المدنية التى تعمل فى الشرق غير عملها فى الغرب ، فهى هناك رخص وعزائم ، وهى هنا تسمّح وترخّص.

مصطفى صادق الرافعى ، «وحى القلم » ﺟ ٣ ص ٤٣٥ للشاعر المجيد محمود أبوالوفا ؛ وهذا المقال كان حديثا مع بعض الأصدقاء عن الديوان ونشر فى الرساله الغراء (وذلك عند صدور ديوان « أعشاب » سنه ١٩٣٢)

فى ظل ضعيف من العزيمة ، وإهمال البلاغة العربية الجميلة كما هى فى قوانينها ليس إلا مظهراً لتلك الروح تقابله المظاهر الأخرى ، من إهمال الخلق ، وسقوط الفضيلة ، وتخنث الرجولة ، وزيغ الأنوثة ، وفساد العقيدة ، واضطراب السياسة ، إلى مايجرى هذا المجرى مماهو فى بلاغة الحياة المبينة كالمرذول والمطرح والسفساف فى بلاغة الكلام الفصيح ، كل ذلك فى مواضعه : تحلل من القيود وإباحة وتسمح وترخص ، وكل ذلك عامية بعضها من بعض ، وكل ذلك لحن فى البلاغة والخلق والفضيلة والرجولة والأنوثة والعقيدة والسياسة .

والشعر اليوم أكثره (شعر النشر) فى الجرائد ، على طبيعة الجرائد لا على طبيعة الشعر ، وهذه إباحة صحافية عمرت الصحف ، وأخضعت أذواق كتابها لقوانين التجارة ، فإنهم لينشرون بعض القصائد كما تنشر « الإعلانات » لايكون الحكم فى هذه ولا هذه لبيان أو تمييز أو منفعة ، بل على قدر الثمن أو مافيه معنى الثمن .

ومن مادية هذا العصر وطغيان العامية عليه أننا نرى فى صدر بعض الجرائد أحيانا شعرا لايكون فى صناعة الشعر ولا طبقات النظم أضعف ولا أبرد منه ولا أدل على فساد الذوق الشعرى ، ولكنه على ذلك الأصل الذى أومأنا إليه يعد كلاما صالحا للنشر ، وإن لم يكن صالحاً للشعر .

وهكذا أصبحت العامية فى تمكنها تجعله من الغفلة حذقا تجاريا ، ومن السقوط علويا فلسفيا ، ومن الركاكة بلاغة صحفية . ومتى تغير معنى الحذق وداخلته الإباحة ووقع فيه التأويل ، واحيط بالتمويه والشبه فالريبة حينئذ أخت الثقة ، والعجز باب الاستطاعة ، والضعف معنى من التمكين ، وكل مالا يقوم فيه عذر صحيح كان هو بطبيعة التلفيق عذرَ نفسه .

وأكثر ماتنشر الصحف من الشعر هو فى رأيى صناعة احتطاب من الكلام . . . وقد بطل التعب إلا تعب التقشش والحمل ، فلم تعد هناك صناعة نفسية فى وشى الكلام ، ولا طبع موسيقى فى نظم اللغة ، ولا طريقة

فكرية فى سبك المعانى . وبهذه العامية الثقيلة أخذ الشعر يزول عن نهجه ، ويضل عن سبيله ، ووقع فيه التوعد السهل ، والاستكراه المحبوب وصرنا إلى ضرب حديث من الوحشة ، وهو الطرف المقابل للشعر الوحشى فى أيام الجاهلية . فمادام الكلام غريبا ، والنظم قلقا ، والمأتى بعيداً ، والمعنى مستهلكا ، والنسج لايستوى ، والطريقة لاتتشابه ، فذلك كله مسخ وتشويه فى الجملة وان اختلفت الأسباب فى التفصيل ، وإذا كان المسخ جاهليا بالغريب من الألفاظ والنافر من اللغات ، والوحشى من المعانى ، وكان عصريا بالركيك من الألفاظ ، والنازل من التعبير ، والهجين من الأساليب ، والسخيف من المعانى ، ثم بالسقط والخلط والاضطراب والتعقيد ، فهل بعض ذلك إلا من بعضه ؟ وهل هو فى الشعر الجميل إلا كسلخ الإنسان الذى مسخه الله فسلخه من معان كان بها إنسانا ، ليضعه فى معان يصير بها قردا أو خنزيرا ليس عليه إلا ظاهر الشبه ، ولبس معه إلا بقية الأصل ؟

فالقردية الشعرية والخنزيرية الشعرية متحققتان فى كثير من الشعر الذى ينشر بيننا ولكن أصحاب هذا الشعر لا يرونهما إلا كما لا فى تطور العلم والفن والفلسفة ، وأنت متى ذهبت تحتج لزيغ الشعر من قبل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتعتل لتصحيح فساده بالفن ، فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هذا الشعر قردى خنزيرى ، لم يستوف تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج فى صورته ، ومايكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ، ولكن من إحساس قارئه واهتزازه له وتأثره به .

* * *

والشاعر أبو الوفا جيد الطريقة ، حسن السبك ، يقول على فكر وقريحة ، ويرجع إلى طبع وسليقة ولكن نفسه قلقة فى موضعه الشعرى من الحياة . وفى رأيى أن الشاعر لا يتم بأدبه ومواهبه حتى يكون تمامه

بموضع نفسه الشعرى الذى تضعه الحياة فيه . والكلام يطول فى صفة هذا الموضع ، ولكنه فى الجملة كمنبت الزهرة ،لا تزكو زكاءها ولا تبلغ مبلغها إلا فى المكان الذى يصل عناصرها بعناصر الحياة وافية تامة ، فلا يقطعها عن شىء ولا يرد شيئاً عنها ، اذ هى بما فيه تركيبها وتهيئتها إنما تتم بموضعها ذاك لتهيئته وتركيبه ، فان كانت الزهرة على ما وصفنا والا فلا بد من مرض اللون ، وهرم العطر ، وهزال النظرة ، وسقم الجمال .

ولولا أن الحكمة وفت الأستاذ أبا الوفا قسطه من الألم ، ووهبته نفسا متألمة حصرتها فى أسباب ألمها حصرا لامفر منه ، لفقدت زهرته عنصر تلوينها ، ولخرج شعره نظما حائلا مضطربا منقطع الأسباب من الوحى ، غير أن جهة الألم فيه هى جهة السماء إليه ، ولو هو تكافأت جهاته المعنوية الأخرى ، وأعطت كل جهة حقها ، وتخلصت مما يلابسها ، لارتفع من مرتبة الألم إلى مرتبة الشعور بالغامض والمبهم ، ولكان عقلاً من العقول الكبيرة المولدة التى يحيا فيها كل شىء حياة شعرية ذات حس .

ولكن مادامت الحياة قد وزنت له بمقدار ، وطففت مع ذلك وبخست ، فقد كان يحسن به أن يقصر شعره على أبواب الزفرة والدمعة واللهفة ، لايعدوها ، ولايزاول من المعانى الأخرى ماضعفت أداته معه أن تتصرف أوانقطعت وسيلته إليه أن تبلغ .

ويظهر لى أن أبا الوفا يحذو على حذو اسماعيل باشا صبرى ، وهو شبيه به فى أنه لم تفتح له على الكون إلا نافذة واحدة ، غير أن صبرى أقبل على نافذته ونظرما وسعه النظر ، أما أبو الوفا فيحاول أن ينقب فى الحائط ليجعلها نافذتين .

أما انه ليس من الشعر أن تنزل الحيرة الفلسفية عن منزلتها بين اليقين والعقل ، أو المشهود والمحجب ، أو الواقع والسبب ، أوالرسم والمعنى ، فتنقلب حيرة معاشية تسم الأشكال والمعانى بسمتها المادية الترابية ، وتقع فى الشعر فتقتحم بين شعر القلب العاشق وشعر الفكر المتأمل شعر المعدة

الجائعة ، وتضع بين أشواق الكون شوقها هي إلى الطعام والشباب والمال .

على أنه كان الأمثل في التدبير ، والأقرب إلى طريقة النفس الشاعرة ، أن يصرف أبو الوفا هذا الشعر المادي الذي يتلذع به فيحوله فيجعله بابا من حكمة السحر الشعري بالدنيا وأهلها وحوادثها ، كما صرفه ابن الرومي من قبل فاخطأ في تحويله ، فجعله مرة بابا من المدح والنفاق ، ومرة بابا من الهجاء والإقذاع .

ولو بذل الشاعر أبو الوفا مجهوده في ذلك ، واتهم الدنيا ثم حاكمها ، ونص لها القانون ، وأجلس القاضي ، وافتتح المجلس ، ورفعها قضية وقضية ، ثم أخذها حكما حكما ، تارة نادرة بعد نادرة ، ومرة في حكمة إلى حكمة ، وآونة في سخرية مع سخرية ، إذن لاهتدى هذا المتألم الرقيق إلى الجانب الآخر من سر الموهبة التي في نفسه ، فأخرج مكنون هذه الناحية القوية منها ، فكان ولاريب شاعر وقته في الباب ، وإمام عصره في هذه الطريقة .

على أن في صفحات ديوانه أشياء قليلة تومىء إلى هذه الملكة ، ولكنها مبثوثة في تضاعيف شعره ، والوجه أن يكون وجهه في تضاعيفها ، وإنه ليأتي بأسمى الكلام وأبدعه ، حين يعمد إلى ذلك الأصل الذي نبهنا إليه ، فيصرف لهفة نفسه إلى بعض وجوهها الشعرية ، كقوله في « حلم العذارى » ، وهي من بدائعه ومحاسن شعره :

هاهما عيناك تغريـ ـني على شتى الظنون
فيهما بحر وموج وسهول وحزون
ووضوح وغموض واضطراب وسكون
ومعان بينات ومعان لا تبين
وتهاويل فنون من رشاد وجنون

وأشعات حيارى من منى أو من حنين

ليت شعرى أى سر خلف هاتيك الجفون

آه إن السر أنبا عنه ذان الطائران

حينما ما لا على غصنيهما يعتنقان

فهذه أبيات فى شعر الجمال كالمحراب ماؤه عابده .

مصطفى صادق الرافعى

أنفاس محترقة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا

أهدانا الأستاذ محمود أبو الوفا ديوانه « أنفاس محترقة » الذى طبع فى دار الهلال أخيراً . والأستاذ أبو الوفا فى غير حاجة إلى التعريف. وشعره فى غير حاجة إلى التعريف كذلك . وإنك إذ تقرأ هذا الشعر تلمس فيه حيوية قوية متوثبة ذات إرادة وأمل، ولكنها تصطدم فى كثير من الأحيان بصخرة الحياة فتتراجع الإرادة ويتحطم الأمل ، ولعل خير تعبير لهذا المعنى مابدأ به قصيدته « أريد »، وما اختتمها به حيث يقول :

أريد وما عسى تجدى أريد ... على من ليس يملك ما يريد

وهذا الروح الثائر الذى يبعث الأنفاس المحترقة هو ما ينتظم الديوان كله ، فالرجل يحب المرح بطبعه ويجد فى بأساء الحياة ما يصده عن المرح ، ويحب المجد يسمو إلى ذروته ثم تقف أوهام الحياة فى سبيل مجده ويحب الحرية فى أقصى حدودها البشرية ثم تصدمه كثافة ما فى الحياة من مادة هى شر غل للحرية . استمع إليه إذ يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى ... أن عاقبتنى على بعض ابتساماتِ

الدكتور محمد حسين هيكل بك ، افتتاحية جريدة « السياسة » فى ٢٠ أبريل ١٩٣٣

وإذ يقول :

فكوا عن الحر القيو د فحسبه الزمن المعاند
أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد

وغير ذلك من الأبيات مما فى هذا المعنى كثير . وكله جيد قوى رصين .

على أن ما يسمو إليه الأستاذ أبوالوفا فى الشعر الوجدانى هو الجدير حقا بعنوانه لهذا القسم من شعرى « أنفاس محترقة » استمع إليه حين يقول فى قصيدة « وجد » :

حرق قلبي وأصليه وقدا حسبه ما حباه حبك خلدا
أصليه ولا أقول صليه إن كل الديون سوف تؤدى
سوف يا هند تعامين من الصب
وأى العشاق قد كان أبدى

حرّقيه فأنت ان تحرقيه نشرته النسيم مسكا ونَدّا

ثم ينتقل من هذا الوجد المحترق إلى اللوعة وإلى الأمل المحطم على مثل النغمة التى سبقنا إليها فيقول :

صاح هات اسقنى فانى بدهرى
ضقت ذرعا وضاق بى الدهر أيدا
كلما اسطعت أن أحطم قيدا
منه صاغتْ لى التقاليد قيدا

وله قصيدة جعل عنوانا لها « عبث » ، كان خيرا لو جعله « قبلة » هى من العبث الوجدانى الطريف الظريف ، ولعله لم يختر العنوان الذى اخترنا حتى لا يتعارض مع قصيدته « القبلة الأولى » .

وسائر قصائد الديوان فيها من عيون الشعر ، ما يفخر به الشعر فى هذا

الظرف الذى نحن فيه ، وما يقف إلى جانب خير ما ظهر من الشعر فى هذا الزمن الأخير ، ولعل الأستاذ محمود أبو الوفا يكون فى المستقبل أكثر فيضا فى شعره . ولعله بهذا الروح القوى يُجدد لنا فى الشعر العربى ما ينهض به نهضة تجعله يؤدى من حاجات النفس والعاطفة ما لم يؤد الشعر فى الزمن الأخير . فالشعر فى حاجة إلى التجديد . وهو إذا أريد تجديده بحاجة إلى روح متوثب قوى ثائر يحطم التقاليد ويخرج على القيود . ويتنسم من ريح هذا الوطن أنفاسا جديدة تهديه إلى أوزان وإلى قوافٍ جديدة .

وروح الثورة فى شعر الأستاذ أبو الوفا ظاهرة واضحة تدعونا لأن نعلق هذا الأمل عليه وهو ما يزال فى عنفوان رجولته . وهو إذا استطاع أن ينشىء هذه المدرسة الجديدة فى الشعر ، وأن يفسح لرباته ميادينه ، وأن يفيض من خياله على معانى الحرية والأمل والألم والسمو كل ما تحتمل هذه المعانى السامية من قسوة ، فإنه يكون قد أهدى أدب هذا العصر فى مصر وفى العالم العربى كله أملا كبيرا ، وبث فيه روحا هى التى نلتمس أن تبعث فى الشعر من زمان بعيد .

ونختم هذه الكلمة الموجزة عن أنفاس أبى الوفاء المحترقة بهذه الأبيات من قصيدته « فى باريس » .

ما فى دموعك ؟ قلت قلب ذائب
ما فى ضلوعك؟ قلت : حب صادى
أحمائم الوادى وفيكن الهوى
هل من يبل صدى كنار الوادى
ليت التى قد بات يهتف باسمها
ويشيد قالت : ما اسم هذا الشادى؟
صُنت الوداد هنا وما ضيعته
أتراهمو صانوا هناك ودادى ؟
طولى ليالى الهجر لا تتقاصرى
لأرى الزمان عناده وعنادى

انى اطلبت المجد من عملى أنا
لا من يد الأقدار والأجداد
قسما بذات المجد إما نلتها
أو نلت فيها فخر الاستشهاد
يا عترة الضاد الكرام إلى العلا
هيا فانكم رجاء الضاد

باريس جئت بذات جسمى شاكيا
فصدرت أشكو منك ذات فؤادى
باريس والدنيا عبيد ميولهم
ماذا يفيد تحرر الأفراد
باريس والأرواح ليست حرة
ماذا يفيد تحرر الأجساد ؟

حرر طباع الناس من أدرانها
وهناك لست ترى من استبداد

د . محمد حسين هيكل

أنفاس محترقة

بقلم الدكتور طه حسين

يراه صديقنا فؤاد صروف وجماعة غيره من المثقفين شعرا ، وأنا آسف أشد الأسف لأنى لا أراه إلا نظما . وآسف أشد الأسف أيضا لأننى مضطر إلى أن أقول ذلك وأعلنه إلى قراء هذا الحديث . ولو أرسلت نفسى على سجيتها لآثرت أن لا أعرض لهذا الديوان . ولكن ماذا أصنع وللنقد علينا حقوقه وتكاليفه الثقال . وللقراء علينا أن نصدقهم حين نتحدث إليهم فيما ينشر عليهم من أنواع الكلام ، والله يعلم أنى أوثر الرفق على العنف ، واللين على الشدة ، ولكن الله يعلم أيضا أنى لا أتردد فى الشدة والعنف حين يدعو إليهما الحق ويقتضيهما الإنصاف . وإنى لأشعر بشىء من الحزن العميق حين ألاحظ أنا كنا منذ أعوام نقسو على حافظ وشوقى رحمهما الله ، نجادلهما فيما كانا يقولان أشد الجدال ، وتنازعهما فيه أشد النزاع ، لانكاد نسلم لهما بالإجادة ولا نعترف لهما بالإتقان .

ولم نكن فى ذلك مسرفين ولا مخطئين ، وإنما كنا نؤدى للمثل الفنى الأعلى حقه ، ولا نكتفى من شعرائنا بما كانوا يكتفون به ، ولا نرضى لهم

طه حسين ، حديث الأربعاء الجزء الثالث ص ١٨٦ — ١٩٤ . طبع دار المعارف بمصر .

أن يفسد عليهم أمرهم العجب ، ويحملهم الغرور على التقصير أو القصور .
كنا كذلك منذ أعوام ، أما الآن فقد أصبح الرضا يسيرا ، وأصبح كل كلام منظوم شعراً ، وكل كلام مرسل نثرا ، وكل شيء مطبوع فى مجلد أو سفر من الأسفار أدباً ، وأصبح الجدال فى ذلك أو الإنكار له إثماً من الآثام ، وذنباً من الذنوب العظام ، يوصف بالحسد حينا ، وبالمنافسة حينا آخر ، وبالقسوة والغلو حين يحسن به الظن ويصدق فيه الرأى وترتفع عند الأدباء عن مظان الريب والشكوك .

وكنا خليقين أن يكون تشددنا مع الشعراء والكتاب فى هذه الأيام أكثر منه فى الأعوام الماضية ، فالمفروض أننا نتقدم ولا نتأخر ، وأننا نرقى ولا نهبط ، وأن المثل الأعلى فى كل شيء يرقى ويعظم ويبعد بمقدار ما يعظم حظ الناس من الحضارة والرقى .

ولا بد من أن نلتمس العلة لهذا الضعف الذى أصاب الذوق الفنى حتى أفسده أو كاد يفسده إفساداً تاماً . وقد ذكرت فى غير هذا الفصل شيئاً من الأسباب التى دفعتنا إلى هذا الضعف ، وقلت إنا قد أهملنا النقد إهمالا ، وأعرضنا عنه إعراضا ، فنشأ جيل من الأدباء يكتبون وينظمون ولا يشعرون بمراقبة النقد ، فيخيل إليهم أنهم يجيدون ، ثم ينتهى الأمر بهم إلى شيء من الغرور البغيض .

ولكن هناك علة أخرى لهذا الضعف لم يبق من الممكن أن نهملها ، أو نعرض عنها ، لأنها شديدة الخطر حقا على الفن والذوق والخلق جميعا ، وهى حرص السياسة على استغلال الأدب والأدباء .

ومن الأشياء التى لا تقبل الشك ، وإن كنت أكره أشد الكره أن أعرض لها أو أطيل فيها ، أن هذا العهد السياسى الذى نعيش فيه قد أحس أن الأدب المعروف والأدباء المعروفين لا يميلون إليه ، ولا يرضون لأدبهم أن يكون له صورة ومرآة ، وأراد مع ذلك أن يكون له أدب وأدباء ، وأن يكون له شعر وشعراء ، فجد فى ذلك وأنفق جهدا غير قليل ، وإذا

ميول تظهر ، وأهواء تلتقى ، وأنباء تذاع فى الصحف ، وجماعات تؤلف ، وأندية تنظم ، ومحاضرات تلقى ، وأصوات كثيرة ترتفع وما كانت تسمع من قبل ، وإذا أدب جديد أو أدب يوصف بأنه جديد ، قد أخذ يدنو من الناس ويتقرب إليهم ، ويتملقهم بألوان من أسباب الملق ، فيبلغ من بعضهم ما يريد ويعجز عن أن يبلغ من أكثرهم شيئاً ، ولولا هذه الظاهرة لظل كثير من الناس الذين يسمون أنفسهم أدباء أو شعراء مشغولين بما كان يشغلهم قبل هذه المحنة السياسية - من فنون الجد والهزل ، وألوان الاضطراب فى كسب الحياة .

وأنا أعترف بأنى لا أعرف أبا الوفا ، ولست أذكر أرأيته قبل اليوم أم لم أره ، ولست أذكر أنى قرأت له شعرا قبل اليوم . ولعلى سمعت من نظمه البيت أو البيتين ، فلم أقف عندما سمعت ولم أفكر فيه . ثم ثارت منذ حين ثائرة عن شاعر مجدد يسمى أبا الوفا ، له أصدقاء يحبونه ويعطفون عليه ، وله قوم آخرون يكبرونه ويعجبون به ، وأخذت الصحف تنشر من أنباء أولئك وهؤلاء شيئاً كثيراً . كنت أسمع به وأقف عند بعضه حائراً حينا ومنكراً حيناً آخر . ثم يعظم الأمر ويتسع حتى يصل إلى رياسة مجلس الوزراء ، وإذا صدقى باشا يرقى إلى الأدب ، أو الأدب يهبط إلى صدقى باشا ، ثم نسمع أن أبا الوفا قد سافر إلى باريس ليلقى الأطباء فلا ننكر من ذلك شيئا ولكننا ننكر هذه القيمة المتكلفة التى ثارت حول هذه الرحلة للاستشفاء فى باريس .

ثم أدع هذا كله فيما كنت أدع من أمور الأدب الحديث والأدباء المحدثين ، حتى إذا عدت إلى التفكير فى هذا الأدب وفى هؤلاء الأدباء رأيت بين يدى دواوين كثيرة منها هذا الديوان الصغير الذى يسمى « بالأنفاس المحترقة » ، فأنكر العنوان ، ولا أسيغه ، ولا أفهم ما يراد به ، فأنفاس الناس كلها محترقة ، وأنفاس الحيوان كذلك ، فلو قد سمى الناظم ديوانه « الأنفاس » ليس غير لكان فى هذا الاسم ما يغنى ، ولعله أراد أن يقول الأنفاس المحرقة فأخطأ الوصف . على أنى

لم أطل الوقوف عند العنوان ، وإنما أخذت أنظر في الديوان ، فإذا مقدمة لصديقنا فؤاد صروف ، أعجبني أولها ، وأدهشني آخرها . أولها كلام في الشعر مستقيم ، وإن كان الخلاف في بعضه كثيراً شديداً متصلا ، وإن كان مذهب الأستاذ صروف فيه محتاجا إلى كثير من التحقيق والتدقيق ، فليس من الحق فيما أظن أن تحكيم العقل في الشعر يفسده ، ولعل جماعة من كبراء الشعراء الفرنسيين وغير الفرنسيين لا يقبلون الشعر إلا إذا سيطر عليه العقل وأخضعه لسلطانه المنظم ومنطقه المستقيم . وليس من الحق فيما أظن أن إرسال النفس على سجيتها يصلح أمر الشعر الحديث في الأمم المتحضرة التي لا ترى الشعر ضرورة من ضرورات الحياة العادية ، وإنما تراه لونا من ألوان الترف العقلي والشعوري .

ولكن الغريب من أمر صديقنا صروف أنه ينتهي من مقدمته إلى هذه النتيجة ، وهي أن صاحب الديوان شاعر من غير شك ، وأن شعره خليق بالإذاعة والبقاء . وأنا آسف أشد الأسف لا لأني لا أرى رأي الأستاذ ولا أقره عليه ، بل لأني أعتب على الأستاذ أن يقضي في أمر الشعر والأدب كما يقضي في أمر الطبيعة والرياضة والكيمياء .

ولست أتردد مهما أكن قاسيا عند الكثير من القراء في أن أعلن أن صاحب الديوان لا يستطيع أن يرقى بديوانه هذا إلى منزلة الشعراء ولا أن يجلس معهم على مائدة «أبولون» ، فالأمد بينه وبين ذلك بعيد إلى أقصى غايات البعد . والأدباء أحرار في أن يرفعوا صاحب هذا الديوان إلى حيث يريدون من منازل الشعر ، يتأثرون في ذلك بما يريدون ، فهذا لن يغير من الحقيقة الواقعة شيئا ، وهو أن هذا الديوان يخلو من الشعر خلواً تاما .

بل أنا أذهب إلى أبعد من ذلك ، ولا أكره هذه القسوة ، وسيكرهها كثير من القراء ، فأزعم أن هذا الديوان على خلوه من الشعر ، لا يخلو من سوء النظم وفساده واضطرابه الذي لا يطاق ، ولولا أن الظروف السياسية التي أشرت إليها قد حملت جماعة من الناس على أن يشيدوا بأمر

صاحب الديوان ويسرفوا فى ذلك إسرافا شديدا لما استطاع كلام كهذا الكلام أن يوصف بالشعر ، أو أن يرقى إلى مرتبة الكلام الذى يوصف بجودة النظم واستقامة الوزن وحسن الانسجام . فأنت تستطيع أن تقرأ الديوان من أوله إلى آخره دون أن تظفر فيه ببيت واحد ، فضلا عن مقطوعة ، فضلا عن قصيدة ، يثير فى نفسك هذا الرضا الذى يثيره الشعر العالى ، أو يبعث فى نفسك هذه اللذة التى يبعثها الفن الجميل . إنما هى معان بعضها مبتذل أشد الابتذال ، وبعضها مألوف لا جمال فيه ، وبعضها مأخوذ من الشعراء المتقدمين والمعاصرين أخذا بريئاً من الإحتياط ، وبعضها فيه استهتار وتكلف للمجون الذى لا يلائم الذوق الأدبى الممتاز فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

يريد الشاعر أن يكون حائراً، لأن من الشعراء من تملك الحيرة أمره ، فيتكلف فى الحيرة كلاما لا يغنى ولا يدل على شىء ، فانظر إليه كيف يقول فى هذه القصيدة :

والليل كم فيه سر يدمى فؤاد الصريح
كأنما الليـــل قس يغرى بسود المسوح
واها وواها لقلبى واها له من جريح
لم يدر سهما رماه أتاه من أى ريح

ولست أدرى أنا كيف يكون تخريج هذا البيت عند النحويين ، كما أنى لست أدرى أين الشعر فى السهم الذى يأتى من أى ريح ؟

يا طير من أى دوح أنا وفى أى دوح

ولاحظ الدوح بفتح الدال والدوح بضمها فى بيت واحد لا لشىء إلا لتستقيم القافية .

الأرض لم يبق فيها من موطن للصريح
من لم يغن لموسى غنى لعيسى المسيح

وهذا المعنى كما يعرف الناس جميعا علائى ، قد كثرت نسبته إلى صاحبه «أبو العلاء» حتى تحدثت به العامة على قلة عنايتها بالأدب والأدباء .

يا روح من أين جئت من حيثما جئت روحى

وقف من هذا البيت فسترى فيه فساد النظم صارخا حقا ، فلابد من أن تمد كسرة التاء فى « جئت » حتى تجعلها ياء ليستقيم وزن الشطر الأول . ثم انظر إلى ابتذال اللفظ وسخفه وانحرافه عن الصواب فى قوله « من حيثما جئت روحى » ، هذا هو الكلام الفارغ حقا .

سر الحيـاة أليم بوحى به واستريحى

ولكن روحه لم تبح بهذا السر الأليم لتستريح . فإن كان هذا السر هو ما تحدث به الناظم فى قصيدته كلها فهو سر معروف ، قد اؤتمن عليه أكثر من اثنين .

وأراد الناظم أن يتحدث عن الإيمان فلم يقل شيئاً . فانظر إلى هذه القصيدة أو المنظومة التى يعجب بها الأستاذ فؤاد صروف ، والظريف أن الناظم أراد أن يكون كالأستاذ العقاد ، وما الذى يمنعه من ذلك ؟ فقدم بين يدى منظومته تلخيصا للفكرة التى نظمها يحسبه واضحا وهو غامض أشد الغموض ، فهو لايرى أن الإيمان نقيض الكفر ، وإنما يرى أن الإيمان مرادف للحياة ، فكل حى مؤمن سواء أكان كافراً أم مؤمناً . وعلى ذلك فآدم لم يقترف خطيئة ولا إثما حين عصى الله وأكل من الشجرة ، وإنما رغب فى الحياة الحرة المستقلة .

فإذا كنت قد فهمت من هذا شيئا فأنت رجل عظيم الحظ من الذكاء حقا . أما أنا فلا أفهم من هذا الكلام إلا أنه ضرب من اللغو ، يريد صاحبه أن يزعم لنفسه فنا من فنون الفلسفة ، فيه خروج على ما ألف الناس من أحكام الدين ، وأعوذ بالله من أن أدخل فيما بين الرجل وبين ربه ، فأنا لا أبيح ذلك لأحد ، وإنما ألاحظ أن حب الامتياز قد يدفع الناس إلى

سخف كبير . وانظر إلى المنظومة نفسها ، فهى آية من آيات الفلسفة التى لا تمتاز بشىء كما تمتاز بالفراغ والقدرة على إحراج الصدور .

قوة لم تتح لقلب جبان تلك فى المرء قوة الإيمان
تتجلى فى جميع قوى الكو ن شيوع الأرواح فى الأبدان
لكأنى أرى الحياة وإيا ها سميين ، أو هما توأمان
أول المؤمنين بالله حقا هو، فى الأرض، كان أول بان
يا ضياء الحياة بوركت فيها بل تباركت يا يد العمران

إلى أن يقول :

ليت شعرى ماذا أراد بنا الخا لق إلا سيادة الأكوان
رب فيم ابتعثت رسلا ولو شئ ت لأغنت إرادة الإنسان
افصح الحسن مسهلا فما حا جة هذا الجمال للترجمان
لا أرى آدما عصى الله لكن شاء أن يستقل بالسلطان
يكره الحر أن يعيش على السج ن ولو كان سجنه فى الجنان

أرأيت . . أراد آدم أن يكون مستقلا بالسلطان لا يخضع لأمر الله ، ولا يذعن لإرادته ، وهو حين أراد ذلك لم يعص الله ولم يخرج عن أمره ، وإنما أراد أن يكون له شريكا وندا ليس غير . وأكبر الظن أن الناظم قد اختلط عليه آدم وإبليس ، أو أنه لم يختلط عليه شىء ، وإنما عقد الأمور على نفسه تعقيدا ، وزج بنفسه فى مشكلات لم تخلق لها ولم تخلق له.

وتستطيع أن تقرأ « ضحية العيد » ، وأن تقرأ حديث الناظم إلى فيكتور هوجو . فليس المهم أن يفهم فيكتور هوجو ، أو أن يفهمه هذا الشاعر الفرنسى ، وإنما المهم أن لفيكتور هوجو كتابا يقال له « البؤساء» ، وأن بعض هذا الكتاب قد ترجم إلى العربية ، وعرف صاحبنا أنه ترجم ، وصاحبنا بائس ، فهو يتحدث إلى صاحب البؤساء ، وهو يتحدث

إليه حديثاً لا يستطيع أن يرق إليه ، لأنه خال من الشعر كل الخلو . والغريب الذى لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أعود نفسى على أن تطمئن إليه أن بين المثقفين قوما يقرأون هذا الكلام ويذيعونه فى الناس على أنه شعر ، ويشجعون الشباب على أن يذهبوا مذهب صاحبه ويتأثروا خطواته فيما ينظمون .

ولست أريد أن أطيل عليك بالتحليل والتعليق ولا بالنقد والملاحظة ، فكل الديوان يشبه هذا الكلام ، أو هو أقل منه حظا من الجودة ، ولكن لا بد من أن أقف بك عند أشياء لا ينبغى أن تمر دون أن تعرض عليك .

فانظر إلى قصيدته — أستغفر الله — إلى منظومته التى سماها « مجمع الأصفياء » ، ولست أريد أن أفسرها ، فهى تفسر نفسها ، ولا أن أنقدها فهى تنقد نفسها ، وإنما أرويها لك لتضحك ليس غير :

هذا هو المجلس لا تذكروا ... شبيهه فى الصفو لا تذكروا
رأيت فيه كيف أضحت لنا ... حقيقــة مرئية عبقــر
كان زكى باشا إلى جنبه ... زعيم سوريا الحر شهبندر
وكان هراوى الرقيق الدقيق ... واللغوى صادق عنبر
ويوسف الآثار عنوانها ... الألمعى العالم الأكبر
والعالم الدكتور عيسى الذى ... ينم عنه المعجم المثمر
والعلم المفرد فى عصره ... خطاط مصر السيد الأشهر

* * *

عباقر الفصحى وأحلامها ... والأعين اللاتى بها تبصر
انتظم الصفو بهم معشرا ... من خير ما ازدان به معشر
فى مجلس يجرى به صفوه ... كما جرى فى الجنة الكوثر
يتابع الضحك به بعضه ... كالموج ذى تطوى وذى تنشر

فنكتة فى ضحكة تختفى وضحكة فى نكتة تظهر
يرسلها صاحبها لفظة كأنها من فمه السكر
يامن رأى من قصفنا وصفه فظننا كنا به نسكر
لا تأثمن فى عصبة عمرها لم يستخف حلمها مسكر
والله فى ليلتهم ما احتسوا إثما ولا طاف بهم منكر
نوع من اللهو البرىء الذى يروى عن الأملاك أو يؤثر
يمر ذكر منه فى خاطر فأنثنى فى حلم أخطر
وينثنى للجو مثل الشذى لهذه الذكرى التى أذكر
يا دار كيلانى ، التى أشرقت وضوأت من أوجها الأقمر
لله هذا الضوء من مظهر لولاك ما كان له مظهر

أرأيت إلى هذا النظم البديع ، وأيهما أقرب إلى الإجادة : هذا الكلام أم منظومات النحو والفقه والعروض ؟

وانظر إلى منظومة أخرى سماها « القبلة » ، ولست أريد أن أرويها لك ، فأنا أرقى بهذا الحديث عن رواية هذا الكلام الذى هو من مجون الشوارع أدنى منه إلى الأدب الرفيع . وماذا يعنى الناس من أن الناظم يحسن التقبيل ، ومن انه يمنح القبل الطوال والقصار والقبل الصامتة وذات الصوت ، وأين الروحيسة التى يتلمسها الأستاذ فؤاد صروف فى هذا المجون ؟

اما الألفاظ النحوية والصرفية والأغلاط التى تتصل بالوزن وإقامة النظم فأكثر من أن تحصى . وأنا أعطيك منها أو من بعضها أمثلة تدل على سائرها ، لأنى لا أحب أن يضيع وقتك ووقتى فى مثل هذا الإحصاء ، فانظر إلى قوله :

هذى جوانح صب فى حبكم مستهام
نسجتها مروحـــة لمـا يراها الغـرام

وأظنك توافقني على أن الشطر الأول من البيت الثاني يخالف سائر البيتين في الوزن ، وانظر إلى قوله :

هيئي لي جوا إذا ما طلعت   لم أجد في سمائه إلاك

ودع هذا الذوق الذي يبيح له أن يطلب إلى صاحبته أن تهيء له جو الحب ، وقف عند هذه الضمة التي يجب أن تمتد حتى تصير واوا ليستقيم الشطر الأول من هذا البيت .

وانظر إلى قوله :

أنا منك وأنت مني روحا   فالىّ .. إلىّ .. روحي فداك

فلا بد من أن تمتد كسرة الكاف في « منك » حتى تصبح ياء ليستقيم وزن الشطر الأول ، ولا بد من أن تمتد فتحة الياء من « إلى » الأولى ليستقيم وزن الشطر الثاني .

والغريب أن الناظم قد تعلم النحو والعروض في الأزهر .

أما الأغلاط النحوية فانظر إلى منظومته التي يشكر بها إخوانه ، وإلى هذه الأبيات الثلاثة التي تبتدئ بهذه الجملة « كي أرى الناس » ، يريد كي أرى الناس بفتحة على الياء ، لأن الفعل ينصب بعد « كي » فيما أظن .

وللناظم ذوق فني لا نظير له بين الأذواق ، يكفي أن تجده وتعجب به في هذا البيت :

إذا تحدث سال الظرف من فمه   وإن يحدث تراه مطرق الرأس

ومن الناس من يتحدثون فيسيل الظرف من أفواههم ، ومن يتحدثون فيسيل اللعاب من أفواههم ، وقوم آخرون يتحدثون فيسيل الشهد من أفواههم ، وكل هذا شعر في هذه الأيام .

وانظر إلى هذا البيت الظريف :

لغة البلابل اين تذ هب بين هدهدة الهداهد

فإذا لم تعجبك هذه الهاءات والدالات فالتمس لنفسك ذوقا حيث شئت

أراني قد أطلت وأسرفت فى الإطالة ، ولكنى لا آسف على ذلك ، فقد يجب أن يعنى الأدباء بأدبهم أكثر من هذه العناية التى أظهروها إلى الآن ، وقد يجب أن يغلق الأدباء أبواب الشعر ويقطعوا أسبابه على الذين لا ينبغى لهم أن يلجوا فى هذه الأبواب ويتصلوا بهذه الأسباب. فقد يقال إن مصر تدعي لنفسها زعامة الأدب العربى فى الشرق . وهذا الادعاء يفرض على مصر واجبات ، أولها أن تكون حذرة دقيقة متحرجة ، ترتفع بالأدب وبالشعر خاصة عن الإسفاف والابتذال ، وإلا فهى ضحكة الشرق العربى كله .

وبعد فللناظم ديوان آخر تفضل بإهدائه إلى ، وهو « الأعشاب » ، ولم أقرأ هذا الديوان بعد ، وسأقرأه إن شاء الله ، ولكنى لن أتحدث عنه إلا إذا وجدت فيه ما يستحق الثناء .

د . طه حسين

التيار الوجدانى

بقلم الدكتور محمد مندور

لم يكن التيار التقليدى منعزلا تماما عن التيار الوجدانى الجديد الذى طالب بأن يصدر الشاعر عن نفسه وأن يستمد شعره من حياته لا من ذاكرته وهو تيار هب ريحه من الغرب أول الأمر، ثم لم يلبث أن استقر فى عالمنا العربى . وقد عززته حركة الترجمة من الآداب الأجنبية فلم يعد تأثيره قاصرا على من يجيدون إحدى اللغات الأجنبية ، بل امتد تأثيره إلى معظم أدبائنا وشعرائنا ، على تفاوت فى النسب وفى القدرة على التمثل والتذوق .

والواقع أن التأثر بالآداب الأجنبية قد تم فى عدة مستويات . فالأدب كما هو معلوم وثيق الاتصال باللغة التى يكتب بها ، وهو يستمد الكثير من خصائصه الجمالية والتصويرية من لغته الأصلية ، والمعرفة السطحية بلغة أجنبية قد تكون لتحصيل علم أو ثقافة ، ولكنها قلما تكفى لتذوق أدب والإحساس به ، ولذلك لا ندهش عندما نرى بعض كبار شعرائنا وأدبائنا يدرسون لغات أجنبية كشوقى والجارم مثلا ثم لا نحس فى شعرهم تأثرا واضحا بالأدب الغربى واتجاهاته الجمالية الحديثة ، وذلك بينما نرى على العكس من ذلك شعراء لم يمنعهم حظهم القليل من معرفة بعض اللغات الأجنبية من أن يتشربوا خلال الترجمات روح الآداب الأجنبية وأن يطعموا بتلك الروح

د . محمد مندور (١٩٥٨) محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى ، الحلقة الثالثة .

شعرهم الوجداني الجديد على نحو ما لاحظنا عند حديثنا عن شعراء أمثال أبو القاسم الشابي وعلى محمود طه .

على أن هذا التفاوت بين درجات تأثر شعراء الوجدان بالآداب الغربية لايمكن أن يقدح في صحة حقيقة عامة هي أنه لم يستطع أن يتحرر من الذاكرة العربية ومن الدروب التقليدية إلا الشعراء الذين تمثلوا تمثلا حقيقيا روح الآداب الغربية من خلال النصوص الأصلية أو من خلال الترجمات ، وعلى مدى قدرتهم على التمثل توقف لحاقهم بموكب التجديد الشعرى أو وقوفهم على الأعراف يطلون من ناحية على الشعر الوجداني الجديد .

وباستطاعتنا أن نعثر في حقل شعرنا المصرى المعاصر على طائفة من هؤلاء الشعراء الذين نسميهم شعراء الأعراف ، من أمثال محمود أبو الوفا ، محمد عبد الغني حسن ، ثم محمود حسن إسماعيل . أما محمود أبو الوفا فقد نشر الدكتور طه حسين عن ديوانه « أنفاس محترقة » مقالا تحت عنوان « في النظم » ضمنه كتابه الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » وأنكر فيه على محمود أبو الوفا صلته بالشعر ، وحكم على ديوانه كله بأنه نظم ، بل ونظم سقيم ، ولا شيء غير ذلك . ونعى على الأستاذ فؤاد صروف تقديمه هذا الديوان كلون من ألوان الشعر . ولكننا عندما نطالع مقال الدكتور طه حسين لا نلبث أن نحس فيه بهوى العاطفة السياسية ، لأن محمود أبو الوفا كان قد اتصل عندئذ فيما يبدو برئيس الوزارة المستبد الظالم اسماعيل صدقى ، الذى سهل له مهمة السفر إلى الخارج ليحصل على ساق صناعية ، وهللت الصحف أو بعضها عندئذ بهذا الصنيع وظنته مكرمة لذلك الحاكم المستبد .

وأنكر الدكتور طه حسين الذى كان يعارض صدقى باشا وحكمه هذا التهليل ، وامتد سخطه إلى الشاعر وشعره كله . ولذلك يتحتم أن نعيد النظر فيما أبدى الدكتور طه حسين من رأى ، وأن نخلص نظرتنا من الغضب السياسي ، لنرى أن محمود أبو الوفا وإن لم يملك الطاقة الشعرية القوية فانه لم يحرم من روح الشعر وصفاته ويسره بل اننا لنعثر في شعره أحيانا على

أبيات لو قطعت كما يقطع شعر اليوم لبرزت معانيها واكتسبت جدة فى النغم مثل قوله :

في مزهري ألحان أخشى أغنيها
أخشى على الأوتار من هول مافيها

فانه لو قطع كما يقطع شعر اليوم لبرز رونقه على النحو التالى :

في مزهري ألحان
أخشى أغنيها
أخشى على الأوتار
من هول ما فيها .

وإن كنا لا يمكن أن نخطىء ما نحس به فى شعر محمود أبو الوفا أحيانا من ضعف فى القدرة على الانفعال القوى ومن تسطيح فى العبارة يدنو بها أحيانا كثيرة من النثرية .

د . محمد مندور

حاشية على حديث مى المستطرد

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

من أكبر آفاتى الارتجال والسرعة ، فأرتجل كل ما أكتب ، وقل أن أعيد النظر فيه ، مكتفيا بقراءة واحدة عجلى . وأما السرعة فقد علمتنى إياها صناعة الصحافة قبل أن تلفظنى دواليبها ، فبت فى سباق متصل بين الذهن والقلم ، فلا الذهن يمهل القلم حتى يدون بنات أفكاره ، ولا القلم يتريث حتى تتوالد فى الذهن أبكار البنات .

ولهذا تقع فى كتاباتى ثغرات أتداركها بالذيول والحواشى ، أو أرجئها إلى مناسبة أخرى أرتجل فيها من جديد حديثا مطرد السرعة كثير الثغرات .

والحديث المستطرد عن مى الذى اندرج فى « أديب » سبتمبر ١٩٧٤ فاتتنى فى سرده واقعتان أعود إلى تدوينهما لمن شاء أن يتوسع فيهما من دارسى حياة مى أو متتبعى تاريخ الأدب فى هذا العصر .

أما الواقعة الأولى فهى أنه لدى عودة مى إلى مصر بعد غربة العصفورية المذلة رغب جمع من أصفيائها فى رفع قرار الحجر الذى كان

الأديب : عدد نوفمبر ١٩٧٤ ص ٤٨ .

ذووها قد فرضوه عليها ليحولوا بينها وبين التصرف فى أموالها بدعوى نقص فى المدارك مع تمام الحرص على مشاعر مى التى تتأذى من كل ما يذكرها بمحنتها فى العصفورية .

وكان من ألمع شباب مصر المشتغلين بالمحاماة مصطفى مرعى ، تلميذ شيخ المحامين الأول إبراهيم الهلباوى ، وزميل الفقهاء الأمجاد الذين استضاءت بهم حياة الفقه فى مصر . فهو إلى تضلعه فى القانون واسع الثقافات فى آداب الغرب ، يجيد لغات الفرنجة إجادة تمكن ، ثم إنه داعية من أكبر دعاة الحرية فى مصر ، تلك الدعوة التى فرضت عليه سنوات طويلة من الهجرة والعزلة والانكباب على التبحر فى فقه الحريات .

وقصد أصفياء مى هذا المحامى المرموق وفاتحوه فى رفع دعوى ابطال الحجر ، فقبل هذه القضية على الفور ، وطلب أن يهيأ له لقاء مع مى . فأبدى الأصفياء خشيتهم من أن ترفض مى الاجتماع به إذا ما عرفت أنه راغب فى أن يحدثها عن محنتها ، وأشاروا عليه أن يخفى عنها صفة المحامى ، وأن يزورها مع زوجته بوصفهما من المعجبين بأدبها وعلمها وبيانها ، وأن لا يتطرقا فى أثناء الحديث لا إلى موضوع الدعوى التى يراد رفعها ولا إلى المحنة التى اجتازتها مى بشجاعة القلب .

وتمت الزيارة ، واطمأنت مى إلى هذين الصديقين الجديدين ، مصطفى مرعى وزوجته ، وفتحت لهما قلبها ، ودعتهما لتكرار الزيارة .

وسارع مصطفى مرعى إلى رفع دعوى ابطال الحجر ، وترافع فيها أمام القضاء من الجوانب القانونية والفقهية ، ثم أخرج من حافظته ما نشرته الصحف تعليقا على المحاضرة الختامية التى ألقتها مى وعنوانها « مى فى خطر » وكلها تشيد بعبقرية هذه الأديبة الكاملة العقل ، ثم ناشد القضاة أن يردوا الكرامة إلى أميرة عظيمة من أميرات الأقلام وقعت فى حبائل المستغلين ، واستعانوا بالحجر على استباحة أموالها .

فأصدر القضاة حكمهم برفع الحجر عن مى فورا ، وإقامتها متصرفة على أموالها ، ورد اعتبارها فى أعين الجماعة ، ذلك لأن الحكم أقر أمرين ،

أولها أن « مى » كاملة العقل راجحة التفكير راشدة رشادا لا تشوبه شائبة ، وثانيهما أن أموال مى حق مطلق لها تتصرف فيها على هواها دون الرجوع إلى أحد .

ولما صدر هذا الحكم ونقل فحواه إلى مى بادرت بكتابة رسالة شكر وتقدير بخطها الفارسى الجميل إلى المحامى الألمعى الشامخ مصطفى مرعى مازالت محفوظة ضمن ضنائنه الأثيرة .

ولمصطفى مرعى زميل وفى شاركه التتلمذ على شيخ امراء منابر المحاماة إبراهيم الهلباوى هو المشترع الكبير الفقيه المتمكن الأستاذ عبدالحليم الجندى ، الذى خلف مرعى فى رياسة إدارة قضايا الحكومة المصرية ، فكان كلاهما قمة فى العلم والسراوة والخلق والأستاذية .

ولعبد الحليم الجندى كتاب فى جزءين أصدره من سنوات طويلة عن أئمة المحاماة فى عصرهم : إبراهيم الهلباوى ، ومارشال هول ، وهنرى روبير . وينهض الجندى الآن باعداد طبعة جديدة من هذا الكتاب ، يضيف إليه فصلا عن مصطفى مرعى ، ويروى فيه دفاعه الفقهى الإنسانى عن مى ، ويدرج فيه صورة زنكغرافية لرسالة مى إلى محاميها الذى رد إليها كرامتها الضائعة ، وأنقذ سمعتها التى خاضت فيها الشائعات وأقلام المترثرين من « دجاجلة » الصحافة .

ويقول عبد الحليم الجندى إنه مازال يستعيد بإعجاب عظيم ذلك الفصل الفريد الذى كتبته مى فى « الأهرام » عند وفاة سعد زغلول باشا بعنوان « هجع جبار الوادى » فكان أدبا صادقا أزرى بكثير مما قيل فى فجيعة سعد فى صحف تلك الأيام .

أما الواقعة الثانية فقد سمعتها من أكثر من مصدر واحد ، وهى خليقة بالتسجيل ما دامت للحق ألسنة ناطقة صارخة .

فعندما صدرت الطبعة الأولى من ديوان « أنفاس محترقة» للشاعر محمود أبى الوفا بمقدمة للدكتور فؤاد صروف طلع الدكتور طه حسين على قرائه فى جريدة « الوادى » بمقال نقدى عاتب فيه « صروف » لاهتمامه

بتقديم هذا « النظم » إلى القراء ، وقال عن شعر الشاعر إنه خلو من الشاعرية وإنه مجرد « نظم » . ثم فتح صدر جريدة « الوادى » لنقاد ذلك العصر ، فنشروا فيها سلسلة من المقالات عن هذا الديوان الجديد ، اتسمت بالغلو فى النقد والتجريح ، وعندما جمع طه حسين مقالاته المتناثرة أضاف إليها مقالته فى « الأنفاس المحترقة » وسجلها جميعا فى كتابه المتعدد الأجزاء « أحاديث الأربعاء » .

ولما قرأت مى مقالة طه حسين هاتفته هو وفؤاد صروف ودعتهما لزيارتها فى منزلها فى موعد حددته لهما . وفى يوم الوعد جاء طه حسين أولا ، فاستصحبته مى إلى شرفة المنزل ريثما يجىء فؤاد صروف . وكان طه حسين يعانى ضيقا بسبب فصله من الجامعة ، فلم يكد يجلس فى مقعد حتى انقبضت عضلات وجهه ، وأخذ يتأفف ويعيد التأفف فى نقمة على أولئك الذين أبعدوه عن كلية الآداب .

ولما تكررت أصوات التأفف والزمجرة أرادت مى أن تسرى عنه ، فرددت فى مسامعه قول الشاعر (١) :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى ... أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

فوجم طه حسين ، ثم سألها : ماذا قلت ؟

فأعادت رواية البيت .

فقال طه حسين : لمن هذا الشعر ، فلم يعرض لى من قبل ؟

فأجابت مى : لواحد من الشعراء ، والشعراء كثيرون نحفظ شعرهم وننسى أسماءهم .

فألح طه حسين فى معرفة قائل هذا الشعر الجميل الذى ارتاحت له نفسه .

فقالت مى : إنه لمحمود أبى الوفا .

---

(١) وقد روى الأستاذ اسعد حسنى هذه الرواية وكان من شهودها إذ كان سكرتيرا للآنسة مى ، وشهد هذا الحوار بينها وبين طه حسين : وأكد هذه الواقعة بعد فترة طويلة من الوقت فى حديث دار بينه وبين الشاعر محمود أبو الوفا :

واربد وجه طه حسين حين سمع اسم الشاعر الذى قسا عليه قسوة شديدة فى « حديث الأربعاء » .

وحدث نفسه قائلا : ماذا يقول الناس لو نقلت إليهم هذه الواقعة ، وهم الذين قرأوا أحكامى الجائرة على هذا الشاعر ، فى حين أن بعض شعره لم أسمع به من قبل ؟

وطلب من مى أن تكتم هذا عن الناس ، ولا سيما عن الشاعر نفسه .

ولكن ميا قالت : بشرط أن لا أكتمه عن فؤاد صروف الذى كتب مقدمة الديوان وناله ما ناله من نقدك .

وفى هذه اللحظة دق جرس الباب ، وكان صروف هو الطارق ، وانضم إلى مجلس الشرفة .

وأخذت مى تروى له ماوقع ، مستأذنة فى ذلك طه حسين .

وأذكر أننى فى احدى زياراتى للدكتور طه حسين سألته عن أحاديث الأربعاء ، وقلت له أنت فى تلك الأحاديث أصدرت أحكاما نهائية عن شعراء الطليعة : ايليا أبى ماضى ، وإبراهيم ناجى ، وفوزى المعلوف ، ومحمود أبى الوفا وعلى محمود طه ، وسواهم : فهل غيرت الأيام من رأيك فى هؤلاء الشعراء ؟

فأجابنى طه حسين بنغمة الواثق : لم أغير شيئا من آرائى .

ولم أشأ أن أناقشه ما دام لم يدع للمناقشة فرجة .

وديع فلسطين

تقديم ديوان

أنفاس محترقة

بقلم الدكتور فؤاد صروف

رئيس تحرير « المقتطف »

إذا طغى الاستبداد على الحرية ، وتغلبت المادة على الروح ، وضؤل نور الأمل الفياض حتى كاد يخبو واستبدت القوة الغاشمة بالحق فوارته إلى حين ، عجزنا عن بلوغ الطمأنينة النفسية إلا فى خمائل الروح الخالدة ، ذلك أن الإنسان كائن روحى مهما يعارض فى ذلك السلوكيون ، نزاع إلى ما يمكنه من التغلب على نواحى الحياة المادية وإخضاعها لمطالب الروح العليا . فنلتفت عندئذ بداهة إلى الشعراء والفلاسفة الذين نسمع فى انشادهم ألحان النزاع النفسى العنيف فأهازيج النصر فأنغام الاستقرار فى ساح الحرية والمحبة والأمل والحق .

والشاعر فى نظرى هو من تأخذ الحياة بتلابيبه ، وتدفعه إلى الإنشاد قسرا ، ففى طبيعته الدقيقة الحس تلتقى الأفكار والأخيلة والأحاسيس وتختلط وتندمج ، ثم تخرج صورا جديدة لا أثر فيها لاعنات الفكر ولا لكد الخيال ولا لتكلف الشعور .

ومن هنا أرى أن سماحة القريحة فى الشعر (Spontaneity) هى فى طليعة

هذا التقديم كتبه الدكتور فؤاد صروف لديوان « أنفاس محترقة » فى طبعته الأولى التى صدرت سنة ١٩٣٢

ما يمتاز به الشعر العالى — وحسبي أن أقول وكفى فالشاعر إذ تتملكه صورة ما ، لا يبرح يقلب فيها النظر حتى تنبثق من عقله الباطن آراء درسها ومثلها بالتأمل الطويل ، يوشيها بذهب خياله الوهاج ، ويطهرها بنار شعوره ، فتخرج فى الكلام الذى يمنحها قواما خارجيا صورة لست تجد فيها الفكر الذى نسج آراءها ولا الخيال الذى وشى حواشيها ولا الشعور الذى نفخ فيها رعشة الحياة ، بل تجد شاعرية شاعر اجتمع فيها التفكير عميقا صافيا ، والخيال جريئا وثابا ، والشعور متأججا صادقا ، فى ألفاظ كأنها فى معانيها ومبانيها وجرسها ومواقعها آيات التنزيل . هذه هى وحدة الاندماج فى الشعر العالى بين أقاليمه المتباينة .

ونحن إذا رجعنا إلى تاريخ الأدب فى أمة من الأمم وجدنا عصور الانحطاط فى الإنتاج الشعرى موسومة بسمة التفكك فى هذه الوحدة ، فيتفوق العقل على الأقاليم الأخرى ، ويسمو شأن الصناعة ، ويضعف شأن السماحة أو (الطلاقة) . بذلك اتصف عصر « دريدن » فى الشعر الانكليزى — على ما بين المستر درنكوتر فى محاضراته — وبالطلاقة وإرسال النفس على سجيتها امتازت عصوره الذهبية فى أيام تشوسر وشكسبير ووردزوورث وكيتس وشلى .

لم تهبنى الطبيعة الملكة التى تمكننى من معالجة الشعر . وأنا مغتبط — وأحسب جمهور القراء مغتبطا كذلك أننى أعرف هذا . فأنا إذ أقرأ الشعر وأجد منه رقيقا وعنيفا ، متنأى للنفس عن متاعب الحياة أبحث فيه عن سرّ أثره فى نفسى فأجد صفة « السماحة » أو « الطلاقة » التى ذكرت ، إذ ذاك تكون القصيدة فى نظرى كالجدول المنساب فى الروض الممرع ، تحف به على جانبيه الخمائل المعطارة ، تعطر أشذاؤها ، ويطربها خريره ، فترتشف حواسى من القصيدة ما ترتشفه من روعة الجدول والروض ، وترتفع نفسى ، فى الحالين ، على ذرى التأمل فى أسرار الكون والحياة ،

إلى عرش السماء . فأنا فى تلك اللحظة ابنُ الكون المطلق ، لا ابن الأرض الملتصق بالرغام .

ولعل بحثى المبهم عن هذه الصفة فى الشعر حملنى على الإعجاب بشعر « أبو الوفاء » إذ قرأت له :

لغة البلابل أين تذ هب بين هدهدة الهداهد

فتمثل لى العراك العنيف بين الخير والشر ، وبين الضعف والقوة منذ فجر الحياة البشرية على الأرض إلى يوم الناس هذا ، فى صورة قليلة الخطوط زاهية الألوان .

وإذ قرأت له :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

فأحسست بصدق الشعور ، وتجلى لى ألم النفس ، فتخيلت أنى الشاعر أراجع ما عاقبتني به الدنيا على بسمات ساذجات كبسمات الطفل فردتنى ناقما ساخرا ، تمنعنى نقمتى وسخريتى من أن أحاول الابتسام ثانية .

وإذ قرأت له :

كأنى فكرة فى غير بيئتها بدت فلم تلق فيها أى إقبال

أو أننى جئت هذا الكون عن غلط فضاق بى رحبه المأهول والخالى

وإذ قرأت قصيدة « ذكرى » و « حيرة » و « إيمان » وغيرها ، فقلت فى ذات نفسى فى شعر هذا الشاعر سماحة القريحة التى يمتاز بها الشعر العالى ، فرغبت إليه فى أن يشاركنى فى ذلك رهط الأدباء من قراء « المقتطف » ونشرت له فيه قصائده « الإيمان » و « حيرة » و « أريد » و « ضحية العيد » و « تغريدة » و « من الأعماق » و « ذكرى » و « إلى صاحب البؤساء » وغيرها ، الخارجة من أعماق نفسه ، الجامعة لصفوة نظره إلى الحياة ، الموشاة بوشى خياله الذهبى ، المطبوعة بطابع شعوره . وأحسب أنها وحدها تكفى لتجعل صاحبها شاعرا ، وحسبه هذا .

إن ديوان «أبو الوفاء» صفحة من حياته . وحياة الشاعر حياة إنسانية ، في قلبه أملها وألمها ، وفي عقله حيرتها ، وفي وجدانه معتركها ، فأنت ترى الحياة في هذا الديوان قطرة ندى وشذا وردة وثورة بركان — وإيمانا وبؤسا وأملا وإرادة صلبة وأنفاسا محترقة .

وإني لشديد الغبطة أن أتيح لي تقديمه إلى أدباء العربية ، أولا على صفحات «المقتطف» وثانيا بين دفتي هذا الديوان ، وأنا واثق أن الشاعر لن يخيب ظننا في تحقيق ما نتوقعه منه .

والسلام . .

فؤاد صروف

أنفاس محترقة

بقلم الأستاذ احمد الشايب

(١)

ومبلغ علمى به وبحياته أنى رأيته فى مطبعة المقطم منذ سنين ثلاث ، وهناك عرفته شابا يلبس زى الشيوخ : عمامة مهذبة ومعطف تحته جلباب ، ينظر بعينين نافذتين تقرأ فيهما معانى الطموح والشكوى ، والأمل اليائس فيشغلك بصيصهما الحاد عن سائر الملامح والسمات ، وكان يسير على رجلين إحداهما من صنع نجار ليس بالصناع ، والأخرى تشكو الوحدة والجهد. ألم تفقد رفيقتها وتضطلع بالعبء فريدة تنكر هذه الجارة الغريبة ؟ وقال ثالثنا . هذا « أبو الوفا » الشاعر ، وتعارفنا وافترقنا . وبعد أيام قرأت له فى « المقتطف » قطعة من الشعر لاأذكرها الآن وإن كنت لاأنسى قوة تأثيرها ومبلغ صدقها وملاءمتها لما رسمت عينا صاحبها فى نفسى حين لقيته . ومضت الأيام والشهور لاالتى صاحبنا إلا لماما ، فى « المقتطف » أو فى إحدى المكتبات أو المنتديات الأدبية ، ولكن على أية حال قد

هذا المقال نشره الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب بالجامعة المصرية فى « مجلة أبو لو » فى سبتمبر ١٩٣٣ ؛ ثم طبعه مستقلا بمطبعة التعاون .

انتبهت إليه وإلى شعره أعنى بقراءته كلما ظفرت به، ثم كانت « رابطة الأدب الجديد » ، وإذا بي أراه فيها ، ، وإذا بمهرجان يكرمه وينبه الحكومة إليه ، وإذا به يغادر مصر إلى فرنسا ، ثم يعود شابا اجتماعيا يلبس هذا الزى الفرنجى ، فألقاه وكأنّ فى عينيه سمة طارئة لا أدرى أهى آفاق الحياة الجديدة والآمال المستجدة قد ارتسمت على حدقتيه ، أم هى هذا التناسب المادى بينهما وبين قوامه الذى استقام واستطال بعد ما استبدل بتلك الساق الخشبية ساقا أخرى أشد اتساقا مع زميلتها وإن لم يزل بينهما من التنافر ما بين صنعة الإنسان وابتداع الرحمن .

ولكن الشيء الميقون أن صاحبنا اليوم أظهر حيوية ، وأنضر وجها ، وأوسع أملا ، وأشد شكاة ، وأكثر صلة بالحياة والأحياء . وماذا ترجو من شاب يقفز من القاهرة الشرقية البيئة إلى باريس الغربية الطليقة الجميلة ؟ ما أبعد الفرق بين الأمل القريب القانع ، والأمانى الواسعة الثائرة . ثم تنشأ « أبولو » وتأتلف حولها فيزداد للتعارف واللقاء ، ثم يهدى إلى باكورة شعره « أنفاس محترقة » .

(٢)

قالوا إنه خرج إلى الحياة بداءة هذا القرن العشرين ، وويل للشعراء من القرن العشرين ، قرن الصراع بين الجسم والروح أو بين الحياة الصناعية المادية والحياة الطبيعية الأدبية ، فلم يكد يدلف إلى الوجود حتى كانت هذه الحرب المشئومة التى غيرت مقاييس الحياة ونقلتها من مهدها الهادىء المفكر المتبصر بين المروج والوهاد وعلى قنن الجبال وشطآن الأنهار حيث الأزهار العطرة والطيور الصادحة والسحب السارية والعواطف الصادقة إلى ميدان صاخب سريع انتظم الإنسان بين أدواته فصار إحداها ، لاهدوء ولا تفكير ولا عواطف ولا تحاب ، مسخ الإنسان أو كاد، فحياته

حركات واعمال وآماله مال وغذاء مادى ، واذا كان لابد من الترفيه عن النفس فالسينما ، السينما السريعة الصناعية وكفى .

أفى مثل هذه الحياة يزهر الشعر ويزهو ، ويحتفظ بمكانة سامية كانت له ولأصحابه فى القرون الأولى ؟ إن هذه الشكاوى المرة التى لا يني الشعراء أنفسهم فى ترديدها لدليل كاف على أن الشعر يفقد سلطانه على الحياة ويتخلى عن السيطرة عليها ، وأن الشعراء لا يثقون بفنهم ولا يبغون من ورائه مكانا ماديا أو معنويا ، نعم لا يبغون منه حتى المكانة المعنوية التى كان يعد بها نوعا من الأفكاكية وضربا من الغذاء الروحى اللازم ، ولقد زاحمته فى ذلك هذه الألوان الفكهة الصناعية على تفاهتها فى أغلب الأحيان ومهما يكن من الأمر فالعصر مجدب حول الشعر والشعراء لا تقدير ولا تشجيع ، بل هو الإهمال والحرمان وكيف نرجو الخير لهؤلاء الشعراء فى جوانب الصخب الآلى والحياة العملية الطاغية ، وهؤلاء الأحياء الذين يحيون بجسمهم وعقولهم دون أرواحهم وقلوبهم ؟ لاشك أن النثر أليق بهذا اللون الخانق من الحياة ، ولاشك أن الناس بذلك جد أشقياء .

فى هذا العهد الجاحد النكير عاش صاحبنا ، ولا أعرف بالدقة كيف درج ودرس ونبه شأنه مادمت حديث العهد بمعرفته ، وأغلب الظن أنه نشأ فى إحدى بلدان الوجه البحرى ، وأنه تعلم فى أحد مكاتبها تعليما أوليا وربما حفظ القرآن الكريم وعكف على الأدب والشعر يقرأ ويحاكى ، شأن الفتى البادىء حتى صعد إلى القاهرة مع انتهاء الحرب الكبرى .

ولكن هناك معارف أخرى يقينية رسمها الشاعر فى ديوانه البكر رسما صريحا واضحا ، وكلها تصور لنا كيف كان خروجه الى الحياة من أبوين لم يستطيعا أن يسعفاه من مادة الحياة بما يحقق أطماعه وآماله ، أو بما يكفيه شر الجهد واحتمال مالا يهوى من المداراة فنقم على أبويه وسخط على الوجود ثائرا حانقا ، يلهب نفسه حس صادق وشعور حاد وعطش إلى الحياة ونظم ظالمة وتقاليد صارمة وزمن لئيم عات .

لم يكفه أنى على عكــازة أمشى فحط الصخر فى طرقاتى
ثم انثنى يزجى على مصائبا سحبا كقطعان الدجى جهمات

وإلى هنا نلمس عنصرين هامين كونا هذا الشاعر أو كونا شعر هذا الشاعر ، أحدهما هذه البيئة العامة التى هوت من قيمة الشعر والشعراء ، وتلك البيئة الخاصة التى حرمت صاحبنا وآلمته ولم تواته مايشبع آماله ويغذى حسه ، والثانى هذا المزاج الحاد والشعر الصادق والأمل البعيد والبصر بالحياة التى لم تهب الشاعر من جسمها بقدر ما وهب لها من نفسه وقلبه . وليس لهذين العنصرين إلا نتيجة منطقية واحدة هى التبرم بالحياة .

(٣)

التبرم بالحياة أو السخط هو الشعور المسيطر على نفس صاحبنا ، وهو كذلك الطابع المسيطر على شعره ، فاذا أردنا اختصار القول فى هذه الناحية التى تصور لنا شخصية الشاعر فلسنا نزيد على هذه الكلمة حرفا واحدا . سخط على الحياة ، وصراحة فى التعبير جعلت شعره صورة صادقة لنفسه وكفى :

نعم كفى ذلك ميزة للشاعر ، وحسبك تلك الصراحة وسيلة إلى قوة الشعر وجماله وقبوله فليس الشعر إلا تعبيرا صادقا عن شعور صادق ، وهذا ما توافر لصاحبنا .

كان أبو العلاء المعرى ناقما على الحياة والأحياء لأجل الحياة والأحياء ، فكان يود لو كانت الدنيا صراحة وفضلا والناس أبرارا أطهارا متحابين ، لا يبغى لنفسه من ذلك شيئا ، فهجر الدنيا وعاش رهين المحبسين حتى قضى نحبه ، ولكن صاحبنا ناقم على الحياة والأحياء من أجل نفسه فيما يظهر ، حرمته الحياة متاعها فنقم عليها ، ومن يدرى لو مدت له اسباب الثراء ماذا

كان شعوره ، بل من يدرى لعل فى هذا الحرمان خيرا كثيرا للشعر ، وللحياة أيضا ترى من كان يسمعنا هذه النغمة الساخطة الصريحة أو يصور لنا ناحية من العيش يحياها كثيرون منا ولكنهم يدارون ويصنعون الرياء والاحتيال ؟

هو ذا ساخط على أبويه :

أبي وفى النار مثوى كل والده ووالد أنجبا للبؤس أمثالى
خلفتني ووضعت الحبل فى عنقى تشده كف دهر جد ختال
ما كان ضرك او من غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالى ؟

ما هذا ؟ ان شيخ المعرة حين سخط على الدنيا أثبت الجناية على والده دون أن يدفع به إلى النار ، ولكن كم من الفرق بين رزانة الشيخ أبي العلاء وثورة الشاب أبي الوفا ؟ أرأيت كيف بلغ بصاحبنا السخط والتبرم ، أليس هذا غضب الشباب ؟ ما أقسى غضب الشباب . وماضرك أنت لو قضيت عمرك زاهدا ساليا ؟ ولكن هناك سخطا آخر أبسط خواصه أنه يصور لك هذا الجفاء بين الشاعر وعصره ، وله مع ذلك ميزة أخرى لا أدرى بم أصفها :

كأنني فكرة فى غير بيئتها بدت فلم تلق فيها أى إقبال
أو انني جئت هذا الكون عن غلط فضاق بى رحبه المأهول والخالى

ولعل صاحبنا معذور على هذا السخط الصارم العنيف ، فلقد بلغ به نحس الطالع ونكد الجد أن صار هو نفسه شؤما على هذه الحياة

لو طلبت النهر أروى ظمأ لاشتكى النهر جفاف المنبع
ولو انى تلمس التبر يدى حول التبر ترابا أصبعى

وهكذا لاتقع عينك إلا على سخط وبرم ، كأن الحياة خلقت عليه

حربا وهو فيها وحده المهزوم ، فلا ينفك صائحا مهما يكن الفن الشعرى الذى يعالجه

والحق أن هذا الحرمان العاتى والحظ العاثر لم يولد فى نفس صاحبنا هذا الشعور الساخط وحده، وإنما ولد فيها أفكارا وآراء هى كذلك نتيجة طبعية لحياة صادقة الحس مشئومة الجد، فدعوة حارة إلى التحرر من التقاليد ، وهذه تكثر حيث يصطدم الشاب الشاعر بهوى صاد ، وإعراض لاذع ، وثورة الدم الحار

بينى وبين هواى أبـ ـعاد تضل بها المراصد
بئس التقاليد التى تزع القلوب عن المقاصد

* * *

ان تكن هذه التقاليد حالت بين روحى وما اشتهت من جناك
فغدا يقبل الربيع فينضى ما على ورده من الأشواك

فهل أتى ربيعك ، وهل تحقق شىء من أطماعك ! حقا ان التقاليد أشواك ، ولكن ثق أن جدا عاثرا يلم بك هو هذه الأشواك ولو أن الزمان واتاك لحطمت التقاليد ، والغانيات عبيد المال والشباب .

ويأس قاتل يداريه الشاعر بالوهم :

عدت أرضى بالختل فاكذب وقل لى كاذبا انى منحتك ودا
حبذا الوهم فى الحياة فلولا ه لضاقت صدرا ولم تحل وردا

وشغف بالحرية ، فهى عنده غاية الحياة ، وهى الإيمان الحق ، ولم يأثم آدم فى رأى صاحبنا وإنما حاول الحرية ، وترك السجون .

لا أرى آدما عصى الله لكن شاء أن يستقل بالسلطان
يكره الحر أن يعيش على السجـ ـن ولو كان سجنه فى الجنان

وأستطيع أن أختصر فى هذه النواحى فى نقطة هى نتيجة النتائج ، وهى التى تعين موقف الشاعر من الحياة ، ولون نظرته إلى الأحياء وعقيدته فى هذا المجتمع بل تشير إلى مذهب لا أرى بم أدعوه

فوارق ستسود الأرض مالبثت تلك العداوة بين الذئب والشاة
لن تبلغ المجد إلا أن صعدت له على سلالم أشلاء وهامات
هيهات هيهات إن البهم ما خلقت إلا مطايا لأغراض الزعامات

ولكن هناك فنين من الشعر أحب أن أقف عندهما قليلا : الغزل والرثاء هل للساخط المتبرم أن يتغزل أو هناك فى نفسه مجال لهذه العاطفة ، عاطفة الحب ؟ ولم لا ؟ أليس إنسانا حيا له من الشعور بجمال المرأة والتأثر بها ما للأحياء ؟ كلا، بل يزيد . نعم إن مثل هذه النفوس الشاعرة أولا والساخطة ثانيا تكون من أشد النفوس غزلا وأقواها شغفا بالجمال ، فغيرها من النفوس الراضية غير المحرومة تبشم بنعيم الحياة وتحظى بما تود ، وأما صاحبنا « فعينه بصيرة ويده قصيرة » ، يرى الجمال ولا يناله ، فيصيح ويسخط على هذا الحرمان ، وينكر التقاليد : وتحترق نفسه ولا سامع له . ومن ذلك ما تقرأه فى « الصدى الضائع » (ص ٧٤)

ليت الهوى كان حظ الأغنياء فلم تجمع على الفقر فى الدنيا مواجعه
أوليت خالق هذا الحسن أرسله حرا يطالع فيه من يطالعه

فانظر إلى هذا الغزل الحار ، فيه حرقة الشكوى ولاذع الحرمان واللهفة الضائعة ، وهل الغزل الحر سوى هذا ؟ وهل ظفر التاريخ الأدبى بمثله عذرية وقوة لهذه العاطفة المزدوجة عاطفة الحب المحروم ؟ كان المجنون وجميل فى بادية الأمويين مثال هذا النوع ، وكان عمر بن أبى ربيعة مثال نوع معتدل فيه نوال وفيه حرمان ، وأما أبو نواس العباسى فقد أسف ، وعندى أن النوع الأول خير الأنواع لنفس الانسان ولنفس الشاعر وللشعر كذلك . وإذن فليس من الغريب أن

يتغزّل صاحبنا ، بل ذلك نتيجة طبيعية لحياته العامة والخاصة ، ولا بأس عليك بعدهذا أن تسمع له هذه التغريدة الحلوة حقا ، الجديرة بالتلحين :

صداحة الروض ما أشجاك أشجانا
نوحى بشكواك أو نوحى بشكوانا
ذاب الفؤاد أسى إلا بقيته
الآن أذرفها من عينى الآنا

حتى هذه القبلة ، وهى أعذب قبلة يظفر بها الانسان ، عليها مسحة الحرمان . ولعل الشاعر لم يفز بأخرى تنسيه الأولى ، ومن ذا الذى يستطيع نسيان القبلة الأولى :

لم أنس أول قبلة أخذت بها شفتاى عهد الحب من شفتيك
مازالت بين فمى أحس لها شذى أترى لها أثر يحس لديك ؟

وأما الرثاء فهو الفن الخليق هنا بالفهم والتفسير ، كان المعرى ساخطا متبرما ، وكانت الحياة عنده طريقا إلى الآخرة ، وكانت الآخرة عنده هى المستقر الطبيعى للأحياء والمنتهى الذى ينشدونه جميعا ، فكان يقف من الموت موقفا مطمئنا ، بل موقف المحب الراضى . وكان رثاؤه لذلك نوعا من التعزية والرضا والاتجاه إلى الآخرة دون أن يكون سخطا أو تهويلا أو تبرما ، فما دامت الدنيا دار شقاء فالموت خير والحياة غرور . ولكن صاحبنا يرثى بنغمة غير هذه ، يرثى كما يرثى سائر الشعراء ، فالفجيعة عظيمة ، والموت كان عظيما وكان لموته اضطراب الدنيا . ما هذا ؟ أهذه النغمة تلائم كره الحياة والتبرم بها ؟ هذه هى المسألة . ولكنى قلت لك إن صاحبنا لايكره الحياة للحياة ، وانما يكرهها لأنها حرمته : فهو يحب الحياة ولكنه يحبها مواتية مسعفة ، ولكن المعرى كان يكره الحياة للحياة وهى تؤاتيه ، وكان يستطيع أن يملأ منها جيوبه بالنضار ، فالمعرى ذو مزاج سوادى قانع ، وصاحبنا مزاجه دموى محروم . هذا هو السر الأول فى الفرق بين الرثاءين

وسر آخر هو نتيجة هذه الحياة الأدبية التي يجاريها الشاعر ، وهو التقليد ، فصاحبنا إذن مقلد في الرثاء . حلان لاثالث لهما اما التقليد ، واما الأثرة. إما مسايرة الشعور العام ، وإما حب النفس وكره الحياة التي أجهدت هذه النفس ، فليختر الشاعر أحدهما أو فليرفضهما .

ثم ماذا ؟

ثم أنفاس الزهر ، ثم هذه المنظومة البديعة التي تنظم آمال الشاعر ، وتصور نفسه ، بؤسه ، ورأيه في الحياة ، وليست وقفا على الحب كما يوهمنا الشاعر ، وإنما هي رأيه في الحياة وما يجب أن يكون عليه ، وقد جعل الحب ظاهرتها ، وكم أحب أنا أنْ تكون هذه « رسالة » صاحبنا إلى الحياة والأحياء :

تعالى زهرة الوادى نذيع العطر في الوادى
فتحملنا نسائمه كما شاءت أمانينا
ويزجينا الصبا والحب من واد إلى وادى
تعالى زهرة الوادى . . .

الخ

— ٥ —

وبعد فما قيمة هذا الشعر ؟

أما إن هذا الشعر من النوع الغنائي فأمر لا يحتاج إلى مناقشة أو إيضاح وأمر لا يجلب إلى صاحبه عتبا أو نقدا ، لأنا لا نلزم الشاعر أن يكون قصاصاً أو ممثلا ، بل نحن نريد أن يخضع الشعر لإرادة الشاعر يصرفه كما يشاء ، وإنما نود العكس . فالشاعر أسير شعور الأنا وشعوره، يصدر عنه الكلام

صدى لنفسه ، ودما من قلبه ، ولهيبا من صدره . أو أن نفس الشاعر تصب فى هذه القوالب الكلامية ليس غير ، وما كان الشعراء والفنيون أسراء تلك القوانين والقواعد الدقيقة التى يتأثرها العلماء حين يبحثون الظواهر الفنية ، إنما هى فيض الشعور : وزهرات النفوس .

ولكن الشعر الغنائى نفسه ذو درجات بحسب مافيه من العناصر الأدبية ، وهو لذلك قياس بغير مقياس القصص والتمثيل وبغير مقياس النثر جميعه ، وليس هنا مكان تفصيل هذه المقاييس والقواعد العامة ، وإنما نستطيع أن نلخص هذه المقاييس فى صحة الفكرة ، وصدق العاطفة ، وبراعة الخيال ، وبلاغة العبارة ، فهل حقق لنا أبو الوفا كل ذلك ؟

١ — إذا كان لا بد لأبى الوفا من مذهب حيوى أو دستور للحياة يدل عليه شعره فلقد يكون هذا الدستور مكونا من بنود عدة تحتاج إلى مناقشة ، وأما إذا أعفينا الشعر والشعراء من تنظيم الحياة ، وتهذيب سبلها ، والقيام برسالاتها ، ولم نؤاخذهم بما يقولون من فكر لأنها خواطر الساعة ووحى البديهة ، دون أن تكون قوانين مقررة ومبادىء يعتنقونها ، فلا أقل من أن ننبه القراء إلى هذه الخواطر . على أن لكل شاعر نابه مثقف رأيا فى الحياة ومذهبا يسيطر على فنه مهما يكن هذا المذهب ، واقعيا أو مثاليا ، ساميا فاضلا أو دانيا مرذولا ، وعلى كل فلا بأس إذا عرضنا لهذا الدستور الذى يضعه صاحبنا ، لأنه نتيجة منطقية لحياته ومزاجه ، ولأنه إحدى حلقات هذا البحث الذى يدور حوله :

يرى صاحبنا إزالة الفوارق المادية ، ويشكو الفقر المدقع الذى حال بينه وبين مطامعه وآماله ، ويطلب إلى الناس الصراحة وترك الرياء والمواربه ، ويثور فى وجه التقاليد التى حرمته الاتصال بالمرأة ، وفى وجه الاستعباد يصبه القوى على الضعيف ، ويريد العيش حرا غنيا سلاما ، فأيهما يرضى صاحبنا : أيأخذ هذه الأفكار على أنها أحلام وخواطر

طارئة دون أن تكون عقيدة ، أم هو مذهب يدين به ويضعه للدنيا المثالية فيما يرى ويهوى ؟ أما أنا فأغلب الظن عندى أن لا هذا ولا ذاك ، وإنما هو مزيج من هذا وذاك ، فهى خواطر تعد صرخات الحرمان واليأس والألم ، تصيب الشاعر أو تلح عليه فى بعض الأوقات فيصيح فزعا ، وهى مع هذا تدخل أو تمس دائرة المذهب ، لأن الحرمان طال ، ولأن صاحبنا يشكو الحرمان ويضع للحياة قوانينه هذه من أجل نفسه ، ولو قد أسعدة الحظ ولانت له الدنيا لعكف عليها غير معنى بها . وإلا فكيف تستقيم الحياة إذا استوى الناس ؟ أليس فى ذلك خراب العالم وهموده وذهاب المواهب وتقهقر المجتمعات ؟ بلى ان المداراة والمواربة من ضرورات الحياة الاجتماعية والسياسية ، ولو تكاشف الناس عما يعتقده كل فى صاحبه أو أخيه لتنافروا وتعادوا : فنى كل إنسان مالا يرضاه كل إنسان ، والتقاليد مسألة اعتبارية أو هى ظاهرة لازمة للحياة ، إلا فى حالة الإباحية التى تعد من الأخطار على الشعر وعلى الفن جميعا والحرية والسلم ؟ سائل الشرق والغرب ، وسائل مؤتمرات « جنيف » ، وسائل طبيعة الحياة ، هل كانت دون حرب ؟ أفليست الحيـــاة حربا ؟ ألا إن هذه الأفكار ثورات سطحية وليس فى الإمكان أبدع مما كان .

٢ – ونسأل صاحبنا عن سخطه هذا ماداعيه ! ألأجل نفسه أم لأجل الناس جميعا ؟ لأجل نفسه فى الغالب ، وإذن فشعوره شخصى ذاتى ضيق الدائرة . وشاعرنا لذلك أنانى أثر . وما سبب السخط ؟ المال غالبا . فصاحبنا مادى . وهذا يهون من شعوره ولا يسمو به ، نعم قد يكون المال لآمال سامية ، ولكن صاحبنا لم يتشبث بذلك فيما قال . فعاطفته للآن شخصية مادية . وإذا سألنا عن نواحى العاطفة ما هى رأيناها عاطفة ساخطة تشيع فى شكوى وغزل ورثاء ، وهى هذه العواطف التى تلبس ثوب التبرم والثورة . فهل هذه هى الأنواع الغنائية التى عالجها الشعر ليس غير ؟ وإذن نحكم عليه

بضيق المجال . اما أنا فلست أصدق أن هذا الديوان يحوى جميع ماقال الشاعر . ولا بد أن هناك شعرا آخر حجزه صاحبنا عن النشر ، فقد يكون مديحا ، وغزلا ، ووصفا ، وسواها . ثم آثر هذه الجملة بالنشر لاعتداده بها ولأنها فيما يظن صورة صادقة لنفسه ، وهنا يعرض لنا هذا السؤال :

أشاعرنا صادق العاطفة ؟ أما الجواب هنافنعم ! ومن يقرأ الشعر يشعر بهذه النفس المتألمة الثائرة الشاكية فى صراحة وقوة ، وبراعة بارعة . أفنطمئن إلى مثل هذا الشعر ونشربه نفوسنا؟ ، هذه مسألة هامة فى الحقيقة لأن العاطفة الشعرية تقاس كذلك بما تبعثه فى نفوسنا من شعور وما توجهنا به نحو الحياة . فعاطفة سارة تحبب إلينا الحياة أو تهونها علينا ، وأخرى تلبسها ثوبا أسود وتجعلها نكراء ممقوتة وتعرض نواحيها البائسة ليس غير ، فما الرأى ؟ مهما يكن سبب هذه الحال الثانية من مزاج للشاعر أو أسباب خاصة به ، ومهما يكن سبب ذلك من وجود البؤس والشر فى الحياة ، فيظهر أن الشعر يصبح — مع صدقه — أن يكون بلسما شافيا ، وروحا وريحانا ، وصورة لجمال الدنيا ، وواحة فى صحراء الحياة . والحق أن صاحبنا — كما قلت لك — يعرض شر الحياة من حيث إلمامه به لا من حيث انه عنصر سائد ، فهو يشكو الحرمان ولا يقرر الحرمان على أنه قانون الحياة . فهو مشغوف بالحب والمتاع والغنى والسلام . ولا أستطيع القول بأنه ينشر البؤس ويسمم النفوس ، بل شكايته هذه كثيرا ما تأتى بالعكس فترغب الناس فى الحياة وتفتح عيونهم إلى مافيها من جمال وخيرات . وأستطيع اختصار هذه الناحية من حياة شاعرنا بأنه يمتح من نفسه ويتجه إليها حين يقول وهذا يجعل شعره صادق العاطفة ، ولكنه لا يجعلها إنسانية عامة .

٣ — وخيال صاحبنا عربى خالص ، قلما نجد فيه ابتكارا ولكنه خيال منتقى جميل ملائم لمقتضى الحال كما يقول البلغاء ، فالليل قس « يغرى بسود المسوح » والقوانين أغلال وقيود « وهو نفسه جواد ثائر تعضه الشكيمة « شلت

أنامل صناع الشكيات » . والدين والدنيا خصمان ، والشيب سحاب أو ضباب ، والقلب يبقى فتى فى الحب ، والنائبات صخور فى طريق الحياة ، والدهر حرب الأحرار ، إلى غير ذلك من هذه الأخيلة البيانية الأدبية .
ولسنا نطلب من الشاعر الغنائى أن يكون ذا خيال مبتكر خالق ، فذلك شأن القصة والدراما ، وحسب الأديب فى دائرة الغناء أن يكون مفسرا لمظاهر الحياة جيد التفسير والتأويل ، يلائم بين مايرى وما يحب ، يسعفه ذوقه وتجربته بالأمثلة القوية الجميلة التى تشرح المناظر والحوادث وتستسر الحياة كلها ، وتقدم للناس مايشتهون من خير وجمال . وملاحظة تلفت النظر وتدل على اتصال شاعرنا بعصره هذا ، فشىء من أخيلته وليد أو هو نبت هذه الفترة التى نحيا فيها ، فهو مثلا فى الحياة « فكرة فى غير بيئتها » ، وهو مرة مريض بذات الجسم وأخرى بذات الفؤاد ، والقلوب حول الجمال كالنحل حول الزهر ، وذكرى شوقى خلود . والمروحة :

هذى جوانح صب   فى حبكم مستهام
نسجتها مروحة   لما براها الغرام

وهنا أذكر لشاعرنا ما أكرره لكل الشعراء ، وهو أن يشتقوا التشبيه والاستعارة والبديع كله من هذه البيئة الحاضرة المصرية ، فعندنا النيل والأهرام والآثار ، وعندنا المروج والقنوات ، وعندنا الطبيعة المصرية الكريمة المرحة الفكهة وعندنا أنفسنا وماضينا وحاضرنا وأخيرا عندنا الكهرباء والطيارة وهذه الحياة الصناعية .

٤ — أما الأسلوب ، وبكلام أدق : أما عبارته ، كلماته وجمله ، فيكفيها حسناً أنها شفافة . وليس يطلب من العبارة سوى هذا . يقول البلغاء والنقاد القدامى : جزالة ، وفصاحة ، ورقة ، وسلاسة . ويقول المحدثون : وضوح ، وقوة ، وجمال . ويصفون الأسلوب أو العبارة بهذا كله : ولكنى أعيد هنا ماذكرته فى هذه الصحيفة غير مرة أن ليس للعبارة وصف إلا هذه الشفافية ، فالعبارة كزجاج الصورة ينم عنها

وتحفظها ، كذلك العبارة تنم عن المعانى أو عن نفس الأديب وتحفظها . وأما القوة وأما الوضوح وأما الجمال فهى فى أصل صفات النفس، ثم هى صفات المعانى وأخيراً يظهر لونها أو صداها فى الألفاظ والجمل . وليس لأسلوب إذن إلا صورة هذه النفس . وهنا تعود إلى الذاكرة نظرية الأستاذ بافون Buffon القائلة ان الأسلوب هو الكاتب ، فاذا حاولت البحث عن خواص الأسلوب فاعلم أن منبعها هو الشاعر أو الناثر ، وإذا أبهم الأسلوب أو جفا فليس الذنب ذنب القارىء دائما وإنما قد يكون ذنب الكاتب نفسه لعجزه وغموض نفسه وأفكاره . وأبو الوفا واضح فى أفكاره مهما تكن قيمتها ، قوى فى شعوره مهما يكن داعيه ، دقيق فى خياله مهما يكن محدودا . وكل تلك تدل عليها عبارة شفافة . وأنا ألح فى هذا العنصر اللفظى وأحب أن أطيل القول فيه، ولاسيما فى هذه الفترة التى استعجمت فيها أساليب كثير من المعاصرين ، وعييت عباراتهم بالأداء ، وامتزج فيها الأصيل والدخيل ، وعجز كثير عن تطويع الأساليب للمعانى المستحدثة أو المستعارة ، حتى صاروا يخبطون على غير هداية ، ويتورطون إما فى عجمة مضطربة وإما فى عامية مبتذلة ، وندر الفصيح الصافى . وليس هناك علاج إلا قراءة الأساليب العربية الممتازة لأمثال البحترى وجرير وأبى نواس وأمثالهم من شعراء الأسلوب الطبيعى الجميل .

وأستطيع أن أضع أسلوب صاحبنا لهذا بين الأساليب العصرية الشعرية الممتازة . ويظهر أن عندنا أسلوبين يعيشان متجاورين : أسلوب محافظ تقليدى يلتفت إلى الوراء البعيد وهو أسلوب جاف يصور ثقافة أصحابه فقط تلك الثقافة العربية ، القديمة ويصر على هذا الأسلوب مدرسة معروفة لا أحب ذكر أصحابها الآن ، والثانى أسلوب جديد مضطرب يختلف بين العجمة والعامية ، ولن أسميه أسلوبا تجديدياً ، لأن التجديد شىء سوى هذا التجديد هو إحياء وابتكار مع المحافظة على الصياغة الصافية والموسيقى الأصلية للغة العربية ، وبين هذين أو فوق هذين نجد هذا الأسلوب الذى يجمع إلى الجمال الحديث قوة الأسس اللغوية المقررة ،

فيه هذه الرقة العصرية التي تحببه إلى النفوس ، وفيه هذه القوة العربية السامية ،
وبالاختصار هو الأسلوب الجديد حقاً ، أو هو الذي يجمع بين القديم والحديث ؛ ومن أمثلته أسلوب أبي الوفاء مع شيء من الاحتياط بالنسبة للبحور الشعرية لا أعرض له هنا لأسباب شتى وقد طال بي المطاف و « أبولو » حانقة ترمينا بالإسراف والتطويل ولكني أحاول دائماً الالتفات إلى الحق والواجب ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

تسألني عن شخصية صاحبي فهي شخصية ذاتية ساخطة معتزة بنفسها وبشعرها وتسألني عن رسمها « الكاريكاتوري » فهو المقيد في الأغلال دون مباهج الحياة ؛

احمد الشايب

(١) يقصد مجلة « أبولو » التي نشر فيها هذا المقال أول ما نشره

أبو الوفاء

بقلم الأستاذ حسن القاياتى

العبقرية المتوقدة صنع الألم المر . والعبقرى المفرد كالتبر لا يصاغ حلية فى تاج أولية قبل أن تصهره النار ، أما الدمعة الشعرية الرقيقة فإنما تنحدر على خد الشاعر الفذ بعمل التبريح النفسى ، كما تنحدر دمعة السحاب من حرارة فى الطبيعة وتوقد .

إن الشاعر المتفرد قلما تبنيه الشدة ويصقله التمرس بالحادثات ، قبل أن تحيله مرثاة ورحمة ، فهو طلل من أطلال الإنسانية الآسية ، أومبكى .

هتف الأديب النابغة الأستاذ « أبو شادى » فى كلمة ساحرة برة بالشاعر السباق « محمود أبو الوفا » ، فحبب إلى ما أعرف من قيمة هذا الشاعر أن أرسل هذه الكلمة صدى لذلك الحديث عنه :

الأستاذ « أبو الوفاء » مثل من الأدب السامى وحلاوة الشمائل ، ولكنه على ذلك مأساة ماثلة ، كالخيال الساحر ، قلما يملأ العيون حسنا وروعة ، دون أن يملأ القلوب وجداً واوعة .

أجل ، إن « أبا الوفاء » مثل من الأدب الحكيم الطلى ، قلما يتعرف

الأهرام : فى ١٩٣١/١٢/٦

بنفسه إلى الجمهرة السوقية ، إلا عن اتفاق بحت ، كما تكون المبتكرات الخالدة وليدة الصدفة . قامة ، تحت عمامة . وصدر القناة فى مشية الأناة ، وملبس غير سرى ، على عبقرى إلى « ساق تنوب العصا فيها عن القدم » . تلك حليته . فهو كما يقول عن نفسه فى شكاة دهره :

لم يكفه أنى على عكـــازة أمشى فحط الصخر فى طرقاتى

أما إذا جلست إلى صاحب هذه الحلية فناهيك من خفر الفتاة فى عزة الأباة : إلى حديث طلى ساحر لو عقد لكان شعرا . على أنه حديث مأساة يشرق فى أكثره بالدمع : ويقيم مأتم الحياة : ذلك هو الأستاذ « أبو الوفاء » . وإن من المعرة على الإنسانية أن لا يحمل المجتمع هذا الأديب الممتع على « رجل » وهو يتحامل فى مشيته إليه كما يميل الغصن المزهر حتى يتحفه بباقة الورد يدا إلى يد .

قال « أبو الوفاء » :

أحبّ أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

تلك دمعة الإنسانية الحرى فيه وفى إخوته من جراح الانسانية الدامية . ولقد وددنا بكل ما نملك أن نحمل إلى هذا الثغر تلك الابتسامة ، حتى لا يرسل بعدها الا دمعة باسمة أو ابتسامة دامعة ، حنينا إلى حسن أو نضرة . كما يسقط المطر تحت الشمس الوضاحة .

ناحية واحدة غراء من نواحى النبل الجمة فى « أبى الوفاء » . وليت شعرى هل تعلم الأبوة مدى الأبناء فى النبل ؟ أجل ، والا فكيف سمى « أبا الوفاء » والده بهذا الاسم ؟ لقد أحس أن ابنه سيكون شيعيا وفيا لصحابته ، مر الحفاظ ، مر النفس . سمع « أبو الوفا » جليسا له يغمز بعض من يعز عنده فلم يمهله أن حشا فمه بالحجر ، على جلال الموقف ، وما أقل الوافين :

وما أقسى هذه الفطرة العاسفة ، تطعم الغنى على الشبع والكظة ،

ولاتسوغ الأديب اللقمة . وتحمل المجرم على رجليه إلى القتل . ويمشى الأديب إلى النبل على رجل .

وبعد ، فان أيسر ما نتشهاه لك يا « أبا الوفاء » من ترفيه ومرضاة أن نشهدك تمشى سويا على رجلين قويمتين ، احداهما صبغة الله ، والأخرى من خلق العلم والصنعة . فنهتف بك : واطربا هذه يا « أبا الوفاء » ابتسامة طلقة ، نعوذها بالله أن تعاقبك عليها الحياة ، فتعاقب معك الأدب كله ، وملأه بجملته ، وتحز فى كبد الانسانية . وعسى أن تكون طليعة إسعاد وإكبار ، وخاتمة مأساة وشكاة .

حسن القاياتى

أنفاس محترقة

بقلم الدكتور أحمد زكى أبو شادى

منذ عشرين سنة — فى عيد الميلاد من سنة ١٩٣١ كان كاتب هذه السطور فى زمرة من أصدقائه ومريديه الذين عاونوه على تأسيس « رابطة الأدب الجديد » ثم « جمعية أبولو » يحتفى معهم ببزوغ كوكب جديد فى سماء الشعر بمصر هو الشاعر الوجدانى الفريد محمود أبو الوفا الذى صدرت حديثا الطبعة الثانية من ديوانه الممتاز « أنفاس محترقة » .

وفى تلك التحية الشعرية أملت العاطفة والتجاوب الفكرى والإخاء الأدبى بين ما أملت هذه الأبيات قصيـدة « ميلاد شاعر » من ديوان « أشعة وظلال » ١٩٣١ .

فن هو الشعر تصويرا ومنزلة ورقة ومنى شاقت ووجدانا
يطير بالروح فى الدنيا بأجمعها ويعتلى رفعة (١) ماشاء أكوانا
رنت له صيحة هزت مشاعرنا كما تجيب الصخور الصم بركانا
فأيقظتنا وكان الموت يشملنا وحركتنا فبات الصخر إنسانا

المقطم : ٢٥ يوليه ١٩٥٠ ، بعث به من نيويورك

(١) هذه الكلمة لم تتبين في الأصل ، وقد ضمنها الشاعر أبو الوفا هكذا « رفعة »

وصار عيدا لنا معنى أخوتنا في عيد من لم يكن في الهجر ينسانا
والحب إن لم يكن للناس أمثلة تحيا فعالا فلا كانوا ولا كانا

هذا هو الشاعر المصرى الرشيق الروح المحترق الأنفاس ، الذى تعالى بشعره عن التكسب والتملق والابتذال وأجراه جملة في جدولين ثائرين، أحدهما يعبر عن خلجات قلبه فيما يخصه شخصيا وهذا هو شعره الوجدانى الليريكى البحت ، والآخر يعبر عن انفعالاته وتأثراته الوطنية بل الإنسانية عامة .

وقد اعتاد الناس مع الأسف أن ينظروا إلى الشاعر كأنه أداة من أدوات التسلية وبوق من أبواق التقريظ الذى يرضى غرورهم . وهم حين عملوا على تجريده من خصائص شخصيته الإنسانية ومن التعلق برسالة سامية حبيبة إلى عقله ونفسه إنما هدموا قوة عظيمة كان يمكن الانتفاع الشامل بها . وقد أطاعهم الكثيرون من الشعراء عن غفلة أو عن اضطرار ، وشذت الأقلية عن اعتداد أو عن تسام فانتفع الناس والمثل الرفيعة كما انتفع الفن ذاته بها .

ونحن في وقتنا هذا أشد ما نكون احتياجا إلى الشعراء الذين لهم رسالة يؤدونها لأممهم وللإنسانية عامة قبل احتياجنا إلى الشعراء المشغولين بأنفسهم فحسب ، مهما عذبت ألحانهم وحلق خيالهم . كما أننا لسنا في حاجة إلى أولئك المتدلهين المفتونين بأناشيد الخلاعة التي تفقر الأمم كما تفقر الفن .

ويقيننا أنه لو قدر شعراء العربية رسالتهم القومية والإنسانية لكانوا نعم القادة في إيقاظ أممهم وفي توجيهها نحو العزة والفلاح . وإلى هذا ألمعت في مقالات نشرتها لى الصحف الأمريكية . وحسبى أن أضرب مثلا واحدا لشاعر كبير بالنسبة إلى طاقته الفنية وصغير بالنسبة إلى شخصيته ونفعيته ، ألا وهو أبو عبادة البحترى الذى أنبتته « منبج » كما أنبتت أبا فراس الحمدانى . ولكن شتان بين الشاعرين وبين شخصيتهما . شتان

بين من لم يترك أى أثر سوى المعانى الوصفية والشواهد البيانية والبديعية وبين من كان شعره نجوما لا تزال دائبة الإشعاع والدوران ، وقد أثر فى بيئته تأثيراً هائلا فأجله حتى المتنبى الفخور المتكبر ، وترك المشاعر الإنسانية فى كل جيل تهتز لمثل هذا الشعر الصادق الموفى الذى وجهه إلى سيف الدولة :

كذاك الوداد المحض لايرتجى له ثواب ولا يخشى عليه عقاب
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

أما البحترى فقد شغل بالتكسب وحده ، والتحق ببلاط المتوكل ، وأعطانا أوصافا مليحة لبركة المتوكل ولإيوان كسرى ولقصر المعتز ولمشاهد طبيعية منوعة ، كما وضع كتابه « معانى الشعر » ، وألف « ديوان الحماسة » المختار من أشعار العرب مناظرة لحماسة أبو تمام ، ولكنه وأد بطبيعته النفعية كل أمل كان يرجى منه لخير ممدوحه المتوكل ولخير الأمة العربية :

ولما قتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان نتيجة للمؤامرة التى دبرها المنتصر بالله « ابن المتوكل » رثى البحترى المتوكل بقصيدة رائعة قال فيها :

ولو كان سيفى ساعة الفتك فى يدى
دري الفاتك العجلان كيف أساوره
حرام على الراح بعدك أو أرى
دما بدم يجرى على الأرض مائره
أكان ولى العهد أضمر غدرة
فمن عجب أن ولى العهد غادره

ولكن سرعان ما نسى البحترى كل هذا وراح يمدح المنتصر بالله ويقول له :

بقيت إمام الهدى للهدى تجدد من نهجه ما دثر

لقد انتفع سيف الدولة بالمتنبي فى إثارة الحماسة الشعبية له وفى تدعيم ملكه . وأما المتوكل فلم يعرف كيف ينتفع مثل هذا الانتفاع بالبحترى، وترك نفسه تحت رحمة الدسائس والجنود الأجانب المرتزقة ، ولم ترتفع نفس البحترى عن مرتبة التكسب والخيلاء للألفاظ الرنانة التى كان يصوغها وتخيل أن يكون نبياً بشعره وقائداً بوسالته الروحية . وارتضى له مؤرخو الأدب هذا الوضع ، وما زالوا ومن على شاكلتهم يرتضون حتى للشعراء المعاصرين مثل هذه المنزلة .

أما شاعرنا أبو الوفا فقد ثار على هذا الوضع ، على الرغم من أنه بدأ حياته الشعرية فى ظروف قاسية من الخصاصة والإصابة الجسمانية ، وله من الشعر الرمزى والصريح ما فيه ثروة للشعر وللشمم . قال فى قصيدته « ضحايا » وقد رأى خراف العيد تحشد فى أحد ميادين القاهرة :

عهد الجهالات أم عهد الحضارات
لن يبرح الناس عبداناً وسادات
فوارق ستسود الأرض ما لبثت
تلك العداوة بين الذئب والشاة
لن تبلغ المجد إلا إن صعدت له
على سلالم أشلاء وهامات
هذى الديانات تنهى أن يراق دم
والهدى . بالدم قربان الديانات

ياليت شعرى خراف العيد هل علمت
ماذا يكن لهــا عيد الضحيات

وليت شعرى هل تلقى الخراف غدا
كبشا يغار على تلك الذبيحات

هيهات هيهات إن البهم ما خلقت
إلا مطايا لأغــــراض الزعامات

عهد الصراحة ما بال الصريح به
لا يملك النطـــق إلا بالكنايات

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى
أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

هاج الجواد فعضته شكيمته
شلت أنامل صناع الشكيمات

هذا تمهيد لدراسة هذا الشاعر الليريكى « الغنائى » الإنسانى .

وقد أعرض شعره وخصائصه عرضا عاما على قدر ما يسمح به الفراغ فى مقال تال ، لأنه جدير بعناية أدباء العربية فى الشرق وفى أميركا ؛ كما أنه قدوة حسنة لشعراء العصر فى نزعاته الوطنية والإنسانية .

د. احمد زكى ابو شادى

أنفاس محترقة

بقلم الدكتور احمد زكى ابو شادى

قال شيخنا المعرى رضى الله عنه :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها
فرقا شعرت بأنها لا تقتنى خيرا وأن شرارها شعراؤها

وليس الشاعر أبو الوفا صاحب « أنفاس محترقة » من هذا القبيل ، فإنه لم يساند العابثين المستهترين من أولى الأمر ، ولم يجىء فى شعره بما يصغر من كرامته والا من كرامة أمته ولا من الكرامة الإنسانية عامة ، كذلك لم يكن فى يوم ما من دعاة الزهد الأجوف السقيم الذى ضيع أمم الشرق ، والذى تجلى فى مثل شعر أبى العتاهية ، وقد أهان العقول المفكرة والهمم المدبرة ، أليس أبو العتاهية هو القائل :

انى أمنت من الزمان وصرفه لما علقت من الأمير حبالا
او يستطيع الناس من إجلاله جعلوا له حر الوجوه نعالا

ثم أليس أبو العتاهية هو الذى ملأ شعره بتطليق الدنيا بدل حث

نيويورك فى ٢ تموز ١٩٦٠

الناس على السعى فى مناكب الأرض والانتفاع بخيراتها وتلوق نعمة الحياة الشريفة البريئة !

أما محمود أبو الوفا فقد فاض شعره عن ثورة الحرمان فعبر عن آلامه وآلام أمثاله ، ثم عن آلام أمته الراسفة فى الهوان والفاقة والجهل والمرض ، وأنحى باللوم على المسئولين بادئاً بوالده . قال فى قصيدته « رثاء نفس » :

فى ذمة الله نفس ذات آمال   وفى سبيل العلا هذا الدم الغالى
بذلته لم أذق فى العمر واحدة   من الهناء ولا من راحة البال
كأننى فكرة فى غير بيئتها   بدت فلم تلق فيها أى إقبال
أو أننى جئت هذا الكون عن غلط   فضاق بى رحبه المأهول والخالى

أبى وفى النار مثوى كل والدة   ووالد أنجبا للبؤس أمثالى
خلفتنى فوضعت الحبل فى عنقى   تشده كف دهر جد ختال
ماكان ضرك لو من غير صاحبة   قضيت عمرك شأن الزاهد السالى

وقد ختم هذه القصيدة الوجدانية ببيت كشف عن عادته فى الجمع مابين حالته وحالة أمته فقال :

يانيل ألهيت أبطالا قد انكشفوا   بعد الحوادث عن أشباه أبطال

وفى قصيدته المتمردة « لم يبق فى الحى » تجد هذا الروح ذاته ، قال فى مستهلها :

لم يبق فى الحى لا راع ولا وال
فليت شعرى لمن أشكو له حالى

بلى كأنى لم أسمع بمن سلفوا
من كل ذى همة علياء ، مفضال

ليت الأيادى التى طاحت بهم قطعت
أوليتها قبلهم طاحت بأمثالى

وفيها ما فيها من الشكوى اللافحة من مفاسد الادارة والمجتمع بمصر .

لا يدعو أبو الوفا إلى إنصافه فحسب ، بل إلى العدل الاجتماعى عامة وإلى الإصلاح الدينى وإلى النهضة الإقتصادية وإلى الاشتراكية المتزنة ، فهو بهذه الروح قريب إلينا ولا يمكننا إلا أن نسند شعره وننوه به عامة ، وإلا أن نستحثه على عدم التفريط بمنزلته كشاعر وطنى إنسانى ، والا أن نهتف معه بقصيدته « قيودُ » :

قضى زمانى علىّ أنى أمشى ورجلاى فى القيود
حال بها فى خطاى يمشى ذل الأسير الخطى المقود
ويلاه ممـا لقيت منها ويلاه للسيد المسود

ظلم ولكن أنى قضاتى بل أين لى فيه بالشهود
من مثله لم يزل لعيسى دم على مذبح اليهود
يارب فيم الوجود إذ لم تمنحه حـــرية الوجود
أكلما « صالح » يولى وجهاً فلابد من « ثمود »
يا زمنى فيك وجه عاد فهل ترى فى وجه هود
أبشر وثق بى فلا نبى يبعثـه الله للقـــرود

ولئن قال أبو الوفا :

فى مزهرى ألحان أخشى أغنيهـــا
أخشى على الأوتار من هول ما فيها

وقال :

أريد .. وما عسى تجدى أريد
على من ليس يملك ما يريد

وقال :

أصبحت من خوف القبو د أخاف وسوسة القلائد

فقد افاد بشعره وخدم مثاليات رفيعة ، كما خدم الشعر الليريكى بنفحات جميلة ، من أشهرها قصيدته البديعة « تغريدة الّتى »يقول فيها :

صداحة الروض ما أشجاك أشجانا
نوحى بشكواك أو نوحى بشكوانا
ذاب الفؤاد أسى إلا بقيته
الآن اذرفها من عينى الآنا
للحب عندى سر لا أبوح به
إلا دموعا وأنات وألحانا
فى ذمة الله قلب لم يجد سكنا
يأوى إلى ظله ، فلرتد حيرانا
ياليل ساهره يا احلامه احتشدى
يا دمعه وانه سرا وإعلانا
يا حسن لبيك ان تأمر فها أنذا
من خير ما ملكت يمناك عبدانا
إن الذى صاغ آيات الهوى عجبا
لم يرض غيرى أنا للحب عنوانا
حسبي إذا الحب أضنانى فمت هوى
إن يذكرونى قالوا : كان إنسانا

وأبو الوفا فى حبه عفيف برىء ، وثائر على التقاليد التى تحرمه من يهوى ، وشاك دائما من الحيرة والحرمان :

كل نجم راح فى الـ ـليل بنجم يتنوَّر
غير قلبى فهو ما زا ل على الأفق محيَّر

يا قلب ويحك فاتئـد يكفى الذى بك من مواجد
من ذا تناغى فى دجى الـ ـليـل البهيم ومن تناشد
لغـة البـلابل أين تذ هب بين هدهدة الهداهد

حديقة الجار مالى فيك من طمع إلا كما يطمع الأطفال فى النار
أراك أبعد ما أصبحت من أملى وإن غدوت قريب الدار من دارى
تحويك قبضة جبار ووا أسفى على الأزاهر تحوى كف جبار
دعوا الأزاهر للزهار يحرزها فالزهر يذبل إلا عند زهار
ضاقت رحابة روحى عن سرائرها فيا لروحى كم تشقى بأسرارى

وهكذا نجد فى هذا الديوان الممتع الذى احتوى ما لا يقل عن ست وستين قصيدة ومقطوعة فى نحو ألف بيت روائع شتى من الشعر الرمزى والصريح ، فيها ابتهالات وشجون وحكم وفن ، وكلها تتجه اتجاها نبيلا. ومثل هذا الشعر تحتاج إليه الشعوب غذاء لروحانيتها ولهممها وعزائمها وجهودها البانية المصلحة .

وقد لا يعجب هذا الشعر محبى الأدب العزالى الجبرانى الخالص الذى ينحو منحى التصوف والاحتماء فيه والعزوف عن المدنية الحديثة ، ولكنه سيعجب حتى عشاق الأدب الريحانى الواقعى النزعة المطالب بالكفاح وبالتسامى العملى وبالأخذ لا الترك ، وهو أدب الحياة القوى .

وعلى الرغم من الخطوط القليلة التى يكتفى بها الشاعر فى رسم صوره أو فى تبيان خلجات نفسه فقد كان موفقا كل التوفيق وقد أرسل نفسه على سجيتها فى التعبير السمح بأسلوب موسيقى عذب عن جميع عواطفه ومراميه وجاء مرآة مصقولة للطابع التقليدى للشعر الغنائى المصرى . ويكاد يكون ديوانه جميعه شواهد أثيرة ممتازة .

ليس هذا بشعر التسلية فحسب ، بل هو شعر الحياة والتسامى والأمم العربية فى حاجة إلى كل ما ينهض بمستواها الاقتصادى وبمعيشة كل فرد على أساس اشتراكى رزين، مثل حاجتها إلى ما ينهض بثقافتها وآدابها وفنونها نهضة تزدوج مع نهضتها الأولى ، وبذلك تتوازن رفعتها توازنا صحيحا . وفى مثل هذا الشعر الحى مساهمة جديرة بالتحية والإعزاز .

د. احمد زكى ابو شادى

عنوان النشيد

بقلم الدكتور احمد زكى أبو شادى

حينما تهتم أمة بتنظيم حياتها وتوفير أسباب نهضتها فانها لا تهمل أيا من العوامل المؤثرة فى تنشئتها ، سواء أكانت هذه العوامل مباشرة خطيرة أم هينة .

ولا ريب أن الآداب والفنون ليست بأهون هذه العوامل ، كما لا ريب فى أن حسن استغلالها يعاون معاونة قيمة فى تربية الأمة وإعدادها لخير ما تتمنى ، ولا قيمة لهذه الفنون إذا لم تكن حرة منسجمة مع المبادىء الإنسانية العالية ، وإلا بقيت لهوا وتسلية واستحقت نعتا آخر وكانت مهربا فحسب من مواجهة حقائق الحياة .

ولا يطالب أى فنان بأكثر مما يستطيع جهده ، أى بأفضل مما تسمح به طاقته أو ميوله . ولكن إذا كان فى وسعه - غير متصنع - أن يكيف نفسه ، يستوعب المثل الإنسانية والمبادىء التقدمية فى شعره مثلا ، كان بذلك مسديا خدمة أجل للبشرية .

نسوق هذه المقدمة ونحن جذلون إذ نهتم بالكتابة عن ملحمة « عنوان النشيد » للشاعر المصرى المطبوع محمود أبو الوفا الذى يقول :

مجلة « صوت العروبة » ، العدد ٦٦ ، يناير وفبراير ١٩٥٩

استمع لى : ان من حق الحياه

للفتى إما يعش عيش إله

أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

ففى هذه الملحمة التى بلغ عدد أبياتها واحدا وخمسين وثلاثمائة (وقد أخرجتها مطبعة مصر بالقاهرة فى ثوب أنيق زادت فى رونقه الصورة الخلفية الملونة التى رسمتها ريشة الفنان لويس فلسطين) نجد شاعرنا يطوع مواهبه للنداء الإنسانى الذى ينطوى على الإصلاح التقدمى ، فيغنم الأدب الإنسانى كما تغنم العربية من هذا المجهود الجديد الموفق . وليس هذا بغريب عن محمود أبو الوفا ، فان البذور الأولى لتفكيره هذا ملموسة فى ديوانيه السابقين « أنفاس محترقة » « وأعشاب » ، وهى بذور السخط على الفساد وعلى الظلم الاجتماعى وغير الاجتماعى ، وهى بذور الحرية وحق تقرير المصير ، وهى بذور التسامى عن الدنايا كيفما كانت بواعثها وألوانها :

وأبو الوفا هو القائل عن روحه الهادى فى « عنوان النشيد » :

وبدا فى الروح روح الهيمان

فهو لا ينزل فى أى مكان

دون أن يسأم من هذا المكان

ما له يا ليت شعرى - لم طار ؟

هل تراه إذ رأى الظلم استطار ؟

وكأن الدهر بالناس استدار

فأمور الخلق فى أيدى الصغار

وكأن لم يبق فى الدنيا كبار

قال : لا . لم يبق لى إلا الفرار

وهو الذى يناجى ذلك الروح النازح الساخط على المجتمع بقوله :

أيهذا الروح هل لى من جواب ؟

هل أظل العمر أدعو لا أجاب؟
أى غاب أنا فيه أى غاب
فاتنى للروح من غير صحاب
للنمور الجرد للأسد الغضاب
للأفاعى الزرق، أو زرق النياب
والعجيب الآن فى غاب العجاب
أن هذا الغاب يحمى بالكلاب
الكلاب السود أشباه الذئاب

يدور هذا النشيد أو الملحمة حول تمجيد الفضيلة القوية ، وهى وحدها للقوة التى يحترمها الشاعر الذى يعتبر الضعف فضولا فى هذه الأرض ويرى أن « قانون البقاء ».

وهو ما فى الناس يدعى بالقضاء
قد رأى فى هؤلاء الضعفاء
أنهم فى الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات فى الزرع سواء

وهو بروحه الشعرية يعتبر أن « آدم » نزل الأرض مختارا وأنه سأل الله تعالى أن يهبه حق تقرير المصير فاستجاب الله إلى دعوته . وهو ينعى على الإنسان ضعفه وتردده وجهله باستثمار اقتداره ومواهبه . كما أنه يمجد أمنا الأرض إلى آخر بيت فى ملحمته ، إذ يناجى روحه الهادى أو روح السماء الذى فر من الأرض سخطا على ما فيها من آثام ومظالم . وراح شاعرنا يبحث عنه قارعا باب ذى العرش المجيد فى بحثه ولنشدانه الحق ، ولا يفوته أن يسخر غير مرة من محتكرى النفوذ ومن بهلوانيتهم فى التغرير بالجماهير ، فيقول على لسان ذلك الروح السماوى الساحر :

وقصارى القول فى أى مكان

كنت فيه كنت أنت البهلوان
هوذا ياصاح فن الامتنان
وهو فى العلية فن اللمعان
وهو ذا أعظم فن فى الزمان

ومع أن هذه الملحمة القيمة مقاطيع أو أبياتا كان يمكن الاستغناء عنها لأنها بمثابة تكرار أو إشباع أو توكيد لا موجب له ، ومع أن بعضها ضعيف النسج مثل مقطوعته عن تساؤل آدم، إلا أن فيها فرائد ممتازة جديرة بالتنويه بها سواء أكانت مبتدعة أم متّرددة ، فمن هذه الأمثلة الجميلة قوله :

وتغنى الروح لحنا فأجاده
قال : ان الضعف والقوة عاده
من يوجه وجهة الأمر اعتياده
يصبح الأمر له رهن الإراده

ان فى الإنسان طاقات اقتدار
آه لو يعرفها كيف تدار
آه لو يقوى اعتدادا وإراده
لاستغل الأرض أفقا للسياده

أنت يا إنسان للأرض الملك
كيف لا تحكم فيما تمتلك
بينما الدنيا جميعا هى لك

آدم قبلك بالأرض افتتن
فاشتراها بائعا فيها « عدن »

يا ضعيف الرأى اياك تظن
أنه أسرف فى هذا الثمن
أنه عن قوة الطبع نزع
وللاستقلال بالملك ابتدع
لم يكن « آدم » مسلوب الجنان
يوم لم يذعن لسلطان الجنان

ليس يرضى رجل حر الفؤاد
عن حياة ما له فيها جهاد
خير مافى النفس هذا الاعتداد

ان « آدم » فى عرف المؤلف الشعرى اشتاق حريته بأى ثمن فابتهل إلى الله قائلا :

رب هب لى حق تقرير المصير
هذه أولى .. وأخرى طلبتى
أعطنى حقى فى حريتى
ثم خذ ما شئته من جنتى
ولتكن مهما تكن لى قسمتى
هكذا « آدم » من فوق الجنان
هبط الأرض على رأس الزمان
وكذا الانسان قد أرضى عناده
وعلى ملك الثرى شاد عتاده

ولكن شاعرنا لايعزيه أن ينسى نسل « آدم » تقاليد جدهم الأول الذى شغف بهذه الأرض كما حسب الشاعر : ولذلك قال الإنسان :

ليته وجه للأرض الدعاء
مثلما وجهه نحو السماء
غير أن النفس لما استرخصت
طينها لم تعطه حق العباده
ولهذا فقدت حقّ السياده
دون أن تشعر ، والأشياء عاده
بينما الإنسان لو شاء استعادهْ

ومن أجمل مقطوعاته هذه التي يوحي فيها إلى الإنسان الثقة بذاته والعمل لمجده فقال :

آه لو آمن إنسان بذاته
لأتى في الأرض كبرى معجزاته
ربما كان إلها في صفاته
حل منه الروح في كل جهاته
ليس للإنسان إلا ما ملك
فهو إن شاء تردى فهلك
وهو إن شاء إله أو ملك

ومن خير شعره الاجتماعي في هذه الملحمة قوله :

أيها الناس ألا من يخترع
اختراعا واحدا يشفي الطمع
ويداوي الناس من داء الجشع
اضمنوا لي الآن هذا الاختراع
وأنا أضمن اشباع الجياع
ليت من نادى بتحرير البقاع

كان قد نادى بتحرير الطباع

ومع ذلك تمنى ختام ملحمته لو أن لقاءه بروحه الهادى — روح السماء — كان على هذه الأرض ، وإذا كان ثمة رجاء فى الأرض لتحقيق الرجاء .

لا تقل لى فى غد عند السماء
سوف تلقى الروح أو تلقى الصفاء
ولماذا لم يكن هذا اللقـــاء
ها هنا فى الأرض إن كان لقاء

وهكذا نجد الشاعر محمود أبو الوفا فى هذه الملحمة يسمو إلى منزلة الشاعر الوطنى المصلح الرائد، الشاعر الإنسانى الذى يحس فطريا بأنه وفنه وفكره وقف على خير البشرية ، وأن الإنسان فى ذاته أعظم ملحمة شعرية على هذه الكرة الأرضية ، وأن هذه الحياة ليست مجرد أكل وشرب ولهو ، بل هى تجارب شاملة منها وإليها ، لا دربا واحدا ولا تجربة محدودة ، وأن الشاعر ليس دون سواه من اقطاب الأمة فى الريادة والإلهام نحو مثل أعلى ، وعلى الأخص فى البيئات التى أورثتها أزمنة الانحطاط السابقة ، روح التواكل والقدرية الخاطئة والتعلق بالأوهام وحب الاختباء فى الكهوف بدل الاندماج فى موكب الحضارة والانتفاع بنور العلم . وهو فى كل هذا لا يأتينا بحِكَم زهير بن أبى سلمى ، ولا بأنسيات بوب Pope ، وإنما يأتينا بما توحيه إليه بيئته المصرية وروح العصر الحاضر ، ولذلك نعد ملحمته هذه لبنة صالحة فى بناء الشعر القومى الشريف الإنسانى الصبغة .

د. احمد زكى ابو شادى

الأعشاب

للشاعر محمود ابو الوفا

بقلم الأستاذ سيد قطب

أذكر أنى حاولت مرتين فى حياتى أن أخضع الشعر للضرورات اليومية ، وأذكر انى اخفقت إخفاقا شنيعا فى المرتين ، فكتبت أبياتا سقيمة سخيفة المعنى والأسلوب كأنى ناظم مبتدىء لا تطاوعه الكلمات ، ولا يزال صديقى الشاعر « عبد العزيز عتيق » يحفظ لى إحدى هاتين السقطتين ويهددنى بإفشائها فينشر على الناس بتوقيعى أبياتا فى تهنئة عروس تبتدئ هكذا :

نسمت لنا الأيام فلنبسم كما شاءت لنا ، نعم الفتى متبسما !

وتسير فى هذا المستوى الركيك حتى تنتهى شرا مما ابتدأت، وبعد ذلك عرفت ان الإنسان اما ان يكون شاعرا وإما أن يكون مسجل مناسبات فى التهانى والمدائح والمراثى والوداع والاستقبال ، وفهمت أن كراهيتى وحنقى على شعر المناسبات إنما منشؤه طبيعى داخلى فى استعدادى وليس فكرة يهدى إليها العقل أو تساميا يوحى به الخلق .

تذكرت ذلك كله حينما تصفحت ديوان « الأعشاب » للشاعر محمود أبو الوفا ، فوجدته فيه شاعراً حين يقول الشعر ، ولكنه حين

الأهرام ، أبريل ١٩٣٤ .

يعمد إلى الأمداح والمناسبات — وأحسبه لا يعمد ولكن تقسره الحياة القاسية — فإن المسكين يقع فى الورطة التى وقعت أنا فيها من قبل فيسف ويضعف حتى فى رصف الكلمات ، وفى الواقع لقد تألمت وتأسفت إذ وجدت « محمود أبو الوفا » الشاعر يضطر تحت ضغط الحياة الهائل وقسوتها المحضة أن يترك شاعريته التى هى استعداد لإنتاج لون طيب من ألوان الشعر ، ويتجه فى جزء من ديوانه إلى عدة مدائح واستقبالات لأشخاص أو لمؤلفات ليس من طبيعته أن يتجه إليها وحقيقة أن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ، وشعر المناسبات آلم من أكل الحرة بثدييها ولكنها ربما اضطرت للأكل بثدييها إذا قرب منها شبح الموت جوعا . وها أنذا وأنا أقسى الناس على شعر المناسبات وأشدهم سخطا على قائليه أجد فى نفسى كثيراً من التسامح مع الشاعر أبو الوفا بمقدار ما أجد من النقمة والحقد على الذين يستطيعون أن يمحضوا هذا الشاعر للشعر ويجعلوا منه مصورا للون من ألوانه .

ولا شك أن الحياة تكسب به ، ولكنهم لا يريدون : أولئك الذين يقول هو فيهم بألم مرير .

رضيت عن معشر ما خلت فيه فتى   يجود عن رغبة يوما بمثقال
أستغفر الله ، بل الا لزمرته   فمن نديم ، لقواد ، لدجال
لا أكذب الله : أنى قد بلوتهمو   حتى نخلت سجاياهم بمنخال

ومهمه تأكل الأصداء افحنه   بين الشجى والوجى ألقيت أثقالى
أعملت فيه العصا على أرى رجلا   قد قيل عنه كريم العم والخال
فما تبينته حتى لقيت به   جشما ولكنه من قلبه خال !
آلى على جاهه لا يستظل به   إلا الظباء ذوات الدل والخال

وبعد فلندع لأبي الوفا ظروفه القاسية التي اضطرته أن ينزل جانبا من ديوانه على حكم الضرورات اليومية القاهرة ، ولنسقطه من حسابنا حين نتحدث عن شعره ، فليس ذلك شعرا في أساسه حتى يحتمل النقد الأدبي : ولنأخذ في الحديث عن الجانب الشعرى فيه ، وهو في هذا الديوان نوعان : نوع أوحت به الشاعرية المطلقة السمحة ، وآخر أوحت به الظروف اليومية ولكنه جاء شعرا لأنه صادر عن الجانب النفسى المصطدم بهذه الظروف اليومية .

وعلى وجه الإجمال فشعر أبي الوفا ذو لون واحد فى كل الأحوال ، والإجادة هى فى إظهار هذا اللون واضحا صافيا ، وعدمها فى قلة إتقانه ، ولكنه هو هو لون واحد فى كلتا الحالتين .

ليس فى شعر أبو الوفا وثبات وسقطات ، ولا تصعيد وتصويب ، ولا مشقة وإجهاد . وإنما هو كالجدول الرقراق ، السارى فى سهولة بين سهل منبسط ، فهو عذب النغمة ، وهو صافى المعنى ، وهو هادئ العاطفة . ولكن كما يصفو الجدول ويروق ويعذب ، أو كما تمايل « الأعشاب » أمام الهواء ، ولن يضطرب اضطراب البحر او ينفجر انفجار البركان او يثور ثورة العاصفة او يهتز اهتزاز الدوح الباسق . وعجيب أن يكون هكذا شعر ابى الوفا بينما حياته كلها منعرجات وصخور وكلها قسوة وعنف ، ولكن الطبيعة الأصيلة تكيف الواقع حسب خلقتها .

وتلمح فى شعر ابى الوفا لهفة المحروم حين يفقد وجشع المحروم حين يجد ولكنها لهفة وجشع هادئان ، امر طبيعى يقع كل يوم فلا يلفت نظر صاحبه و نظر الناس ، فتسمعه يقول فى « حديقة الجار » :

حديقة الجار مالى فيك من طمع إلا كما تطمع الأطفال فى النار
أراك أبعد ما أصبحت من أملى وإن غدوت قريب الدار من دارى

تحويك قبضة جبار ور أسفى على الأزاهر تحوى كف جبار

فتلمح فيها لهفة المحروم الذى لا يهم بإطفاء هذه اللهفة ، ولا يجشم نفسه تعب إروائها ، بل يكتفى بالأسف من بعيد ، وتسمعه يقول فى « يوم اللقاء » :

آه يا يوم اللقـــاء ليتنى كنت إلهـــا
كنت صيرتك فى الأيـ ـام يوما لا يضاهى
لأمرت الشمس تبقى فيك لم تبرح سماها
ثم امددتك شهرا رافلا تحت ضياها
فاستحمت بالضياء الـ أرض من جور دجاها
وارتوت بالنور حتى نسيت طول ظماها
وابحت الناس للنـــا س خدودا وشفاها
فقضى الناس جميعا كل نفس مشتهاها
فاذا ما كل نفس بلغت فيك مناها
عدت فاستغفرت للدنـ ـيا جميعا من خطاها
وتناسيت لحـــــوا ء ومن كل غواها

فتلمح فيها جشع المحروم حين يجد أو يتصور انه وجد ، وأكثر تلك اللهفة وهذا الجشع على المرأة . فالمرأة على أمثاله أبعد منالا حتى من المال ، فهو أكثر لهفة عليها وأكثر جشعا فى الاستمتاع بها ، وتلمح ذلك فى قوله :

وابحت الناس للنا س خـــدودا وشفاها
فقضى الناس جميعا كل نفس مشتهاها

وهو بطبيعة الحال فى مقدمة الناس !

ويظهر هذا الجشع حين يتغزل فى بنات النيل جميعا ولا تكفيه واحدة أو عشر ، وحين يحسد الديك لأن حوله عددا كبيرا من الدجاج

فيا له سيداً مطاعاً متاعه ليس بالقليل

والمرأة هى التى توحى بمعظم شعر الديوان لأبى الوفا إيحاء اللهفة والجشع كما قدمنا ، ولكن فى اللون الواحد الذى يجيده ، وهو اللون السهل الهادئ كالجدول الرقراق .

ولست أنسى فى هذا الموضع أن أعجب بالقصائد المتتابعة فى هذا المضمار ولا سيما « علم العذارى » التى تكاد تكون فريدة فى شعر أبى الوفا كله فى التصوير .

فهذه العذراء التى رسمها لنا تفكر وتطيل التفكير وحولها كل مايرغب من مظاهر الحياة ، ولكنها تحلم من الناحية المسحورة فيها ، فى الأنوثة التى تطلب غذاء ، وإذا بالشاعر يحس ذلك ويفهم السر فى إطراقها

آه إن السر أنبا عنه ذان الطائران
حينما مالا على غصنيهما يعتنقان

أجل فذلك سر الفتاة ، وهو كذلك سر الحياة !

فالجانب الآخر من شعر أبى الوفا ، وهو جانب السخرية الأليمة ، ولكنها ليست السخرية القاسية العميقة ، بل سخرية الحياة اليومية التى يجرى بها اللسان تعليقا على الواقع أو مايظنه الواقع ، وهى سخرية مسلية أكثر منها منفرة أو مؤلمة .

فاسمعه يقول :

ضمان أن تعيش بمصر عيشا رغيدا لا تنغصه الليالى
فنافق ما استطعت بها نفاقا وعش ذنبا لأصحاب المعالى

أو وهو يقول :

أخى قل لى ولا تخجل   بماذا قد ترقيتا
وما أنت بذى جاه   وعمرك ما تزوجتا

وأعمق من ذلك قطعة طريفة فيها تحليل منطقى ولكنه عميق الاتصال

لا تلمه إن لم يعنك بجاه   هو قد باع نفسه واشتراه
فحرام إن باعه دون ربح   أو بشيء أقل مما اشتراه

كم تحاز بها ترضى رئيساً   قبل ان يغدى عليك رئيسا
فإذا شئت أن تنال رضاه   فأته بالذى أتى مرءوسا

وإذا كان فى « الأعشاب » جانب اسقطناه من الحساب لأنه ليس شعرا فهناك بعض قصائد هى شعر ولكنها فى مستوى اقل من الديوان وكان الواجب حذفها ، وهى :

« اسمعونى صوتكم » ، « ثورة » ، « الجسر والنهر » ، «القمر» « لسان حال » .

والآن لعلى بتحليل الديوان قد قمت بالواجب الفنى الذى لا أملك سواه ، ولعل الآخرين الذين يستطيعون القيام بالواجب العملى لا يدعون الجزء الثالث من ديوانه فريسة للظروف القاسية ، وهو خليق ان يكون للحياة السامية .

سيد قطب

هذا شاعر

بقلم الأستاذ سيد قطب

هذا شاعر :

شاعر ولو لم ينظم بيتا واحدا من الشعر :

شاعر لأن روحه الطليقة استطاعت أن تخلص من قيود الضرورات البائسة التي تكبل حياته من نشأتها ، وأن تنطلق بعد ذلك مرفرفة ، ترى فى هذه الأرض جمالا ، وفى تلك الحياة متعة ،

شاعر لأن قلبه الودود استطاع أن يرق ويصفو ، فلا تغشيه الأحقاد الذميمة على هذا الكون الظالم له ، ولا يضطغن فى قرارته على هذه الدنيا التى كشرت فى وجهه ، والتى عاقبته فى قسوة على بعض ابتساماته كما يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى ... أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

هاج الجواد فعضته شكيمته ... شلت أنامل صناع الشكيمات

لقد لقى هذا « الإنسان » من دنياه ما كان كفيلا أن يركسه فى حمأة الضرورات اليومية الصغيرة فلا يرفرف ولا يغنى ، وعانى من الحياة والناس

المقطم ، ١٠ فبراير ١٩٥٠

ما كان جديرا بأن يختنق روحه بالأحقاد والآلام فلايرف ولا يصفو . والشاعرية وحدها هى التى أنقذته من الضرورات الهابطة ، ومن الأحقاد الخانقة ، فانطلق يغنى .

ولكل شاعر آلام ، ولكنها آلام رفيعة حبيبة ، تغذى روحه ، وترهف إحساسه . أما آلام « أبي الوفا » فقد كانت فى وقت من الأوقات من نوع آخر ، من نوع يطمر القلب ويكتم الأنفاس . من نوع يتعلق بضرورات الحياة. وهذا يكفى ، فما أريد أن أهيج آلام هذا الإنسان الحساس : فحسبه أنه كان شاعراً بين هذه الآلام . فاستمع إليه يصور بعض ماعاناه ، اسمعه يتوجه إلى فيكتور هيجو صاحب « البؤساء » فيناديه :

يا صاحب البؤساء جاءك شاعر　　يشكو من الزمن اللئيم العاتى
لم يكفـــه أنى على عكـــــازة　　أمشى فحـط الصخـر فى طرقاتى

وهذه حقيقة لا مجاز ، فليعرفها من لا يعرفون شخص أبي الوفاء ، وماذا لقى من الكون والزمان ؟

فى ذمة الله نفس ذات آمــــال　　وفى سبيل العلا هذا الدم الغالى
بذلته لم أذق فى العمر واحـــدة　　من الهناء ولا من راحة البـــال
كأنى فكرة فى غير بيئـــتها　　بدت فلم تلق فيها أى إقبـــــال
أو أننى جئت هذا الكون من غلط　　فضاق بى رحبه الملآ هول والخالى

وماذا لقى من الحياة والناس ؟

ومهمه تأكل الأصداء لفحته　　بين الشجى والوجى ألقيت أثقالى
أعملت فيه العصا على أرى رجلا　　قد قيل عنه كريم العم والخال
فما تبينته حتى لقيت بــــــه　　جسما ولكنه من قلبــه خــال

آلى على جاهه لا يستظل به غير الظباء ذوات الدل والخال

* * *

كان هذا وأمثاله جديرا بأن يطمر الشاعر فى حمأة الضرورة ، فاذا انفلت منها انفلت حاقدا مضطغنا ، أوعلى الأقل ساخطا متبرما . ولكنك تقرأ دواوين «أبو الوفا» فتجد شعر الضرورة وشعر السخط قلة قليلة ، ولاتجد مرة واحدة شعر الحقد ولا شعر الضغينة .

إنه ليسخط فى بعض الأحيان فيكون أعنف سخطه على الأبوين اللذين جاءا به لمثل هذه الحياة :

أبى .. وفى النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا للبؤس أمثالى
خلفتنى فوضعت الحبل فى عنقى تشده كف دهر جد مختال
ماكان ضرك لومن غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالى

وإن السخط لينقلب سخرية فى بعض الأحيان ، حين يكون الواقع من المزل بحيث يقلب السخط إلى سخر .

ذلك كقوله فى مرارة مستورة :

ضمان أن تعيش بمصر عيشا رغيدا لا تنغصه الليالى
فنافق ما استطعت بها نفاقا وعش ذنبا لأصحاب المعالى

وكقوله فى سخرية لاذعة :

لا تلمه إن لم يعنك بجاه هو قد باع نفسه واقتناه
فحرام إن باعه دون ربح أو بشىء أقل مما اشتراه

كم مخاز بها ترضى رئيسا قبل أن يغتدى عليك رئيسا
فإذا شئت أن تنال رضاه فأته بالذى أتى مرءوسا

أو كقوله فى ايماءة إلى واقع مخجل :

أخى قل لى ولاتخجل بماذا قد ترقيتا
وما أنت بذى جاه وعمرك ما تزوجتا

ولكن « الشاعر » فى أبى الوفاء ما يلبث أن ينفلت من ركام الضرورة ومن آلام الواقع ويرف فى أجواء الشاعرية ، فتعود القيود المعنوية هى التى تؤذيه ، القيود التى تحرمه وتحرم الحياة كل طلاقة الفن ورقرقة الشعر ، ولكنه يشكو فى غير عنف ، ويتململ فى غير حقد :

أريد وماعسى تجدى « أريد » على من ليس يملك ما يريد
أريد أفى إلى الدنيا فأعطى لها الثمن الذى يبغى الوجود
أريد العيش مثل الطير حرا طليقا لا تغلله القيود
أريد أفك عن نفسى قيودا يقاد بها على الخسف العبيد
أريد من الغرائز أن تسامى فلا طمع يذل ولا حقود
أريد من الغنى حظا كنفسى كفاء ليس ينقص أو يزيد
أريد لهذه الدنيا سلاما أريد الحب فى الدنيا يسود
أريد لهذه الأنهار تجرى هنا وهناك ليس لها حدود
أريد لهذه الأطيار تشدو كما يبغى لها الصوت المديد
أريد لهذه الآمال تسمى وتزهو فى الحياة كما أريد

أريد وما عسى تجدى أريد   على من ليس يملك مايزيد

بهذه الأمنية الجميلة يتوجه إلى الحياة ذلك الشاعر الذى خاصمته الحياة ، وبهذه الدعوة الخيرة يصلى فى محرابها ، ويريد لها « الحب » و « السلام » .

وليست هى بالفريدة فى الديوان ولاهى بالقليلة الأمثال ، بل إن الشاعر لينص على رسالته فى الحياة فاذا هى الحب والسلام .

علينا نؤدى للحياة رسالة   هى الحب حتى ليس للحب مانع

وان الجمال والحب لهما وحى أغنياته ، ومدار سبحاته فى هذا الكون الذى ينبض بالحب ، ويتراقص بالجمال ، فتلمحه عين الشاعر ويخفق له قلبه وينسى الهموم والأثقال ، وانه ليؤمن بالحب حتى لكأن للدنيا كلها حان خمره الحب ، ينزل به كل ركب فيكرع من كأسه الروية ، ويخلف الكأس مترعة للركب المقبل من بعيد :

ولا تحسبنا ابتدعنا الهوى   ولا أننا فى الهوى وحدنا

فقد ظلل الحب من قبلنا   وسوف يظلل من بعدنا

لقد مر بالحان أهل الهوى   جميعاً وخلوا لنا كاسنا

وهو الحب المرفرف اللطيف يتراءى لهذا الروح الشفيف فيرنو إليه لحظة ثم يغنى :

« يغنى » وهذه سمته ؟ . .

فهو شاعر الغناء فى موضوعه وفى تعبيره . يغنى وهو يزفر ، وهو يشكو ، وهو يترنم فى ابتهال . يغنى فى رقة تكاد تسيل فى بعض المقطوعات

هذه قطعة يجللها الأسى ، ولكنه أسى يغنى :

ياليل هل ترثى لواجد ياليل أنت عليه شاهد

أشكو الوسائد للمـــرا قد والمراقد للوسائـــــد

وجد أقض مضاجعـــى هيهات ينجو منه واحد

* * *

أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد

* * *

ياقلب ويحك فاتئد يكفى الذى بك من مواجد

من ذا تناغى فى دجى اللـ يل البهيم ومن تناشد

لغة البلابل أين تذ هب بين هدهدة الهداهـد

وهى نموذج لكثير من شعر الديوان .

« شاعر » و « شاعر غنائى » . هاتان هما السمتان البارزتان فى «أبو الوفاء» ، وإنهما لكافيتان بذاتهما لتسجيله وتمييزه فى ديوان الشعراء ، ثم تختلف الآراء بعد ذلك فى تعيين مكانه كما تشاء .

سيد قطب

هذا شاعر .. هذا شاعر

بقلم كامل الشناوى

الاثنين

هناك حقيقة ثابتة ، هى أن الدولة لم تعترف بالفن والأدب والعلم إلا فى عصر الثورة . فنى هذا العصر أصبح للعلم والفن عيد رسمى ، وصار للإنتاج الفنى والذهنى جوائز مالية ظفر بها العلماء ، والفنانون ، والكتاب ، والشعراء .

ولأول مرة يصدر فى بلادنا قانون يسمح لأصحاب المواهب بالتفرغ للإنتاج . وصحيح أن هذا القانون تم تطبيقه فى حدود ضيقة ، وشمل بعض أشخاص قد يتساءل الناس عن سر تطبيق القانون عليهم دون غيرهم . ولكن صحيح أيضاً أنه من الممكن أن نتوسع فى حدود تطبيق القانون ، وأن نختار أشخاصاً لا يثير اختيارهم علامة تعجب أو علامة استفهام .

وفى مصر شاعر أصيل ، كادح ، يواجه عاهة دائمة ، وفقرا يتفق مع عاهته فى صفة الدوام ، وقد تجاوز الستين من عمره ، ومازال يتردد على عمله كل يوم متوكئا على عكازة . وما هو هذا العمل . إنه التصحيح فى إحدى المطابع . ولو استغنت عنه المطبعة لمات من الجوع . وهو يقيم فى مسكن متواضع ، إيجاره الشهرى مائة وعشرون قرشاً . ولا يتوفر له

يوميات الأخبار :

فى هذا المسكن جو الراحة النفسية ، أو الدراسة العلمية ، أو الترفيه الذهنى ، فليس فى بيته تليفون ، أو راديو ، أو تلفزيون . وهذا الشاعر يعيش بأفكاره ومشاعره وانفعالاته ووثبات ذهنه كل دقيقة من يومنا ، بل كل دقيقة من غدنا . وهو عصامى بنى نفسه كفنان أصيل ، وبنى نفسه كشاعر عميق ، نابض ، أحس إنسانيته ، وآمن بالإنسان .

هذا الشاعر الكبير هو محمود أبو الوفا . وما أكثر ما كتبت عنه ، ونبهت إلى أنه يعيش بيننا ولانكاد نشعر بقيمته ، وموهبته . ولكنه إذا مات بعد عمر طويل سيثير ضجة فى كل أنحاء العالم العربى . فهو على الرغم من انطوائه على نفسه ، وابتعاده عن الأضواء العالية ، يلقى من المفكرين والمثقفين فى شتى البلاد العربية تقديراً لم يظفر بمثله إلا الأقلون .

قال فيه شوقى منذ أكثر من ثلاثين عاما أبياتاً لمناسبة سفره إلى أوربا لتركيب ساق صناعية فقال :

سباق غايات البيان جرى بلا
ساق فكيف إذا استرد الساقا
لو يعرف الطب الصناع بيانه
أو لو يسيغ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته فلم يصنع له
إلا الجناح محلقاً خفاقـــا

ونظرة الأدباء المحافظين إلى أبى الوفا لاتختلف عن نظرة الأدباء المتحررين . مصطفى صادق الرافعى يقول عنه : « إنه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربى بهم ، وهم قليل فى زمننا » .

والشاعر المصرى العربى المجدد زكى أبو شادى يشيد بشعر « أبو الوفا » .

والأديب العربى الفليسوف ميخائيل نعيمة يضع « أبو الوفا » فى طليعة الشعراء المفكرين .

والأديب العالم فؤاد صروف يقول : « لعل بحثى المبهم عن هذه الصفة فى الشعر حملنى على الإعجاب بشعر « أبو الوفا » إذ قرأت له :

لغة البلابل أين تذ ... هب بين هدهدة الهداهد

فتمثل لى العراك العنيف بين الخير والشر ، وبين الضعف والقوة ، منذ فجر الحياة البشرية على الأرض إلى يوم الناس هذا ، فى صورة قليلة الخطوط ، زاهية الألوان .

وإذا قرأت له :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى ... أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى

فأحسست بصدق الشعور ، وتجلى لى ألم النفس ، فتخيلت أنى الشاعر ، أراجع ما عاقبتى يه الدنيا على بسمات ساذجة كبسمات الطفل ، فردتنى ناقما ساخرا تمنعنى نقمتى وسخريتى من أن أحاول الابتسام ثانية .

وإذ قرأت له :

كأننى فكرة فى غير بيئتها
بدت فلم تلق فيها أى إقبال
أو أننى جئت هذا الكون عن غلط
فضلق بى رحبه المأهول والخالى

إن ديوان أبو الوفا صفحة من حياته . وحياة الشاعر حياة الإنسانية فى قمة أملها وألمها فى عقله حيرتها ، وفى وجدانه معركتها . فأنت ترى الحياة فى هذا الديوان قطرة ندى ، وشذا وردة ، وثورة بركان ، وإيمانا وبؤسا ، وأملا وإرادة صلبة ، وأنفاسا محترقة .

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل من ثلاثين سنة مضت ، « إن فى ديوان « أبو الوفا » من الشعر ما يقف إلى جانب خير ما ظهر من الشعر فى هذا الزمن الأخير .

والزمن الذى يعنيه الدكتور هيكل كان زمن شوقى والعقاد وشكرى ومطران والمازنى الخ ..

الشاعر ينمـو

كانت هذه الأقوال، أو أكثرها، تعبر عن آراء أصحابها . فى الشاعر قبل أن ينمو ، ويعمق ، ويتطور ، كان فى ذلك الحين شاعرا رقيقا فى غنائه ، وبكائه ، وفى تمرده وشكواه .

ولكنه الآن تجاوز هذه المرحلة إلى قمة عالية من قمم الشعور والتفكير والتعبير ، ولم يفقد فى مجالاته الجديدة أسلوبه النابض بالعذوبة والموسيقى .

والصفة التى لازمت «أبو الوفا» من شبابه إلى شيخوخته هى التمرد ، والثورة ، والانقضاض بعنف وذكاء على كل ما لا يرضى عنه .

فقد رثى أباه الذى كان بائسا وفقيرا وأنجب أولادا مثله فقراء بائسين. فماذا قال ؟ إنه لم يستعر أسلوب أحد فى الرثاء ، ولكن صب نقمته على الأبوة والأمومة معا من خلال الدموع . قال :

أبى .. وفى النار مثوى كل والدة
والد .. أنجبا للبؤس أمثالى

خلفتنى فوضعت الحبل فى عنقى
تشده كف دهر جد ختال

ما كان ضرك لو من غير صاحبة
قضيت عمرك .. شأن الزاهد السالى

وقد ظل أبو الوفا مغمورا إلى أن غنى له محمد عبد الوهاب قصيدة « عندما يأتى المساء » . وهى من أعذب الشعر الغنائى ، وفيها يقول :

عندما يأتى المساء ونجوم الليل تنثر

اسألوا لى الليل عن نجـ		مى متى نجمىّ يظهر
عندما تبدو النجوم		فى السما مثل اللآلى
اسألوا هل من حبيب		عنده علم بحالى
كل نجم راح فى الليـ		ل بنجم يتنور
غير قلبى . . فهو ما زا		ل على الأفق محير
يا حبيبى لك روحى		لك ما شئت وأكثر
إن روحى خير أفق		فيه أنوارك تظهر
كلما وجهت عينى		نحو لماح المحيـا
لم أجد فى الأفق نجما		واحدا يرنو اليـّا
هل ترى يا ليل أحظى		منك بالعطف عليا
فأغنى وحبيــبى		والمنى بين يديا

وبعد ما غنى عبد الوهاب هذه القصيدة ذاع اسم الشاعر ، وأحس مسئوليته أمام القراء ، فأخذ يتعلم ويتثقف ، واتجه إلى دراسة مذهب ليتشه الفيلسوف الألمانى الذى كان يؤمن بأن البقاء للأقوى ، ولا مكان للضعفاء ، وقد استعان على دراسة نيتشه بآثاره المترجمة إلى اللغة العربية ، ووجدت نزعة نيتشه تجاوبا مع طبيعة الشاعر.

وفى عام ١٩٥١ نظم قصيدة « عنوان النشيد » ، وفى سنة ١٩٥٥ نظم قصيدة « النشيد » ، وفى هذه الأيام أصدر ديوانه الجديد « شعرى » ، وقد تضمن هذا الديوان بعض ما نظمه الشاعر قبل النشيد وبعد النشيد ، وهو يشرح مفهومه لأفكاره وأشعاره بكلمة قصيرة يقول فيها :

« الإنسان ابن الثورة .

الإنسان ثائر ، والطبيعة ثائرة ، والحياة ثائرة .

وهل يكون الإنسان إلا كما تكون الأرض ، والطبيعة ، والحياة ؟

إن آدم بوصفه الإنسان الأول ، كان الثائر الأول .

أليس كذلك :

من هذه الفكرة البسيطة جرى بنا القول فى « عنوان النشيد » ثم فى (النشيد) ، كما جرى بنا القول أيضا من مفهوم هذا المعنى ذاته فى قصيدة لنا نشرناها فى مجلة « المقتطف » سنة ١٩٣٠ كانت هذه القصيدة بعنوان « الإيمان » ، وفى هذه القصيدة قلت هذين البيتين :

ما أرى آدما عصى الله لكن شاء أن يستقل بالسلطان
يكره الحر أن يعيش على السجـ ن ولو كان سجنه فى الجنان

والحق أقول إن قصيدة « الإيمان » هذه بجميع أبياتها كانت عندى فى وقتها بمثابة البرقية الذهنية ، والحركة الحيوية الأولى ، أو الومضة للفكرة التى من أجلها قد ظهر فيما بعد « عنوان النشيد » بل « النشيد » أيضا . وقد لا يكون فى هذا شيء غير عادى ، ولكن المدهش حقا أن هذه الومضة لم تكد تومض فتلمع فى قصيدة الإيمان حتى تعود فتخبو وتنطفيء تماما ، كأنها لم تكن. ويطول الأمد، ثم يطول جدا جدا . ويأتى عام ويمضى عام، ولا أنا قادر على الكتابة فى هذه الفكرة ، ولا أنا بقادر على نسيانها . وفجأة، وفى ذات صباح ، إذا بى أمام .. أمام ماذا ؟ إنه « عنوان النشيد » ، وإذا الوقت هو أول يوم من شهر رمضان المبارك عام ١٩٥١ ، أى أنه قد مضى علينا منذ نشر قصيدة الإيمان أكثر من عشرين عاما . والأغرب من هذا أن هذه الظاهرة بعينها تكرر نفسها معى فى « النشيد » ولكن فقط بصورة زمنية أقل ، فإنه لم يمض سوى بضع سنوات وإذا بى فجأة أيضا أجدنى أكتب « النشيد فى صيف ١٩٥٥ ! »

ثم يقول :

كانت هذه الفكرة هى التى أقدمها إليك الآن مجلوة واضحة فى قصائد « عنوان النشيد » و« النشيد » و« الإيمان » .

وفى هذه القصائد بالذات نوع من الشعر ، إنه ليس مجرد شعر ، ولكنه

الشعر بكل معنى هذه الكلمة . وشيء آخر هو الفكرة ، هو الثورة . وليس هذا فحسب ، إنه ناقوس ، إنه أذان . إنه الإيمان ، ولكن بالإنسان . إنسان الفضاء ؟ كلا . إنه الإنسان الذى تلتقى فيه الأرض بالسماء . بل هو إنسان الفصل الخامس كما يطيب لى أن أسميه ، أو هو الإنسان الثائر الذى أقول فيه :

لا يبالى بالمسافات ولا بالذى يعنيه كسب الموقع
الذى يسأل عن موضعه سوف يمضى ماله من موضع
أنا لا أبغيك ريحا أو شذى انني أبغيك قلبا لو ذعى
إننى أبغيك فصلا خامسا جامعا كل الفصول الأربع

اننى أرجو أن يبحث المسئولون المختصون برعاية الفنون والآداب عن هذا الشاعر ليهيئوا له ماينبغى من راحة واستقرار ، فهو شاعر ، وفنان ، وإنسان . ولا أحب أن يصدق فيه قول شاعر معاصر يخاطب شاعرا آخر فيقول :

أنت ان عشت تمت جو عا وان مت تعيش

كامل الشناوى

محمود أبو الوفا

شعره وشخصيته

بقلم الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى

لقد قضى القدر الجائر على شاعر من شعرائنا المصريين الأحرار أن يقيده بقيد لا فكاك منه، وأن تريشه الأحداث فى يفوعته وشبابه بسهام وسهام، ذلك هو الشاعر المصرى الممتاز محمود أبو الوفا.

أوذى فى ساقه اليسرى فى صغره، وبترت الساق، وقضى والده نحبه فى يوم إجراء العملية، وعاد الفتى إلى قريته تيريس بمركز أجا، فإذا بالدهر يلفه بعباءة سوداء شائكة.

هموم الديون التى التهمت ماخلف الوالد من مال وعقار، مما اضطره إلى الفرار من القرية الصغيرة.

واستقر به المقام فى دمياط، ودرس بمعهدها الدينى: فخطف الخمس سنوات المفروض قضاؤها فى سنتين، كان يتعلم ويعلم ليعيش، كان يشرب كأس المعرفة دفعة واحدة لا على جرعات، ليجد الذريعة العاجلة لعيش مستقر.

وحملته عكازته إلى القاهرة ليتم دراسته بالأزهر، والجيب خال،

ومطالب الحياة كثار ، فاستحال عليه التوفيق بين الدراسة ولقمة الخبز ، وألفى أن لا مفر من إشباع البطن الخاوية . فاشتغل فى تجارة متواضعة .

هذه هى حياة «أبو الوفا» فى يفوعته وشبابه فى كلمات . وهى سلسلة من الكوارث المتعاقبة لو وقعت لغير محمود لانتابه عصاب شديد ، أو قادته إلى عالم آخر من الباب الذى يؤدى إلى الجنون .

ولكن محمودا ارتفع على آلامه ، وانتصر على متاعبه ، وتسامى بنفسه ، وتحول إلى دنيا الخلق ، الخلق الشعرى الذى وجد فيه متنفسا لانفعالاته وسعادة لروحه ، فأتم دواوينه « أنفاس محترقة » ، و« أشواق » و « الأعشاب » ، و « أناشيد دينية » و « أناشيد عسكرية » ، ثم أتبعها فى كهولته بديوانه الأخير « عنوان النشيد »

ويكشف ديوان « أشواق » و« أنفاس محترقة » عن مرحلة حياته الأولى فى صدق وإخلاص ، ويكشف « النشيد » عن نقلة جديدة فى حياته وفى تطور شخصيته ، كما سيجىء .

وديوانه « أنفاس محترقة » يكشف عن موهبة غنائية ، وغنائيته فى هذا الديوان لم تقف عند الشعر الغزلى بل تعدته إلى الشعر النفسى وإلى قليل من الشعر الاجتماعى والوطنى ، وإلى الأغنية ، وأغنياته لم تحصر على الأغنية الغزلية كما فعل رامى وصالح جودت وعلى محمود طه وغيرهم من شعراء الأغنية وإنما الأغنية الإنسانية والدينية والقومية . ومن شواهد شعره الغزلى قصيدة « أحببتها » :

أحببتها أحببتها أحببتها ... وأحب فى الأيام يوم رأيتها
ووددت او أنى جمعت لها المنى ... لو أتيت بالدنيا لها ووهبتها
تمشى مفاتنها تلحن خطوها ... الله فيما لحنت خطواتها
لم تكذب الرؤيا وقد فسرتها ... وعن اسم هذا اللحن رحت سألتها

لم ادر ما قاله إلا بعد ما كانت بمعصمها يدى ورفقتها
كل المنى فى لحظة أنا نلتها لما شعرت بأننى كلمتها
وكلامها إن قلت إن كلامها نغم الكمان فقد أكون ظلمتها

قصيد لطيف رفاف اللفظ ، سيال الموسيقى ، عذب الايقاع . نام على ممارسة حقيقية للحب ، عبر عنه باللمس وجمال الصوت ، وهما وسيلتان لتوليد الكهرباء بالجوانح .

والملحوظة أن «أبو الوفا» يعتمد اعتمادا كبيرا جدا فى أسلوبه التعبيرى على الموسيقى أكثر من الصور . وان كان شعره لا يخلو من الصور . ففى القصيدة التالية «أحببتها» :

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها وأحب فى الأيام يوم رأيتها
وودت لو أنى جمعت لها المنى وأتيت بالدنيا لها ووهبتها
تمشى مفاتنها تلحن خطوها الله فيما لحنت خطواتها
لم تكذب الرؤيا وقد فسرتها وعن اسم هذا اللحن رحت سألتها
لم ادر ما قالته إلا بعد ما كانت بمعصمها يدى ورفقتها
كل المنى فى لحظة انا نلتها لما شعرت بأننى كلمتها
وكلامها.. إن قلت ان كلامها نغم «الكمان» فقد أكون ظلمتها

ففى هذه القصيدة نجد المد الموسيقى فياضا ، ولا نجد إلا صورا عابرة ، كقوله « تمشى مفاتنها » ، وقوله « تلحن خطوها » .

الأولى صورة حركية . والثانية صورة سمعية . ويحيل الى أن أغلب صوره حركية وسمعية ، ويرجع هذا إلى توفز أعصابه ورهافة أذنيه . ويمكن أن نجد شاهدا فى قصيدته « يوم اللقاء » حيث نجد كل الصور التى فيها صورا حركية .

مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، كتاب «شعراء مجددون» ١٩٥٩ ،

وإذا كان استنتاجنا صحيحا فى اعتماد « أبو الوفا » على حيوية اللفظ وعلى علوبة الموسيقى دون اهتمام يذكر بالصورة فهذا دال على أنه يستوحى إحساسه وذاكرته أكثر مما يستوحى قواه التفكيرية .

ويطيب لى بعدئذ أن أتناول فن الأغنية لدى أبى الوفا ، وهى الناحية التى برز فيها ، حتى ليعتبر رائدا من روادها المجلين فى مصر.

وقبل تناول هذا الموضوع أود أن أنبه على خصائص الشعر الغنائى بعامة والأغنية بخاصة .

والأغنية فردية أو فنية ساحرة أو قومية أو شعبية . تقوم على البساطة التعبيرية وأصالتها ، وعلى سرعة الحركة ووحدتها ؛ وعلى العذوبة الموسيقية ورخامتها وعلى الوحدة الغنائية ، وعلى التلقائية . ويقوم محتواها على حدة العاطفة والانفعال . والعنصر الغالب عليها هو الموسيقى ؛ وللموسيقى البارعة أسرار وأسرار ، نذكرمنها .

أولا :

انسجام حروف الألفاظ وخروجها من منطقة واحدة من الفم ، أوهما مناطق متجاورة،وهو مايسمى بالانكليزية Assomanage بيان ذلك أن الحروف إما أن تخرج من الحلق مثل الخاء والضاد ، واما أن تخرج من داخل الفم مثل اللام والميم والقاف والكاف ، وإما أن يأتى نطقها من خارج الفم مثل الفاء والواو . والشاعر الموسيقى المبدع هو القادر — على غير قصد منه — على استعمال حرووف قصيدة من منطقة واحدة.. ومن طراز هذا ما نجد فى قصائد الشابى والصيرفى ونسيب عريضة ، ومحمود أبو الوفا برع فى هذه الناحيـــة .

اسمع إليه فى أغنيته « عندما يأتى المساء » التى يقول فيها :

عندما يأتى المساء ، ونجوم الليل تنثر

فحروف هذا البيت تخرج من منطقة داخل الفم .

العين والميم والياء واللام والتاء ماعدا الواو فإنها تأتى من منطقة مجاورة خارج الفم .

وتأتى أسرار الموسقة البارعة . وجود تقفية داخلية ، مصحوبة بالتقفية النهائية . ويقصد بالتقفية الداخلية وجود الفاظ فى البيت الواحد متماثله فى الوزن . ومن آيات ذلك فى شعر أبى الوفا ما جاء فى الفقرة الأخيرة من قصيدته « فى انتظار الصباح » .

هات اسقنى يا صاح — كأس الهوى الفضاح

سكران ، لكن فؤادى — مما يعانيه صاح

يا هل ترى لى صباح — أم ليس لى من صباح

فإن لفظة يا صاح فى البيت الأول تماثل لفظة فضاح وزنا . وفى هذه الأبيات تكرار لبعض الألفاظ يضفى على موسقة القصيد نكهة لذيذة ، مثل تكرار كلمة يا صاح ، وصاح ، والصباح .

وفضلا عما نقدم فان القافية الأخيرة مكسورة، وكسرها يزيد امتدادها عند التلاوة ، مما يقوى النغم ، ويعقب الراحة .

وثالث أسرار الموسيقى هو التأكيد الصوتى باستعمال المحركات . فاذا جمع الشاعر بين التأكيد الصوتى وبين انسجام مخارج الحروف انتج رائعة موسيقية ، كما يقولون . وشواهد هذا نجده فى قصيدته « أريد » :

أريد وما عسى تجدى « أريد » — على من ليس يملك ما يريد

أريد أنى إلى الدنيا فأعطى — لها الثمن الذى يبغى الوجود

فالشاعر يستعمل الألف المهموزة المتحركة ليحدث تأكيدا صوتيا : أريد ، أريد ، أريد ، فأعطى والشاعر فى الشطرة الأولى يخرج حروفه

من منطقة واحدة من مخارج الفم : أريد وما تجدى أريد وثمت سمة أخرى فى هذه الأبيات وهى استعمال حرف متماثل فى أول كل كلمة هذا ما يسميه الإنجليز Alliteration أريد ، أريد ، يملك مايريد ؛ الألف المهموزة أتت مرتين والياء فى يملك ويريد .

ويمكننا فى هذا المجال الكشف عن أسرار الغنى الموسيقى الشعرى ، كمسايرة الموسيقى للانفعال ، وتنوعها ارتفاعا وهبوطا بتنوع الانفعال فى حدته أو فى سكوته وقراره . وغير ذلك ؛ مكتفين بما ذكرنا من أسرار فنية :

ويقول الإنصاف إن أبا الوفا لم يقتصر على الأغانى الغزلية كما رأينا فى أغنيته « عندما يأتى المساء » التى حللنا موسيقاها . ولكنه تناول أنواعا أخرى من الأغنية مثل أغنيته الإنسانية الساحرة « أنفاس الزهر » التى جاء فيها قوله :

تعالىْ زهرة الآس   نذيع الحب فى الناس
فلا يصبح فى الدنيا   سوى قلب على قلب
ولا نلقى امرأ يحيا   لغير العطف والحب
وتصبح زهرة الآس   شعار الحب فى الناس
تعالى زهرة الآس   نذيع لحب فى الناس

والشاعر الذى يغنى هذه الأغنية من السهل على موهبته الغنائية أن تطرق كل ضرب من ضروب الأغنية . وليس عزيزا عليه أن يكتب الأغنية الشعبية بتعبيره السهل اللطيف ، فنسمع منه أغانى الفلاح فى مواسم الحصاد وأغانى العامل فى صخب الآلات ودخان المصانع وأغانى الحرية ، وهذا ماننرقبه منه قريبا .

وقد يسأل سائل : ولماذا لم يستمر أبو الوفا فى أغانيه المتنوعة ، ولم تنتفع به إذاعتنا الكريمة ؟ .

وجواب ذلك عند رجال اذاعتنا القدماء الذين حذفوا اسم (أبوالوفا) من القائمة .

فقد أريد فى أيام الحرب الكبرى على أن يكون ذاعية فى الإذاعة للحلفاء ، فأبى عليه إباؤه ، وثارت مبادئه ولم يعد إلى هذه الدار من يومئذ على مانعلم .

و هاأنتم أولاء تسمعون أغانى مبتذلة بل عابثة وآثمة من أمثال «ياشمس ياشموسة» « أو أنا مش فاهمة الدنيا » فهذه الأغانى وأجناسها مسممة للروح المصرية وعامل من عوامل الهدم لها وإذاعة هذه الأغانى مما يثير النفس نفورا ومما يجعل أمثال « محمود أبو الوفا » يفر من هذا الجو المثيف صونا لكرامته وضنا بفنه ان يذال .

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

إنسان الفصل الخامس

بقلم الأستاذ محمد زكى عبد القادر

تلقيت من الدكتور محمود زيتون تعليقا على ماكتبته فى الأسبوع الماضى بعنوان (الإنسان من غير الطبيعة) ، وقد استند فى رده إلى نظرية (إنسان الفصل الخامس) التى قامت لتفسر الطبيعة الإنسانية على أنها الشفافية ، وأن كل خير أو شر إن هو إلا الانطباع الذى يقع عليها نتيجة لتفسير الإنسان لهذه الطبيعة الغامضة عليه

وجرى القول بنا للأصدقاء ؟
قلت أين اليوم أين الخلصاء
قال هم كثر رجال ونساء
وكما تضمر للناس الصفاء
لن ترى فى الناس إلا أصفياء
إنما إن أنت أضمرت الرياء
مستحيل أن ترى إلا رياء
ليس للماء سوى لون الإناء

يوميات الأخبار ، الأخبار فى ١٦ يونيه ١٩٦٠

ويستطرد الدكتور زيتون فى رده فيقول :

« قلت إنك كنت مبتهجا راضيا فخيل إليك أن الكائنات مبتهجة راضية وأن الطبيعة تهتف من أعماقها بهذا الدعاء وأنها لا تعرف الفروق ولكن تعرف التعاون والإخاء والمساواة وهذا هو هدفها الوحيد .

وفعلا كل خلية فى جسم الإنسان تعمل طبقا لهذه القاعدة ، وحتى إذا ظهر عليها بعض الصراع الزمنى البسيط فإنه حلقة صغيرة فى سبيل الوصول دائما إلى الكمال . ولذلك لا يصح أن نبشر بالازدواج أو التبعية للذكورة والأنوثة أو الخير والشر أو الحب والكره لأن ذلك من فعل الشيطان أو الفكر البسيط .

المرأة والرجل :

والدليل على ذلك من كلامك أيضا أن الروح الراقية المبتسمة فى غير استعلاء أو زهو هى الطبيعة النفسية التى ينجذب إليها الإنسان وليست الصنعة المبدعة . والتصنع لا وجود له فى الطبيعة .

وإذا كانت المدنية تقوم على التصنع والتظاهر بالأناقة والحب ، بينما القلوب كلها كيد ونفاق ، فهذا هو عيب الثقافة لا ذنب الطبيعة » ومن هنا يفشل معظم الناس فى فهم علاقة المرأة بالرجل ، ويعتبرون أن علاقة الأزواج تقوم على الخطيئة .

ومشى الروح معى ذات مساء
فلقينا صدفة سرب نساء
قال «كل الصيد فى جوف الفراء»
قلت : هل عندك علم بالنساء ؟
قال : من أعلم منى بالرجال ؟
قلت : لا عن هذه كان السؤال

قال : هل يحفز حبي للكمال

ياصديقي غير حبي للجمال

إنما إن شئت توزيع الثناء

فاجعل الطيب من حق النساء

أي متى استطاع الرجل أن يكون رجلا فلا تملك المرأة إلا أن تكون أنثى فهي الأرض الطيبة التي تتلون بكل جميل لكي تساعد الرجل على رسالته في الحياة والوصول بالحياة إلى الكمال .

ومن طبيعة المرأة الحرة عدم الاستثناء والتبعية لرجل واحد ومبدأ واحد ، وهي تربط البداية بالنهاية ، وتعمل دائما لإخراج الجنين كاملا ، وتمطيه من الحب ما يكفي لأن يعتد الفرد بنفسه ، وينفصل عنها لكي يمثل استقلاله ورسالته في الحياة .

أما إذا كانت المرأة قد انحرفت عن هذه المشاعر فالذنب يرجع إلى الرجال الذين فقدوا السيطرة على أنفسهم ومعرفة سر اتصال الجسد بالروح وانهما قوة واحدة :

صلة الوصل التي ينشدها للسما والأرض سر العارفين

كلمـــة لله لو جسدها لم تكن إلا نبي الثائرين

فالثورة هي جوهر الذات الإنسانية او الثقافية التي تجعل الإنسان قوة عاملة دائمة أعلى من كل الازدواجات أو للنهايات الجامدة .

تقابل الروح والجسد :

وبذلك تكون الأخلاق هي السلوك النهائي الناتج عن تقابل الروح بالجسد سواء في الشرق أو في الغرب وان طبيعة الإنسان هي التقبل والاستعداد الحسن لتصديق كل تجربة والانفعال مع كل جديد .

ليس كالقوة فى الدنيا فضيله
هكذا قالت لنا الروح النبيله
قلت يا روحى هل ثم وسيله
لتلافى الضعف والضعف رذيله
قال : إلا فى طموح الكبرياء
لم أجد للضعف فى الناس دواء
يا أخى والروح يعنى ما يقول
ليس مثل الضعف فى الأرض فضول
استمع لى إن من حق الحياه
للفتى إما يعش عيش إله
أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

وهذا هو هدف الإنسان ورغبته الأصيلة ، أن يعيش عيش إله أى فردا جماعيا له استقلاله الشعورى التام الذى يستطيع بواسطته أن يعطى للدنيا كل شىء لديه دون أن ينظر إلى النتيجة لأنه معمل ذرى ومصدر لطاقات اقتدار لا نهائية » .

القصص الدينى :

هذا هو التعليق الذى تلقيته . والشعر للأستاذ محمود أبو الوفا » ، والتفسير للدكتور زيتون . وأنا أعرف أنه يقوم بتجربة عملية فى هذه السبيل بمعاونة الشاعر « أبو الوفا » وآخرين من المتحمسين لهذه الفكرة . ولا اعتراض لى عليها إلا فى نظرها إلى الطبيعة كأنها مجردة من الشر هادفة إلى الخير دائماً وباطراد . وكأنه يريد أن يقول إن الشر من صنع الإنسان وحده ، وهنا أفترق عنه ، لأنه لو كان من صنع الإنسان وحده لما كان ممكنا أن يوجد ، فالمعـــروف أن الإنسان مخلوق ، وكيف يستطيع المخلوق أن يخلق ما لا وجود له ؟

قد يرد على ذلك بأن الإنسان صنع أشياء عديدة ، ملأ الدنيا علما واختراعا وفنا وجمالا . ولكن كل ماصنعه الإنسان لم يخلقه ، ولكن وجد معه ، كانت جذوره فى كيانه الأول ، ولو لم يكن الشر بعض هذه الجذور لما كان فى إمكانه أن يضيفه إليها .

وإذا أخذنا القصص الدينى سندا لبدء الشر على الأرض كانت بدايته مبكرة جدا ، وكانت لا دخل لها بالمجتمع وتعقده أو الحاجة وإغرائها ، فالذين يقولون إن الخطيئة لم تخلق مع الإنسان ، ولكن دفعت إليها ظروف المجتمع ينسون أن الخطيئة ولدت من غير ظروف مساعدة عليها ومن غير حاجة دافعة إليها .

ولأمر ما صور القصص الدينى كأن الحية ، أعنى الشيطان ، هى التى أغرت حواء ، ثم أغرت هى بدورها آدم على قطف الثمرة المحرمة دون أن تكون بها حاجة إليها .

وإذا تجاوزنا عن القصص الدينى ونظرنا إلى الأمر نظرة خالصة ظلت كل الشواهد تؤكد أيضا أن الخير والشر توأمان ، وأن الازدواج بينهما حقيقة أساسية من حقائق الكون . ولو كان الشر طارئا على الإنسان لكان آدم أولى الناس أن يبتعد عنه ، وكانت حواء أولى النساء بأن تبتعد عنه .

وفى أرقى الأوساط التى لا يمكن أن توصف بأنها مغرية بالخطأ يقع الخطأ ، والعوالم التى حلم لها الفلاسفة كأنها مبرأة من شرور البشر ظلت أحلاما على الورق ، وعلى طول ما قطع الإنسان فى سلم الحضارة كان الخطأ والانحراف والزيف مصاحبا لكل تقدم كأنه ظل للإنسان ، لا يمكن أن يبرحه .

والقوة التى ينشدها دعاة « إنسان الفصل الخامس » هى قصد كل إنسان والغاية التى يسعى إليها . والقوة المقصودة ليست هى قوة البدن ،

ولكنها قوة الروح والفضيلة والانتصار على الضعف . وجهادهم فى تصفية الروح دليل على أن فيها شوائب . وتصفيتها هنا لا يعنى انها برئت تماما ، ولكنه يعنى انها برئت إلى حين ، وأنها فى حاجة إلى دوام المجاهدة ، حتى تظل على براءتها وطهرها .

ولابد ان تعرف هذه الطبيعة فى الإنسان ، ودعاة الفضائل يعرفونها أيضا ، ولذلك يجعلون المعاناة ضرورة ملازمة للتطهر والخلق الحميد . وبعض الناس يبالغون ويقولون إن الإنسان أقرب انسياقا مع الرذائل ، لأنها أقرب إلى طبيعته بينما يتطلب السلوك الفاضل جهداً عنيفاً . وكما قلت إن فى هذا القول مبالغة شبيهة بقول البعض ان الإنسان مطبوع على الخير وانه اقرب انسياقا إليه .

والمشكلة معقدة ليس من حيث وجود الخير والشر وتصارعهما ، ولكن من حيث تحديد مفهوم الخير والفضيلة ، وتحديد مفهوم الشر والرذيلة ، فمما لا شك فيه أن المجتمعات والقوانين لعبت دورا خطيراً وأساسياً فى تحديد مفهوم كل منهما ، وهو مفهوم مختلف من بلد إلى بلد ومن بيئة إلى بيئة ومن مجتمع إلى مجتمع .

تجريد الفضيلة والرذيلة :

وتجريد الفضيلة والرذيلة من مفهوم الجماعة لكل منهما أمر شاق إن لم يكن مستحيلا . فالإنسان كما يتأثر بغرائزه ووراثاته وانطباعاته التى ولدت معه يتأثر ايضا بالمجتمع الذى يعيش فيه وينظر الناس له وتقديرهم لتصرفاته وما إذا كانت منطبقة أو غير منطبقة على القواعد المتعارف عليها والتقاليد التى ثبتت بطول الممارسة وقدم التاريخ .

ومن هنا كان لكل إنسان سلوكان : أحدهما ظاهر للجماعة والآخر مستخف لنفسه . ولا مصالحة بين الاثنين ، لأن المصالحة بينهما تتطلب

اتفاقهما ، ولا اتفاق بينهما ، بل هناك التناقض بينهما ، وهو أحيانا تناقض تام .

والناس يقولون لك دائما إن ظاهرهم كباطنهم ، وهم فى أكثر الأحوال يقررون غير الحقيقة ، وإصرارهم على هذا الادعاء انعكاس لما فى داخل نفوسهم مما يظنون كأن الناس يرونه ويعرفونه ، فهم حريصون على ترديد هذه العبارة ، وكأنهم يردون على سؤال غير منطوق يقوله صاحبه لمن يحدثه : أنت تخفى شيئا آخر .

ومحاولة معرفة ما فى داخل النفوس أمر شاق . ومعرفته محفوفة دائما بالشك . وهذا من فضل الله على الناس ، فلو انكشف باطن الناس بعضهم للبعض الآخر لما استقامت علاقة اجتماعية وما استمر المجتمع متماسكا .

نستطيع إذن ان نقرر أن هناك سلوكا جماعيا معينا مرجع النظر والتقدير فيه للجماعة ، وان هناك سلوكا شخصيا ، مرجع النظر والتقدير فيه للفرد وحده . والخلق الصحيح هو هذا السلوك . وانطباعاته على السلوك الجماعى لا مفر منها ، وإن كانت كما قدمت انطباعات لا يمكن البت فى ماهيتها وطبيعتها ، لأنها تظهر على الرغم من صاحبها ، وعلى الرغم من كل مايبذله لإخفائها .

والمجنون انسان ضاع منه الاتزان العقلى ، فهو لذلك غير صالح لكى يعيش فى المجتمع ، لأن الذى يحكم السلوك فى المجتمع هو العقل وقد فقده . والناس يقولون لمن يأتى عملا يخالف ما تواضع عليه المجتمع انه مجنون ، فهم يربطون بين السلوك فى المجتمع وبين العقل ، وهذا صحيح .

أما السلوك الشخصى الذى يأتيه الإنسان بينه وبين نفسه فقد يكون مجردا من العقل ، بل انه على الحقيقة يفقد جانبا كبيرا من العقل ، بينما تسيطر عليه الغريزة والعاطفة . فالذى يسير عاريا فى بيته أو يقفز ويجرى كالأطفال او يقهقه ويلون وجهه فى حركات شبيهة بحركات البهلوان إنسان يرتد إلى الغريزة والنشأة البدائية للإنسان .

الطبيعة والانسان :

وهو فى غير حاجة لتبرير سلوكه ، لأن أحداً لا يحاسبه ، بينما هو أمام المجتمع مطالب بالحساب : وهو يخشاه . ولذلك يلتزم سلوكا معينا . ومن هنا كانت الخلوة ضرورية لكل إنسان . وكانت الإجازات البعيدة فى الريف وعلى شاطئ البحر أو فى مخيمات فى الهواء الطلق بعيدا عن القيود لابد منها لكى يحتفظ الإنسان بالتوازن الضرورى بين حكم العقل والمجتمع وبين حكم الغريزة والعاطفة ، وهما فى الواقع ليسا إلا الخير كما يراه المجتمع والخير كما يراه الفرد .

وفى الطبيعة كل ما فى الإنسان من خير وشر ، فيها القسوة والغدر والحيلة والمخادعة والاعتداء ، وفيها أيضاً الرحمة والحب والتعاطف والأمانة والوفاء . ويجب ألا نأخذ الطبيعة فى سلوكها الهادئ الجميل ؛ بل يجب أن نذكر لها غضبها المفاجئ الغادر أيضاً . يجب ان تذكر أن الإنسان نبع منها ، ولا يمكن أن يكون النبع إلا صورة من البحر العظيم .

محمد زكى عبد القادر

أشواق

بقلم الأستاذ حافظ محمود

حينماتتناول « أشواق » وتقلبها بين يديك دون النظر إلى ما بها وإلى اسم صاحبها لا بد أن تقول بأن هذا شعر وهذا شاعر فأشواق كتاب رشيق الحجم ، رشيق الطبع ، جميل اللون ، جدير الاناقة بديوان من الشعر .

انني كلما تناولت ديوانا من دواوين «محمود أبو الوفا» صاحب «الأشواق» عجبت لهذا الرجل الذى لم يقرأ لأولئك الذين يسمونهم أرباب الشعر الأوربيين كيف اهتدى إلى هذا اللون وإلى هذه الحدة كلها فى شعره ودواوين شعره . دعك من ظاهر الكتاب واضرب ما شئت فى باطنه فإنك واجد شيئا أرجو أن يلتفت إليه القراء والنقاد جميعا ، هو أن هذا الشاعر العربى يعطيك قصائد جديدة فيها موضوع ، ولهذا الموضوع وحدة لا تكاد تستطيع أن تنزل عن بيت من بيوت القصيدة لئلا تتفكك هذه الوحدة ، شأن الشعر والشعراء فى حياة أوربا الحديثة .

لقد كان الشعر العربى القديم وإلى عهدنا هذا يمتاز بوحدة البيت الواحد، أما وحدة القصيدة كلها فشيء جديد . وأحسب أن محمودا فى مقدمة الذين يسجلون للشعر العربى هذا الشيء الجديد .

السياسة الأسبوعية ، القاهرة ١٢ أبريل ١٩٤١ ، العدد ٢١٧ ، السنة الخامسة

اقرأ قصيدته « وردة تفتحت » تجدك أمام قصة لوردة تفتحت على غصنها ، وحادث الشاعر نفسه أن يقطفها فأشفق من قطفها ، حتى إذا ما أخذ النسيم يغازلها فى عنف أشفق الشاعر عليها من النسيم ، فقطفها ، فلما أمست فى يده اعتراها الذبول ، فندم على ما فعلت يداه .

كذلك فى قصيدته « قضية » واجد أنت موضوعا محبوك الأطراف حول الشاعر وحول حسناته ، ينال الناس منها فإذا ما أقدم للنوال لحقه أذاها . وما أجمل تصويره لهذا الموضوع فى قوله :

وتمايس الرمان فى أعطافه ودعت أزاهره يدى جانيها
ورأيت غيرى جانيا من ور ه قبلى وآخر غاديا يجنيها
صالت يدى بالرغم منى تبتغى بعض الجنى وأقله يرضيها
فازور حارسة وسلط شوكه يرمى أكفى بالذى يدميها
أيليق هذا بعد ما أسلفته سهما على أثماره أرويها

ومثل هذا الموضوع تجده فى قصيدة « قلب الفنان » التى يقول فيها ، ولعله فى العربية أول من يقول هذه المعانى :

أمشى وقلبى على كفى أقول : ألا
من راغب فى فؤاد صادق حان
يحب حتى كأن الأرض ليس بها
إلا زنابق من آس وسوسان
بل ليس فى الأرض من بغض ولا إحن
وليس فى الأرض من ظلم وطغيان
وليس من فوقها إلا سواسية
من الصحاب ومن أخدان أخدان
فلا وربك هذا القلب ما التفتت
عين إليه . . فيا لليائس العانى

قد عاد ينكرنى قلبى وأنكره

حيران.. فى التيه .. يمشى خلف حيران

إنك تستطيع أن تترجم هذه الأبيات إلى لغة أخرى فتجدها شيئا ، لأن قوتها لا ترجع إلى ألفاظها بقدر ما ترجع إلى معانيها . ولو أن الحظ أسعد الشاعر بمترجم للمختار من قصائده لارتقى اسمه إلى الشعراء الإنسانيين المشاهير فى العالم .

ومع هذا فلمحمود أبو الوفا روح مصرية ظاهرة . وقد يعمد الشعراء إلى تناول موضوعات محلية فى شعرهم ليعرفوا بمصريتهم. أما شاعرنا هذا فتعرفه بمصريته فى روحه وألفاظه وتعبيره عن خلجات نفسه وأفكاره . اقرأ أول سطر من ديوان «الأشواق» الذى نتحدث عنه حيث يقول الشاعر :

تعالى نطر فى سماء المنى فلا بد لاحب من أجنحه

ولا بد للحب من ساعة تكون لنا الساعة المفرحه

أفلا تلمح فى هذه اللهجة من غير عناء روح مصر وأسلوبها فى التفكير والتعبير ؟ ولعل من أوضح تعابيره مصرية قوله فى قصيدة « ساعة بين يديك » :

اذكرى كم مرة قلبى تمنى

ثم كم من مرة قلت : تأنّ

مرة واحدة قولى تهنّ

واسمحى بالقرب منك

أيها الموسيقيون المطربون ، أين أنتم ؟ هذه قصيدة خلقت لتغنى ، وها أنا قد دللتكم عليها .

محمود أبو الوفا شاعر يستلهم الشعر من نفسه ، فاذا اتصلت نفسه

بجمال الطبيعة أجاد وصفها لأن هذا الجمال قبل أن يصفه يكون قد انتقل إلى أعماق نفسه يلهمه من هذه الأعماق ما يقول، حتى إذا تطرقت الشاعرية إلى ذهنه ، وذهنه متصل بحياة المجموع ، وأراد أن يجلى لم يصل إلى هذه القمة التى يصل إليها بمحض عاطفته فى شعره .

وهذا الديوان الذى يقدمه لنا الشاعر كحلقة خامسة من حلقات جهوده فى عالم الشاعرية منقسم قسمين : قسما موضوعه « غنائيات وتأملات » ، وقسما موضوعه « قوميات» .

أما القسم الأول ، وهو ما تناولناه فى سابق هذا الحديث ، فموفق غالبيته لاتكاد أذنك تترد : فى سماع سطر واحد من سطوره إلا حين يحدثك «على شاطىء النيل» فيقول :

الكأس لامسها فم نجس(١)
وكيف تشرب منها بالفم الطاهر
يا نيل ان لم تطهرها فمعذرة
ان عف عنها .. وإلا عافك الشاعر

هنا تشعر أن الشاعر يفكر فى معان قوية ، لكنها تصل فى القوة الى حدود العنف فتفسد عليه عبير تعبيره فى شعره . أما القسم الثانى ، قسم (القوميات) ، حيث التفكير أكثر من الإحساس وحيث الاتصال بالمجموع يزيد انطواء الشاعر المعتزل على نفسه ، فهنا يبدو الفرق واضحا بين قوة الشعر فى القسم الأول وقوته فى القسم الثانى . ولعل الشاعر لو وضع (قومياته) قبل « تأملاته » لما أحسسنا هذا الفارق واضحا ، لأننا نكون حينئذ متنقلين من قوى إلى أقوى منه .

أقول هذا وأنا آسف أن ينتهى جمال هذه (الأشواق) كله فى

(١) صحتها : الكأس قبلك مرت فى فم نجس فكيف شرب منها بالفم الطاهر

البيتين الأخيرين من هذا الديوان إلى الشئ القبيح من حياة مصر حيث يقول الشاعر :

ليس داء البلاد عقم بنيها لا ولاجهلهم بطرق النجاح
إنما داؤها سراة أصيبوا اذ أصيبوا .. بخسة الأرواح

أفمن جمال الشعر أن ينتهى به بعد هذه العاطفيات كلها إلى هجو طائفة من أبناء البلاد ؟ إن الذى يقوله الشاعر ليس كذبا ، لكنه ليس كل الحق فى هذه البلاد .

إن فى مصر جمالا فى طبيعتها ، بل فى حياتها الاجتماعية أجدى بالتفات الشعراء من هذه النصائح التى رخصت وأنقص من غلوها كثرة ترديدها وإن واجبنا كتابا أو شعراء أن نحفز الأذهان إلى جمال الحياة وحقها وواجبها وتصوير هذا الجمال وهذا الحق وهذا الواجب لأبنائها لعلهم عنه لاهون معرضون .

ليس معنى هذا أن القوميات فى «أشواق» كلها بعيدة عن قوة الشعر وقوة الشاعر ، انما أنا أقيسها بنسبة ما قبلها وعلى كل فإن فيها أبياتا يهتز لها قلب كل وطنى حتى هى هذه الأبيات من قصيدة « عيد بنك مصر » فى وصف المجاهدين العاملين :

الواهبين لمصر ملء مقالهم
صدقا وملء جهودهم أفعالا
الواهبين لمصر ملء حنانهم
حبا وملء وفائهم إجلالا
الشائدين لها الصروح معاقلا
القاتلين البؤس والامحالا

الفاتحين لهـا البحار تجارة
المنشئين لهـا السفين جبـالا

الباعثين بها الحيـاة عـزيزة
الفـارشين طريقهـا استقلالا

الله أكـبر هـذه أعـلامهم
النصر رفرف تحتهن ظلالا

إن الإنسان لينسى من هم ، لكنه يدرك من قوة هذه الأبيات أنهم الذين ترجوهم البلاد فى كل عصر من عصورها ، صورهم الشاعر فأحسن تصويرهم .

حافظ محمود

أنفاس محترقة

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

ليس من الحكمة ونحن فى مستهل نهضة أدبية أن نسرف فى النقد ونغلو فى مطالبة أدبائنا بأعمال قوية خصبة تضارع أعمال كبار أدباء الغرب .

ولقد جرت العادة عند بعض من يتصدرون للنقد فى مصر أن يطالبوا الكاتب أو الشاعر بتحقيق المثل الأعلى دفعة واحدة ، وفى هذا ما فيه من التعسف والإرهاق .

وعندى أن خير طريق فى النقد نخدم بها النهضة الأدبية هى أن نطالب الأديب بالتعبير عن شخصيته فى عمله الفنى . فاذا ما استطاع تسجيل هذه الشخصية والإعراب عن بعض جوانبها فمن حقه علينا أن نعرف له قدره ونعترف بقيمة الجهد الذى قام به .

وليس من شك فى أن الفن صدى الحياة ممثلة فى شخصية الفنان ، فمتى أحس الفنان بشخصيته تمكن من النظر إلى الحياة بعين جديدة وحاول أن يعطينا صورة طريفة منها .

---

* « البلاغ » فى مساء الأحد ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢ / ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٣ .

ومن البديهى أن عقل الأديب العبقرى يختلف عن عقل الأديب النابغ أو المتوسط لأنه بطبيعة عبقريته أقوى منهما تعبيراً وأبلغ أثرا .

ولكن فى وسع النابغ أو المتوسط أن يكون أديبا ممتازالو عرف كيف يكشف نفسه ويهتدى إلى خصائصها الدفينة ويستجلى هذه الخصائص ويحسن التعبير عنها .

وليس المهم أن يكون هذا التعبير دائما قويا ، بل المهم أن يكون صادقا .

وفى أوربا اليوم مئات من الكتاب والشعراء المجيدين لانستطيع أن نخلع على فرد واحد منهم لقب العبقرية ، ومع ذلك فالجمهور يتداول أعمالهم ويقدرها ويعجب بها .

والسبب فى ذلك أنهم حاولوا التعبير عن شخصياتهم المستقلة وعن الخصائص التى تميزهم فوفقوا فى هذه المحاولة ولوبعض التوفيق . وهذا هو السر فى ازدهار النهضة الأدبية والثقافية فى الغرب .

إنهم هناك يحترمون كل مجهود ، على شرط أن يكون صادقا ، وعلى شرط أن يحمل طابع صاحبه وأسلوبه ونفسيته ونظرته الخاصة إلى الحياة . ولوأنهم طالبوا كل شاعر بأن يكون كشكسبير ،وكل قصصى كدستوفيسكى ، وكل ناقد كسانت بوف ، لقتلوا الملكات الفردية المستقلة ، وقضوا بالعجز والموت على الجميع ، وحرموا العالم ثمرات العقول النابغة والمتوسطة التى يتغذى منها العبقرى والتى تمهد السبيل لظهوره .

فواجبنا ،ولاسيما ونحن نجتاز مرحلة انتقال واضطراب وتهيؤ ،أن لانفرط

فى مطالبنا ، وأن لانحاسب أدباءنا الحساب الصارم العسير ، بل نجتهد فى الحكم عليهم وتقديرهم بنسبة شيوع روح الاستقلال والصدق فى أعمالهم .

ولقد تصفحت ديوان الشاعر « محمود أبو الوفا » مهتديا بهذه النظرية فأعجبت بكثير من مقطوعاته الدالة على وحى خاص شخصية مستقلة ورغبة ملحوظة فى التعبير عن هذه الشخصية .

ومحمود أبو الوفا شاعر وجدانى رقيق العاطفة ، عصف به البؤس فابتلاه يضرب من التشاؤم المقرون بالشكاية والحسرة . فهو كشاعر يود أن يحتضن الدنيا ، ولكن البؤس يعترضه ويعكر عليه صفوه ويحول بينه وبين الانصراف إلى فنه والاستمتاع بالحياة .

وتراه إذا أحب طغى عليه يأسه وخالجه شعور غريب بأن من المستحيل على من كان مثله أن تصادفه السعادة يوما . وهذه العاطفة الممزقة تنبض بها الأبيات التالية :

لن أسيء الظن فيك أبدا فإذا شئت عطاء فامنعى

إنما اللوم على النحس الذى كلما أذهب ألقاه معى

لو خلعت الثوب أبغى غسله أقسمت شمس الضحى لم تطلع

لو طلبت النهر أروى ظمأ لاشتكى النهر جفاف المنبع

ولو أنى تلمس التبر يدى حول التبر ترابا إصبعى

فى هذه الأبيات لوعة مرة يحسها القارىء منطلقة من صميم نفس شاعر صادق معذب لايجد متنفسا للوعته إلا فى شعره .

ومثل هذه الروح تجدها أيضا فى قصيدته « إلى فكتور هوجو » التى يخاطب فيها شاعرنا المصرى صاحب البؤساء بقوله :

ياصاحب البؤساء جاءك شاعر يشكو من الزمن اللئيم العاتى
لم يكفه أنى على عكازة أمشى فحط الصخر فى طرقاتى
ثم انثنى يزجى على مصائبا سحبا كقطعان الدجى جهمات
فى ليلهن فقدت آمالى الألى صاحبنى مذ لاح فجر حياتى
فغدوت فى الدنيا ولا أدرى أمن أحيائها أنا أم من الأموات

على أن الشاعر مهما ابتأس وتنكرت له الحياة فعزاؤه فى الينبوع الكبير الذى يحمله فى صدره ويفجر منه أنغامه الجميلة الساحرة .

ومحمود أبو الوفا يفيض بهذه الأنغام المبتهجة تارة والحزينة أخرى ، المتمشية مع الحياة وآلامها وآمالها ، فى نعيمها وشقائها . فى صبحها ومسائها .

وهو لا يكاد يصادف الحب حتى يتشبث به ، على الرغم من يأسه ، ويفرغ فيه عصارة روحه ، يرصد عليه جهد أيامه ، ويرى فيه ملاذه الأول والأخير ، فينشد :

ياقلب عن حبك لاتنثن مهما تكسرت على صخره
من يركب البحر يرض نفسه لمده الهائل أو جزره
ومن ير الحسن حياة له فليرض أن قلب فى جمره

* * *

حرق قلبه وأصليه وقدا حسبه ما حباه حبك خلدا
أصليه ولن أقول صليه ان كل الديون سوف تؤدى

وقد يخامر هذا الشاعر المعذب شبه إحساس بالفرح إذ يذكر القبلة الأولى منحته إياها حبيبته فى يوم نادر سعيد ، فيضج طربا ونشوة ، ويروح يقدس تلك

القبلة ، ويبتعث بها الماضى ، ويستعينها على الحاضر ، ويعيش بها ميقات لحظة هى كل ماجادت به الحياة . فاستمع إليه يتغنى بتلك القبلة :

لم أنس أول قبلة أخذت بها — شفتاى عهد الحب من شفتيك
مازلت بين فمى أحس لها شذى — أترى لها أثر يحس لديك
بلبلت أحلامى فصرن أشعة — كيما يصلن مع الضياء إليك
لما وقفنا ثم نذكر الهوى — هل كان من عينى أم عينيك
لبيك لو بالروح تشرى ساعة — قضيتها هيمان بين يديك

صفوة القول ان «محمود ابو الوفا» شاعر خبر الحياة ، واستطاع بعد ان صهره البؤس والألم ان يعبر عن بؤسه وألمه فى شعر صادق تحمله نغمة موسيقية جديدة لم نألفها عند شعرائنا ، لأنها تنبع من قلب صاحبها ، وتمثل جوهر شخصيته .

ولهذ يستحق ديوان « أنفاس محترقة » كل ثناء وإعجاب ، كما يستحق الأستاذان اميل زيدان وفؤاد صروف خالص الشكر على قيامهما بطبعه على نفقتهما خدمة للأدب المصرى الحديث .

ابراهيم المصرى

أيها الشامخ فى بأسائه

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

ذلك الحفل الذى ازدان بكا   الهوى والشعر فيه اشتركا

كل أمجادك فى الشعر التقت   ها هنا فى موكب يرنو لكا

أنت فى القمة منه شاعر   ملأ الأكوان ضحكا وبكا

عندما يأتى مساء حافل   ندع الدنيا لتستقبلكـــا

فالأغانى التى غنيتهـــا   لم تزل تسرى وتغزو الفلكا

والأناشيد التى أنشدتها   لم تكن للحب الا مسلكا

والمزامير التى أبدعتهـــا   لم تكن للقلب الا شركا

والشكايات التى أرسلتها   لم نزل نلمس فيها قلبكا

يجد الحائر فيها هديه   ويرى الشاكى لديها المشتكى

القيت فى رابطة الأدب الحديث ٢٨/٢/١٩٦٧ تكريما للشاعر محمود أبو الوفا بمناسبة الإنعام عليه بوسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، نشرت فى ديوان « سائر على الدرب » سنة ١٩٧٥

أيها الشامخ فى بأسائه	يتحدى الدهر والمعتركا
يشتكى فى كبرياء . ويرى	نفسه فوق البرايا ملكا
لم تضق ذرعا بدنياك ولا	ضيّقت تلك الليالى صدركا
حسبك اليوم فخارا أنكا	لم تطأطىء لزمان رأسكا
قد فرحنا بوسام نلته	وسررنا بالذى قد سركا
وتولتك من الله يـــد	أكرم الله الذى كرمكا

محمد عبد الغنى حسن

بعث شاعر

قصيدة الأستاذ محمد مصطفى الماحى

ظل الشاعر الأستاذ محمود أبوالوفا مغمورا فى قيود نكبته التى دقت فيها ساقه حتى تجمع أصفياؤه من رابطة الأدب العربى فأقاموا له حفلة تكريمية سنة ١٩٣٢ بمسرح حديقة الأزبكية ، وكانت مهرجانا للأدب الحى ، وكان من آثارها رحلته إلى باريس ليسترد ساقه ، فألقى الشاعر فى المهرجان هذه القصيدة :

« أبوالوفا » أفتنى فيما سهوت له ... وأسعدتنى فى إدراكه الفكر
حقيقة ما أرى . . أم هذه صور ... تطوى كما طويت من قبلها صور
أغير الخلق فى هذا الزمان فلم ... يصبح مدى همه أن تلغن البدر (١)
ظلت حياتك مقياسا نقيس به ... ما كان يخبئه للنابغ القــدر

---

* ديوان الماحى (١٩٦٨) ص ١٦٢ – ١٦٤ نشر دار الفكر العربى بالقاهرة

(١) البدر : جمع بدرة ، وهى الكمية العظيمة من المال ، و كانت فى الزمن الماضى تدفن تحت الأرض

كم بت تهمس فى سمع الزمان بما | أوحت إليك به الآلام والغير (١)
من كل فاتنة معنى . . وساحرة | لفظا . . يحن إليها السمع والبصر
حتى بعثت . فقلنا : تلك معجزة | لولا وفاؤك لم تهتف بها السير
شكوى الأبى تلقاها ذووهم | ناداهم العقل والاخلاص فابتدروا
رأوك تمشى الهوينا . فابتغوا قدما | قوامها الذهب الإبريز لو قدروا
أكرم بها صيحة باتت تجاوبها | تلك النفوس التى لم يشقها البطر
حييت « رابطة الآداب » من نفر | هم الملائك لو لا أنهم بشر
هتفت بالأدب العالى .. فما لبثت
أن جاوبت صوتك الأوضاح والغرر (٢)
أسوت جرح كريم فاته أمل | حتى طلعت فواف الظل والثمر
هل كان ميلاد « محمود » سوى أثر | لما دعوت إليه . . بورك الأثر
فاليوم يأمن أن تغشاه عاصفة | من الحوادث لاتبقى ولاتذر
« أباالوفا » . . حسب نفس حرة شفيت | حينا من الدهر أن يقضى لها وطر
قد آن للدمع أن ترقا مساربه | وأن يحول صفاء ذلك الكدر (٣)
فاحسب لما ضيك ماشاهدت من عبر | إن الحياة كتاب كله عبر

---

(١) غير الدهر : أحداثه

(٢) المقصود بالأوضاح والغرر : كرام الناس وأفاضلهم

(٣) رقأ الدمع : جف وانقطع

واطلع على الناس بالآيات بينة   واجهر بماباتت الآداب تنتظر
وانظم عقودا من الأشعار زاهية   هى النفائس إلا أنهـا درر
ومر إلى المجد لاصخر تحاذره   فيما تحاوله . . وليهنك الظفر (١)

محمد مصطفى الماحي

---

(١) يشير إلى قول الشاعر « أبي الوفا » مخاطبا صاحب البؤساء « فيكتور هوجو »
ياصاحب البؤساء جاءك شاعر   يشكو من الزمن اللئيم العاتى
لم يكفه أنى على عكازة   أمشى لحط الصخر في طرقاتى

الفهرس

صفحة

اشواق

صفحة

أعشاب

صفحة

أناشيد

● **أناشيد وطنية**

صفحة

الدراسات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org. eg

E - mail : info @egyptianbook.org. eg

إننى كلما تناولت ديوانًا من دواوين «محمود أبو الوفا» صاحب «الأشواق» عجبت لهذا الرجل الذى لم يقرأ لأولئك الذين يسمونهم أرباب الشعر الأوروبيين كيف اهتدى إلى هذا اللون وإلى هذه الحدة كلها فى شعره ودواوين شعره. دعك من ظاهر الكتاب، واضرب ما شئت فى باطنه فإنك واجد شيئًا أرجو أن يلتفت إليه القراء والنقاد جميعًا، هو أن هذا الشاعر العربى يعطيك قصائد جديدة فيها موضوع، ولهذا الموضوع وحدة لا تكاد تستطيع أن تنزل عن بيت من بيوت القصيدة لئلا تتفكك هذه الوحدة، شأن الشعر والشعراء فى حياة أوروبا الحديثة.

لقد كان الشعر العربى القديم وإلى عهدنا هذا يمتاز بوحدة البيت الواحد، أما وحدة القصيدة كلها فشىء جديد. وأحسب أن محمودًا فى مقدمة الذين يسجلون للشعر العربى هذا الشىء الجديد.

ومع هذا فلمحمود أبو الوفا روح مصرية ظاهرة، وقد يعمد الشعراء إلى تناول موضوعات محلية فى شعرهم ليعرفوا بمصريتهم. أما شاعرنا هذا فتعرفه بمصريته فى روحه وألفاظه وتعبيره عن خلجات نفسه وأفكاره.



ISBN# 9789774206949
6 221149 011564

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٨ جنيها